إقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل عنوان:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف
الحزب الخامس من القرآن الكريم

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيث ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

اسم الطالب: ياسر محمد حسن بخيت

التوقيع:

التاريخ: ٢٠١٥/٣/٢٢م

الجـــامعة الإســـلامية – غزة
عمـــادة الـــدراســـات العليـــا
كليـــة أصـــــول الـــديـــــن
قسم التَّفسير وعلـــوم القرآن

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الخامس من القرآن الكريم

سورة البقرة (٢٥٣-٢٨٦) وسورة آل عمران (١-١٤)

إعداد الطالب

ياسر محمد بخيت

الرقم الجامعي

120100289

إشراف الدكتور

زهدي محمد أبو نعمة

قدِّم هذا البحث استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التَّفسير وعلوم القرآن

العام الجامعي

1435هـ – 2015 م

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم ج س غ/35/ Ref

التاريخ 2015/01/13 Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحث/ **ياسر محمد حسن بخيت** لنيل درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم التفسير وعلوم القرآن** وموضوعها:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الخامس من القرآن الكريم

البقرة "253-286" وآل عمران "1-14"

وبعد المناقشة التي تمت اليوم الثلاثاء 22 ربيع أول 1436هـ، الموافق 2015/01/13م الساعة العاشرة صباحاً، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

د. زهدي محمد أبو نعمة	**مشرفاً ورئيساً**	....
د. رياض محمود قاسم	**مناقشاً داخليـاً**	....
د. فايز حسان أبو عمرة	**مناقشاً خارجيًا**	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحث درجة الماجستير في **كلية *أصول الدين*/ قسم التفسير وعلوم القرآن.**

واللجنة إذ تمنحه هذه الدرجة فإنها توصيه بتقوى الله ولزوم طاعته وأن يسخر علمه في خدمة دينه ووطنه.

والله ولي التوفيق ،،،

مساعد نائب الرئيس للبحث العلمي و للدراسات العليا

أ.د. فؤاد علي العاجز

P.O. Box 108, Rimal, Gaza, Palestine fax: +970 (8) 286 0800 فاكس Tel: +970 (8) 286 0700 هاتف ص.ب. 108 الرمال، غزة، فلسطين
public@iugaza.edu.ps www.iugaza.edu.ps

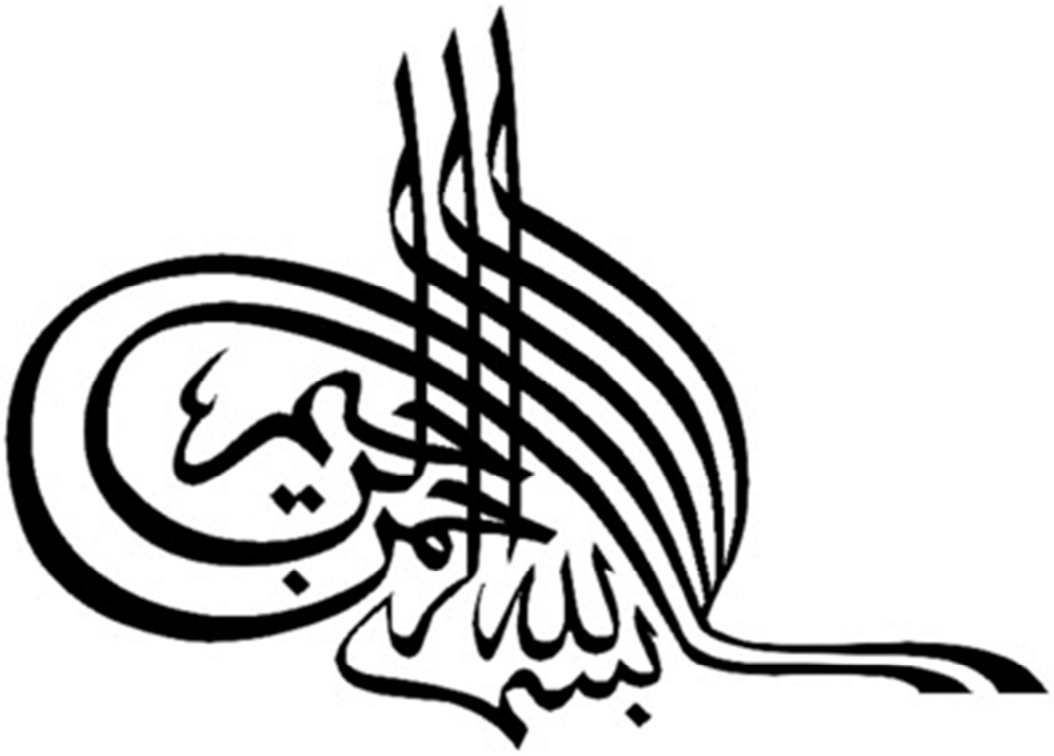
بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (محمد: ٢٤)

الإهداء

إلى دُرَّةَ التَّاج، الذين عطَّرت أنفاسهم حياتي، والديَّ العزيزين أَمَدَّ الله تعالى في عمرهما ، اللذين سهرا على راحتي، وأرشداني إلى ما فيه الخير في ديني ودُنياي .

إلى زوجتي الغالية ووالديها الكريمين الذين غمروا حياتي بالسعادة والسرور .

إلى جدتي الحبيبة التي فارقتني أثناء كتابة بحثي هذا ، وأجدادي السابقين لها بلقاء رب العالمين .

إلى أبنائي فلذات أكبادي، وأخواتي مهجتي وجناحي .

إلى الذين تربيت على أياديهم في مسجدي، إلى الشهيدين محمد العطل وسعد العرابيد وإلى شهداء معركة العصف المأكول التي شهدت وطأتها أثناء كتابة الفصل الثالث من هذا البحث .

إلى دعاة الإسلام الذين تداعى عليهم الأمم، وغدر بهم كلُّ قريب ، وما زالوا رافعي راية الحق غير مبالين، والله تعالى أسأل لهم النَصر والتمكين، ولكل مخلص لهذا الدِّين .

إلى طلاب العلم الساعين لرُقي الأمة، وإرشاد العباد لإصلاح البلاد ودرء الفساد .

إلى كل هؤلاء أهدي بحثي هذا وأسأل الله تعالى القبول وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم .

شكر وتقدير

انطلاقًا من قوله تعالى:﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ (ابراهيم: ٧)

أشكرك ربي وأحمدك حمداً كثيراً طيباً مباركاً، أن وفقتني لإكمال هذا البحث، وأسألك ربي أن تجعله في ميزان حسناتي يوم ألقاك، وأنْ يُثقل موازين كل من كان لي عوناً على إتمام هذا البحث وأخص بالذكر:

فضيلة الدكتور/ **زهدي محمد أبو نعمة** حفظه الله ورعاه، الذي وهبني من علمه الغزير، وغمرني بصبره الجميل، وأنار عقلي بتوجيهاته البناءة.

كما وأتقدَّم بجزيل الشكر لأستاذيَّ الفاضلين المناقشين لهذا البحث:

الدكتور: رياض محمود قاسم حفظه الله.

الدكتور: فايز حسان أبوعمرة حفظه الله.

على تفضلهما بمناقشة هذا البحث ليثرياه بمعلوماتهما القيمة، وتوجيهاتهما السديدة، ليثريا هذا البحث كي يخرج في أجمل حلَّة، فجزاهما الله عني خير الجزاء.

والشكر موصول لكل من ساندني في أثناء دراستي، وكتابتي لهذا البحث، وأخص بالذكر والدي العزيز الدكتور/ **محمد حسن بخيت** الذي حثَّني وشجعني على إكمال دراستي العليا، والله تعالى أسأل أن يطيل في عمره ويحسن عمله، وأستاذي الدكتور/ **أكرم عبد القادر منصور**، الذي لم يبخل عليَّ بوقته رغم كثرة أعبائه، فأخذ على عاتقه تدقيق هذه الرسالة نحوياً لتخرج على هذا الشكل، وكذلك أساتذتي الكرام في قسم التَّفسير وعلوم القرآن، الذين نهلت من علمهم الغزير، وكانوا عوناً لي على فهم كتاب الله ﷻ وحسن تفسيره، وأدعو الله أن يجعل ذلك في ميزان أعمالهم وأعمالي يوم القيامة.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي جعلنا مسلمين، وأنزل القرآن مناراً للعالمين، واصطفى محمدًا على الخلق أجمعين، فالصلاة والسلام عليه في كل آن وحين، وعلى من سار على دربه، واقتفى أثره إلى يوم الدين أما بعد:

لقد خص الله ﷻ أمة محمد ﷺ بدستور خالدٍ إلى يوم القيامة، وأمرها أن تتدبر آياته، فقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(ص: ٢٩) ومن يتدبر القرآن بعقل نيِّر، وقلبٍ صافٍ من شوائب الهوى، وذلك وفق القواعد الخاصة بالمنهج القرآني، يستخلص منه البلسم الشَّافي لجميع أمراض العصر، والقانون الناظم للحياة في كل قُطر، ويكون تدبره بحفظه، وفهم معانيه، وتطبيق ما جاء فيه؛ لينعم بالسَّعادة في الدنيا، والفوز والنجاة يوم القيامة، ولذلك اتجه الباحث لكتابة هذه الرسالة التي تحمل عنوان: **الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الخامس من القرآن الكريم" من الآية ٢٥٣ من سورة البقرة إلى الآية ١٤ من سورة آل عمران**" وازداد فضوله للغوص في أعماق الآيات واكتشاف أسرارها ومقاصدها، وقد ظهرت الحقيقة البنائية الهرمية لمقاصد آيات وسور القرآن الكريم، فتراه يبدأ بترسيخ الأسس فيبني الفرد المسلم ويزرع فيه الإيمان والأخلاق والعلم، ثمَّ ينتقل للمستوى الثاني بتكوين الأسرة المسلمة فيضع المبادئ والقيم التي تضبط العلاقة داخل الأسرة، ثمَّ يربط بين هذه المستويات مكونًا المجتمع المسلم ببيان التشريع الناظم والقانون الحاكم، فإذا التزمت هذه الجماعة بالتشريع الذي أنزله الله ﷻ إليها، نالت شرف الاستخلاف في الأرض.

والله تعالى أسأل أن يجعلنا من المحسنين، ويعجل للمسلمين بالنصر والتمكين، ويحرر تراب فلسطين، وندخل الأقصى فاتحين، ويختم حياتنا ونحن في باحاته ساجدين؛ لننال الفردوس برفقة الأنبياء والمرسلين، اللهم آمين.

أولا: أهمية الموضوع:

١- تعلُّق موضوع الدِّراسة بأشرف الكتب وأجلِّها، وهو القرآن الكريم.

٢- إظهار الإعجاز البياني في القرآن الكريم من خلال ارتباط مقصد كل آية بالهدف العام للسورة.

٣- يثبت شمول وتكامل المنهج القرآني في الإصلاح.

٤- اعتبار الدِّراسة معاصرةً تُعالج مشكلات عجزت المناهج الوضعية عن إيجاد حلولٍ لها.

٥- يبيِّن صفات الأمَّة المستحقة للاستخلاف في الأرض.

٦- يكشف حقيقة انحراف أهل الكتاب.

٧- افتقار المكتبات العلمية لمثل هذه الدراسات.

ثانيا: أسباب اختيار الموضوع:

١- الطَّمع في رضى الله ﷻ، واستجابة لأمره تعالى في قوله:﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾(محمد: ٢٤).

٢- رغبةً في تدبُر آيات الله ﷻ وفهم مُراده تعالى من إنزالها، وتطبيقه في حياتي العملية.

٣- خدمة كتاب الله ﷻ والتَّنقيب عن مقاصد السور والآيات، وربطها بالهدف العام للقرآن الكريم.

٤- حاجة المجتمعات الإسلامية إلى دراسات تستنبط من القرآن الكريم حلولاً لمشكلات الأمَّة، وتُعالجها على أرض الواقع.

٥- إثراء المكتبة الإسلامية بدراساتٍ خاصة بأهداف القرآن الكريم.

٦- تشجيع أساتذتي في قسم التَّفسير وعلوم القرآن، وخاصةً مُشرفي الفاضل على دراسة مقاصد القرآن الكريم.

ثالثا: أهداف البحث:

١- إرضاء الله ﷻ من خلال البحث في كتابه الكريم، وتدبر آياته.

٢- إبراز مقاصد القرآن الكريم، وربطها بالواقع وإفادة المجتمع من هذه الدراسة.

٣- التَّأكيد على أنَّ تفسير القرآن الكريم لا يتوقف عند مرحلةٍ من مراحل التَّاريخ البشري، بل يتوسع، وتزداد وجوهه من خلال احتكاكه بحاجات المجتمعات إلى يوم القيامة.

٤- مشاركة طلاب العلم في إنجاز تفسير تحليلي لمقاصد وأهداف القرآن الكريم كاملاً.

رابعاً: الدراسات السابقة:

بعد البحث في مكتبة الجامعة الإسلامية، وعدد من المكتبات تبيَّن أنَّ موضوع بحثي جديد على المكتبة الإسلامية، ولم أقف على بحث أو رسالة علمية بعنوان: "**دراسة تحليلية لمقاصد الحزب الخامس من القرآن الكريم وأهدافه**".

خامساً: منهج الباحث:

١- استخدم الباحث المنهج الاستقرائي التحليلي، والموضوعي في استنباط وتحليل مقاصد آيات القرآن الكريم وأهدافه.

٢- ذكر مقدمةً عن السُّورة، مُبيناً أسماء السورة، ومحورها الرئيس، ومناسبتها لما قبلها، وما بعدها.

٣- تقسيم الآيات إلى مقاطع، وعرضها ضمن مطالب، بحيث يَحمل كل مطلب عنواناً يتضمَّن الهدف الذي تسعى آياته لتحقيقه، ومن ثمَّ ضم هذه المطالب ضمن مباحث تحمل مقاصد الآيات عنواناً لها، وربط هذه المقاصد بالمحور الأساس للسورة.

٤- قام الباحث بتحليل مضمون الآيات ببيان المعاني اللغوية للكلمات الغريبة، ووجه المناسبة بين الآية وما سبقها، وإبراز وجوه البلاغة، وذكر سبب النزول إن وُجد، وبيان أثر اختلاف الإعراب والقراءات على معنى الآيات، وبيان المعنى العام للآيات، ومن ثمَّ تحليل المقاصد والأهداف التي تسعى الآيات لتحقيقها.

٥- ربط مدلول الآيات بالمواضيع، والمشكلات الواقعية، واستنباط حلول واقعيةٍ لها.

٦- عزو الآيات القرآنية المُستشهد بها إلى سورها، بذكر اسم السُّورة ورقم الآية، عدا آيات المقطع المُراد تحليله عند عرض وتحليل المقاصد والأهداف.

٧- عزو الأقوال المقتبسة لأصحابها، وذلك حسب المتَّبع في منهجية البحث العلمي.

٨- التَّرجمة للشخصيات والأعلام المغمورة الوارد ذكرها في متن البحث.

٩- شرح المعاني الغريبة من كتب المعاجم واللُّغة.

١٠- الاستدلال بالأحاديث الصحيحة، والحسن منها أحياناً ونقلها من مصادرها الأصلية، والاكتفاء بذكر اسم المؤلف واسم الكتاب، ورقم الحديث، مع بيان حكمها إن لم تكن في الصحيحين.

١١- اكتفى الباحث في التوثيق بذكر اسم الكتاب، ومؤلفه، ورقم الجزء والصفحة، وترك الباحث التعريف الكامل بالمرجع لذكره ضمن المصادر والمراجع.

سادساً: خطة البحث:

وتتكون من مقدِّمة، وتمهيد، وأربعة فصول وخاتمة، أما المقدمة فتشمل على:

١- أهمية الموضوع.

٢- أهداف البحث.

٣- أسباب اختيار الموضوع.

٤- الدراسات السابقة للموضوع.

٥- منهج الباحث.

الفصل التَّمهيدي

المبحث الأول: التعريف بالدراسة التَّحليلية والمقاصد والأهداف.

ويشتمل على ستَّة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الدراسة التحليلية لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثـــانـــي: تعريف المقاصد لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثـــالـــث: تعريف الأهداف لغةً واصطلاحًا.

المطلب الـــرابـــع: الفرق بين المقاصد والأهداف.

المطلب الخامس: أهمية معرفة مقاصد السُّور والآيات وأهدافها.

المطلب السادس: أهم المصنفات في مقاصد السُّور والآيات وأهدافها.

المبحث الثاني: بين يديِّ سورة البقرة.

ويشتمل على ستَّة مطالب:

المـطلب الأول: عدد آيات السُّورة وأسماؤها.

المـطلب الثانـي: مكان نزول السُّورة وزمانها وجوها.

المـطلب الثالـث: فضل السُّورة.

المـطلب الـــرابع: المحور الأساس للسُّورة.

المطلب الخامس: الأهداف العامَّة للسُّورة.

المطلب السادس: المناسبات في السورة.

الفصل الأول

التَّفسير التَّحليلي لمقاصد سُورة البقرة (٢٥٣-٢٦٠) وأهدافها.

(بناء الدَّعامة الأولى لإقامة الخلافة المتمثلة بالدَّعوة إلى الحق)

المبحث الأول: تقرير سُنَّة التَّفاضل بين النَّاس.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان التَّفاضل بين الرسل عليهم الصلاة والسلام في الدرجات.

المطلب الثاني: اظهار تمايز الناس في اتباع الحق.

المطلب الثالث: وضع المقياس العملي للإيمان متمثلاً بالإنفاق في سبيل الله ﷻ.

المبحث الثاني: بناء أسس العقيدة يمثِّل فسطاط الخلافة.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: توحيد الله ﷻ وإثبات كماله المُطْلَق.

المطلب الثاني: الإيمان قائم على الاختيار بعد بيان الحق.

المطلب الثالث: التحذير من موالاة الكفَّار.

المبحث الثالث: بيان قيام الإيمان على الإقناع لا الإكراه.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: توجيه الدُّعاة للتَّسلح بالحكمة في محاجة الجاحدين.

المطلب الثاني: زرع اليقين المطلق بقدرة الله ﷻ في نفوس المسلمين.

المطلب الثالث: دفع النفوس للإيمان ببيان قدرة الله ﷻ على إحياء الموتى.

الفصل الثاني

التَّفسير التحليلي لمقاصد سورة البقرة (٢٦١-٢٨١) وأهدافها.

(إقامة أسس الاقتصاد الإسلامي)

المبحث الأول: تأسيس نظام اقتصادي قائم على الاعتماد على النَّفس.

يشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: ترغيب المسلمين في الإنفاق بمضاعفة الأجر وبقاء الأثر.

المطلب الثاني: حث المُنفقين على إخلاص النِّية لله ﷻ.

المطلب الثالث: التَّحذير من مبطلات أجر الإنفاق.

المطلب الـــرابـــع: تربية النَّفس على المبادرة بفعل الخيرات.

المطلب الخامس: التَّحذير من عاقبة النِّفاق والشرك بالله ﷻ.

المطلب السادس: توجيه العباد؛ لتقديم أفضل ما لديهم قربةً لله ﷻ.

المبحث الثاني: التَّحلي بالفراسة والفطنة في إدراك الحقائق.

يشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: التَّحذير من مصائد الشَّيطان.

المطلب الثاني: بيان اقتضاء الحكمة إسرار الصَّدقة حفظاً لمشاعر الفقراء.

المطلب الثالث: بيان أنَّ الصَّدقة ادخار مضمون الأرباح.

المطلب الرابع: توجيه المُنفقين للبحث والتَّحري عن أصحاب الحاجة.

المبحث الثالث: التَّحذير من النِّظام الرَّبوي لإهلاكه الأنفس والأموال.

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: تربية النَّفس على الكرم، واتقاء الشُّح الدافع للربا.

المطلب الثاني: تحريم الرِّبا، وردع من يتعامل به.

المطلب الثالث: بيان أثر كل من الصَّدقة والرِّبا على الفرد والمجتمع.

المطلب الرابع: تحديد سبيل الخلاص من الرِّبا، وإعلان الحرب على المعاندين.

المطلب الخامس: غلق الأبواب أمام المُرابين بالصَّبر على المُعسِرين.

المطلب السادس: تقوية الوازع الدِّيني باستحضار النَّفس لحسابها يوم القيامة.

الفصل الثالث

التَّفسير التَّحليلي لمقاصد سورة البقرة (٢٨٢ – ٢٨٦) وأهدافها.

(غلق الآفاق أمام وسائل الانحراف عن سبيل الله ﷻ)

المبحث الأول: وضع الضمانات للمعاملات الإسلامية.

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: الأمر بتوثيق العقود حفظًا للحقوق، ودرئاً للمفاسد.

المطلب الثاني: حماية حقوق الضُّعفاء.

المطلب الثالث: قطع الرَّيبة بتعيين شاهدين.

المطلب الرابع: رفع الحرج عن توثيق المعاملات المتداولة.
المطلب الخامس: بيان مشروعية الرهن.

المبحث الثاني: بيان التصور الإيماني لأفراد الأمَّة المستحقة للخلافة.

ويشتمل على أربعة مطالب:
المطلب الأول: تنمية الرَّقابة الوجدانية الضامن الأسمى للمعاملات الإسلامية.
المطلب الثاني: ربط الإيمان بالله ﷻ ورسله عليهم الصلاة والسلام بالالتزام التَّام بأوامره.
المطلب الثالث: حث النفس على بذل كل طاقة لإظهار دين الله ﷻ.
المطلب الرابع: طلب العون من الله ﷻ على تطبيق شريعته.

الفصل الرابع

التَّفسير التحليلي لمقاصد سورة آل عمران (١ – ١٤) وأهدافها.
(اشتراط ثبات الأمة على الأسس التي بينتها سورة البقرة لإظهارها على الأمم)

المبحث الأول: بين يديِّ سورة آل عمران.

ويشتمل على ستة مطالب:
المطلب الأول: أسماء السُّورة وعدُّ آياتها.
المطلب الثاني: مكان النزول وزمانها وجوها.
المطلب الثالث: فضل السُّورة وسبب نزولها.
المطلب الرابع: المحور الأساس للسورة.
المطلب الخامس: الأهداف العامة في السورة.
المطلب السادس: المناسبات في السورة.

المبحث الثاني: وضع أسس الثبات الفكري.

ويشتمل على أربعة مطالب:
المطلب الأول: بيان وحدة المصدر والهدف للرسالات السماوية.
المطلب الثاني: نفي الألوهية عن عيسى ﷺ وإثباتها لله ﷻ وحده.
المطلب الثالث: زيغ القلوب الباعث الأول على الانحراف الفكري.
المطلب الرابع: تحصين القلب بهدي الله ﷻ منبع الثَّبات الفكري.

المبحث الثالث: بيان بواعث الثَّبات العملي.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان عاقبة الانحراف عن الحق، والصَّد عن سبيل الله ﷻ.

المطلب الثاني: اشتراط الثَّبات على الحق للظَّفر بتأييد الله ﷻ ونُصرته.

المطلب الثالث: التَّحذير من بواعث الانحراف والهزيمة.

الخاتمة: وتشتمل على أهم النَّتائج والتّوصيات.

الفهارس العامَّة: وتشمل على الآتي:

١- فهرس الآيات القرآنية.

٢- فهرس الأحاديث النبوية.

٣- فهرس الأعلام المترجم لهم.

٤- فهرس المصادر والمراجع.

٥- فهرس الموضوعات.

رموز البحث:

ك: كتاب.

ب: باب.

ح: رقم الحديث.

ج: جزء.

ص: صفحة.

هـ: هجري.

م: ميلادي.

الفصل التَّمهيدي

ويتكون من مبحثين :

المبحث الأول: التعريف بالدراسة التَّحليلية والمقاصد والأهداف.

المبحث الثاني: بين يدي سورة البقرة.

المبحث الأول: التعريف بالدراسة التَّحليلية والمقاصد والأهداف.

ويشتمل على ستَّة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الدراسة التحليلية لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثاني: تعريف المقاصد لغةً واصطلاحًا.

المطلب الثالث: تعريف الأهداف لغةً واصطلاحًا.

المطلب الرابع: الفرق بين المقاصد والأهداف.

المطلب الخامس: أهمية معرفة مقاصد السُّور والآيات وأهدافها.

المطلب السادس: أهم المصنفات في مقاصد السُّور والآيات وأهدافها.

المطلب الأول: تعريف بالدراسة التحليلية لغةً واصطلاحاً:

يتركب مصطلح الدِّراسة التَّحليلية من كلمتي: (الدِّراسة) و(التَّحليلية) ولتحديد مفهومه لا بُدَّ من الوقوف على معنى كل منهما:

أولاً: الدراسة لغةً: وهي مصدر للفعل (دَرَسَ) وتعني تعهُّد الشَّيء، وتِكرار القراءة، ودراسة الكتاب: الإقدام على حفظه وفَهمه[١] ودارسه:"ذَلَّلَهُ بكَثْرة القِرَاءَةِ حَتّى خَفَّ حِفْظُه عليهِ"[٢] وأشار لذلك قوله تعالى:﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾(آل عمران:٧٩).

ثانياً: التحليلية لغةً: صفةٌ مشتقةٌ من الفعل (حلَّ) وتعني: "التَّجزئة والتفريق"[٣]، "وحلَّ الْعُقْدَةَ فَتَحَهَا فَانْحَلَّتْ"[٤]، ويمكن القول: هي تفكيك مرابط الجمل والكلمات لإظهار المفاهيم الدالة عليها.

ثالثاً: الدراسة التحليلية اصطلاحاً:

بعدما عرضت المعنى اللُّغوي لشِقَّي مُركب (الدِّراسة التَّحليلية) يمكنني تعريفه بأنه: بذل الجهد في قراءة النَّص المُراد تحليله وفهمه، والوقوف عند مدلول كل لفظةٍ على حدة، ثمَّ ربطه بمفاهيم الألفاظ الأخرى، لبيان المضامين الكامنة في النَّص، والوصول لأوضح وأشمل صورة عنه.

أمَّا الدراسة التحليلية لآيات القرآن الكريم فتعني: "بيان معاني الكلم القرآني، إفراداً وتركيباً، بواسطة تفكيك الآيات والجمل والكلمات، إلى أجزائها ليعطي كل جزء ما يستحقه من البيان"[٥]، ونسج هذه الفوائد في صورة تخدم مدلول الآيات، ثمَّ تركيب ذلك كله وربطه في واقع حياة النَّاس.

المطلب الثاني: تعريف المقاصد لغةً واصطلاحًا:

أولاً: المقاصد في اللُّغة:

جمع مَقْصِد، واشْتُقَّ من مادة قَصَدَ، وله في الاستعمال اللغوي عدة معانٍ منها:

١- التَّوجُه نحو الشَّيء، يُقال: قَصَدْتُ قَصْدَه، أي اتَّجهتُ نَحْوه، يُقال: إليه مَقصِدي وجِهتي.

٢- الاستقامة والاعتدال، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ﴾(سورة لقمان:١٨).

٣- كَسْر الشيء، يُقال، انقصد السَّيف: أي انكسر، وتقصَّد: إذا تكسَّر.

٤- الامتلاء، تقول العرب: ناقةً قصيد، أي مُكتنزة ممتلئة من اللَّحم.

---

[١] انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج٦، ص٨٠.

[٢] تاج العروس: الزَّبيدي، ج١٦، ص٦٥.

[٣] لسان العرب: ابن منظور، ج١١، ص١٦٩.

[٤] مختار الصِّحاح: الرَّازي، ج١، ص٧٩.

[٥] التَّفسير التحليلي لسورة آل عمران: الكبيسي، ج١، ص١٢.

٥- والقصيد من الشِّعر: ما تم سبعة أبياتٍ، سُميِّ الشِّعر التامُّ قَصِيدًا، لأن قائله جعله من باله فقصدَ له قصداً[١].

والمعنى الأول أقرب المعاني للمقصد إذا أضيف للقرآن الكريم.

ثانياً: المقاصد في الاصطلاح: عرَّف العلماء المقاصد باعتبار ما أُضيفت إليه، فعرَّف ابن عاشور مقاصد الشريعة بأنها: "الكيفيات المقصودة للشَّارع لتحقيق مقاصد النَّاس النَّافعة، أو لحفظ مصالحهم العامَّة في تصرفاتهم الخاصَّة"[٢].

وعرفها الزُّحيلي بقوله: "هي الغايات والأهداف والنتائج والمعاني التي أتت بها الشَّريعة، وأثبتتها في الأحكام، وسَعَت إلى تحقيقها، وإيجادها، والوصول إليها في كل زمان ومكان"[٣].

وباعتبار علاقة الشريعة بالقرآن الكريم علاقة جزئية، كانت مقاصد القرآن الكريم أعمُّ من مقاصدها[٤]، وعليه يمكن تعريف مقاصد القرآن الكريم بأنَّها: "المعاني الغَائِيَّة[٥]، التي اتَّجهت إرادة الله ﷻ الشرعية إلى تحقيقها من إنزال القرآن الكريم على المكلفين في الدارين"[٦].

المطلب الثالث: تعريف الأهداف لغةً واصطلاحاً:

أولاً: الهدف لغةً:

الهدف هو: "كلُّ مُرْتَفِعٍ من بِناءٍ أَو كَثيبِ رَمْلٍ أَو جَبَلٍ"[٧] وهو الغَرَضُ، وهَدَفُوا إلى مَوْضِع كذا: رَحَلُوا إليه، واسْتَهْدَفَ هذا المَوضِعُ مَكَانَ كذا: أي اسْتَقْبَلَه، وأَهْدَفَ إلى بَني فلانٍ: أي لَجَأ إليهم، وكذا يدلُّ على انتصابٍ وارتفاع. ويشير إلى كلُّ شيء عظيمٍ مرتفع، والأَهْدَافُ: حُيُوْدٌ من الرَّمْلِ تُشْرِفُ، واحِدُها هَدَفٌ[٨].

---

[١] انظر: مختار الصِّحاح، الرَّازي، ج١، ص٢٢٤، مجمل اللغة، لابن فارس، ج١، ص٧٥٥، تهذيب اللُّغة، الأزهري، ج٨، ص٢٧٤؛ المعجم الوسيط، ابراهيم مصطفى، ج٢، ص٧٣٨.

[٢] مقاصد الشَّريعة الإسلامية: ابن عاشور، ص١٤٦.

[٣] الأصول العامة لوحدة الدين: الزُّحيلي، ص٦١.

[٤] انظر: أمهات مقاصد القرآن، عز الدين الجزائري، ص٧٧.

[٥] الغائية: إشارة إلى ربط المقاصد بالغايات، أي ذات الغاية والهدف، والغاية: هي ما تقود الأهداف والمقاصد لتحقيقها، وهي ذات بعد روحاني متصل بالله ﷻ، فغاية المسلم رضى الله ﷻ، (الطريق إلى الامتياز، ابراهيم الفقي، ص٩٨).

[٦] أمهات مقاصد القرآن: عز الدين الجزائري، ص٦٨.

[٧] القاموس المحيط: الفيروزأبادي، ج١، ص٨٦١.

[٨] انظر: معجم مقاييس اللُّغة، ابن فارس، ج٦، ص٢٩، المحيط في اللُّغة، ابن عبَّاد، ج١، ص٣٠٠.

ثانياً: الهدف اصطلاحًا:

يتنوع تعريف الأهداف باعتبار ما أضيفت إليه، فهناك الأهداف التربوية، والشَّرعية، ونحوها، وإنْ كنَّا نهدف لتعريف أهداف القرآن الكريم، فلابد من إلقاء نظرة على تعريف الأهداف في الجوانب الأخرى، ومن هذه التعريفات:

الأهداف العامـــة: "أغراض يرغبها الإنسان، ويُنظِّم سلوكه من أجل تحقيقها"[١].

الأهداف التربوية: "الناتج التعليمي المتوقَّع من التِّلميذ بعد عملية التَّدريس، ويمكن أنْ يُلاحظه المعلِّم ويقيسه"[٢].

الأهـداف الإدارية: "إجراء ملموس قابل للقياس، يُحدد كمية متغيِّر، ويمكن تحقيقه كاملاً"[٣].

والملاحظ من جميع التَّعريفات السَّابقة أنَّها تسعى إلى التَّغيير نحو الأفضل وفق الفلسفة والقيـم التـي يتبناها مُحدِّدها، ويشترط توفر الوسـائل اللازمة لتحقيقهـا، ومؤشر لقياس مدى إنجازها بحوزة السَّاعي إليها، وعليه فأنسب تعريف لهدف القرآن الكريم هو: "الوصول بالإنسان عموماً، والمسلم على وجه الخصوص، أن يكون عبداً خالصاً لله ﷻ بأن تتحقق فيه كافة المقاصد القرآنية: العقدية والشرعية والتربوية والأخلاقية والنفسية والاجتماعية وعمارة الأرض"[٤].

المطلب الرابع: الفرق بين المقاصد والأهداف.

يتضح من خلال تعريف كل من المقاصد والأهداف أنَّ بينهما فُروقاً دقيقةً، يُدركها الخاصَّة رُغم أنَّهما قد تَظهران للبعض أنَّهما مترادفتان، ويرى الباحث أنَّ: علاقة الهَدف بالمقصِد كاللَّبِنَة للحُجرة، فَعِدَّةُ حجارةٍ مَرصُوصةٍ تُكوِّنُ حُجْرةً كما أنَّ عِدَّةُ أهدافٍ مُنْجَزَةٍ تُشكِلُ مَقْصِداً، ومجموعة مقاصدٍ متكاملةٍ تبني "الغَايَة وهي أسْمَى المَطَالب"[٥]، متمثلةً بِرضى الله ﷻ، ومن أوجه التَّباين الدَّقيق بين المقاصد والأهداف ما يأتي:

١- الأهداف هي الطَّريق المُوصِل للمقاصد، فإذا تحققت أهداف الآيات فيمن وُجِّه له الخطاب، نال المرتبة التي أرادها الله ﷻ لعباده في هذا الخطاب.

---

[١] الأهداف السلوكية: مهدي سالم، ص١٤.

[٢] المرجع السَّابق، ص١٠٥.

[٣] موقع الألوكة: الفرق بين الهدف والغاية، سلمان أبو عيسى، بتاريخ ٢٠٠٧/٩/١٨ الرابط: http://www.alukah.net/fatawa_counsels/0/14756/#ixzz2fqDpTNli

[٤] أهداف ومقاصد سورة التوبة: حسن الخطيب، ص٣٨.

[٥] الطريق إلى الامتياز، ابراهيم الفقي، ص٩٨.

٢- المُراد من الأهداف نتائج تحقيقها، بينما المقاصد مُستهدفةٌ بذاتها.
٣- أهداف الآيات يبرزها النَّص ذاته، لكنَّ المقاصد تحتاج لإعمال العقل باستخدام المأثور النَّبوي، والتجربة وحُسن الدِّراية.
٤- المقاصد تقود إلى الغايات التي تهدف إليها النُصُوص من الأوامر، والنَّواهي، والإباحات، وتسعى الأحكام الجزئية لتحقيقها في حياة المُكلَّفين.
٥- المقاصد قائمةً على درء المفاسد، وجلب المنافع والمصالح.
٦- من مرتكزات المقاصد الحفاظ على الكليات الخمسة: (الدين، النفس، النسل، العقل، المال).
٧- المقاصد: هي الحكمة الملحوظة للشارع في جميع مواطن وأحوال التشريع.
٨- جميع مقاصد القرآن تتمحور حول بؤرة واحدة تمثل الغاية من الخلق ألا وهي عبادة الخالق، والخلافة في الأرض، وتقود لنتيجة واحدة هي السَّعادة في الدنيا، والفوز في الآخرة.
٩- الأهداف تتنوع وتتفاوت مراتب تحقيقها لارتباطها بأفعال العباد، بينما المقاصد ثابتة لتعلُّقها بإرادة الله ﷻ[1].

المطلب الخامس: أهمية معرفة مقاصد السُّور والآيات وأهدافها.

إن علوم القرآن الكريم لا تحيط بها عقول البشر، وجواهره لا يدركها إلا من شاء الله ﷻ له وقدَّر، ونحن نلاحظ اجتهاد العلماء في كل زمان في تأليف الكتب، والمصنفات، الخاصة بعلوم القرآن وأسراره، ثمَّ يأتي مَنْ بعدهم ليضيفوا أشياءً جديدة، وأفكارًا فريدة، ومما استهدفته عقول العلماء من خلال البحث والاستنباط، مراد الله ﷻ من كلامه، حيث يترتب على المعرفة بمقاصد وأهداف القرآن الكريم الكثير من المنافع، وتَظهر أهمية عِلْم المقاصد والأهداف من خلال:
١- تناوله موضوعًا غايةً في الأهميَّة، حيث يتعلق بفهم مُراد الله ﷻ من الآيات والسُّور، ويُعَد مطلباً أساسياً يترتَّب عليه التَّطبيق السَّليم والكامل لكلام الله ﷻ، لتتحقق الهداية التي هي المقصد الأول للقرآن الكريم.
٢- يَظهر من خلاله أسرارُ نَظْم القرآن الكريم، فنعلم الحكمة من وضع كل آية في موضعها، وكل سورة في موقعها.
٣- يعين على الوصول للتفسير الأدَق لكلام الله ﷻ عند اختلاف المُفسِّرين في وجوه تفسيرها.
٤- التَّفسير المبني على مقاصد القرآن يَبرُز فيه جمال النَّظم، وكمال التَّرابط مع المعنى، فيَظْهَر كالبنيان المرصوص الذي يشد بعضه بعضاً.
٥- العِلْم بالمقاصد يُعين على تدبُّر الآيات، وفَهم المعنى المُراد منها.

---

[1] انظر: أهداف ومقاصد سورة التوبة، حسن الخطيب، ص٤١، الإدارة في سُورة يوسف، نايف قرموط، ص١٩.

٦- إذا أدرك المُفَسِّر مَقاصد السُّورة، تَجَلَّى له وجه المُناسبة بين آياتها.
٧- يَظْهَر من خلاله وجوه إعجاز القرآن، خاصة الجانب البياني[١].

المطلب السادس: أهم المصنفات في مقاصد السُّور والآيات وأهدافها.

لم يُفرد الأئمة المتقدمون هذا العلم بتصنيف مُستقل، وإنَّما ضمَّنُوه مُصنَّفاتهم في التَّفسير وعلوم القرآن، ثمَّ جاء من ورِثهم من العلماء فصنَّفوا كتباً خاصة في أهداف السُّور ومقاصدها، وبعضهم اكتفى بتخصيص فصل خاص لها في كتابه، والآخرون جعلوا هذه المقاصد مُرتكزاً أساسياً في تفسيرهم، وعليه يمكن تقسيم المُصنَّفات في مقاصد السُّور إلى قسمين:

أولاً: المصنَّفات التي أشارت لمقاصد السُّور وأهدافها.

١- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل، محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.
٢- مفاتيح الغيب، فخر الدين الرَّازي، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ.
٣- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدِّين بن يعقوب، الفيروز أبادي، لجنَّة إحياء التراث، القاهرة ١٩٩٦.
٤- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.
٥- أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٤هـ.
٦- زهرة التفاسير، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي.
٧- صفوة التفاسير، محمد بن علي الصَّابوني، دار الصَّابوني النشر، القاهرة، ١٤١٧هـ.
٨- الأساس في التَّفسير، سعيد حوَّى، دار السلام.

ثانياً: المصنفات التي اعتنت بدراسة مقاصد السُّور والآيات.

١- مصاعد النَّظر للإشراف على مقاصد السُّور، برهان الدين البقاعي، دار المعارف، الرياض.
٢- في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، ١٤١٢.
٣- التَّفسير المنير، وهبة الزُّحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، ١٤١٨هـ.
٤- قبس من نور القرآن الكريم، محمد بن علي الصَّابوني، دار القرآن الكريم بيروت ١٩٩٩.
٥- مدخل إلى علم مقاصد السُّور، للدكتور محمد عبد الله الربيعة.
٦- فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان القنوجي، المكتبة العصرية،١٩٩٢.

---

[١] انظر: أمهات مقاصد القرآن، الجزائري، ص ١٢٥-١٣٤، موقع في رحاب التنزيل، أهمية علم مقاصد السُّور، محمد الخضيري، الرابط: http://rehabtanzyl.blogspot.com/2012/11/blog-post_6909.html

٧- مقاصد السُّور وأثر ذلك في فهم التَّفسير، للشيخ صالح آل الشيخ.
٨- مقاصد القرآن الكريم، حنان اللحام، دار الحنان في دمشق عام ٢٠٠٤م.
٩- مقاصد السُّور وطرق الكشف عنها، صادق الرافعي .
١٠- مقاصد سورة البقرة، محمد سيد طنطاوي، الأزهر١٩٩٦.
١١- مقاصد سورة الغاشية، صلاح أحمد الطنُّوبي، لواء الإسلام١٩٧٩.
١٢- أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن، عبدالله شحاته، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٦.
١٣- تفسير سورتي الفاتحة والبقرة، محمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، ١٤٢٣هـ.
١٤- أمهات مقاصد القرآن، عز الدين بن سعيد الجزائري، دار مجدلاوي، عمَّان ٢٠١١م.
١٥- أهداف ومقاصد موضوعات سورة التوبة، حسن الخطيب، إشراف: د. عبد الكريم الدهشان، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية- غزة ٢٠٠٨.

المبحث الثاني: بين يدي سورة البقرة.

ويشتمل على ستة مطالب:

المـطلب الأول: عدُّ آيات السُّورة وأسماؤها.

المـطلب الثانـــي: مكان نزول السُّورة وزمانها.

المـطلب الثالـث: فضل السُّورة.

المـطلب الـــرابع: المحور الأساس للسُّورة.

المطلب الخامس: الأهداف العامَّة للسُّورة.

المطلب السادس: المناسبات في السورة.

المطلب الأول: عدُّ آيات السُّورة وأسماؤها.

أولاً: عدُّ آيات سورة البقرة:

إنَّ النَّاظر لسُورة البقرة يجدها أطول سُور القرآن الكريم على الإطلاق، حيث يَبلُغ عدد صفحاتها ثماني وأربعين صفحة، وقد اختلف أئمة العدد في عدِّ آياتها "فعدد آياتها مائتان وخمس وثمَّانون آية عند أهل العدد بالمدينة، ومكة، والشام، وست وثمَّانون عند أهل العدد بالكوفة، وسبع وثمَّانون عند أهل العدد بالبصرة"[١].

وقبل الوقوف على حقيقة وأسباب الخلاف في عدِّ آيات سورة البقرة، لابد من بيان المُراد بالعدد في هذا المقام، ولقد عرَّفه المُخلَّلاتي[٢] بأنَّه "علمٌ يُبحث فيه عن أحوال آيات القرآن الكريم، من حيث إنَّ كلَّ سورةٍ كم آيةً وما رُؤوسها وما خاتمتها"[٣].

فالظَّاهر من التَّعريف أنَّ عدَّ آيات القرآن علمٌ له قواعدٌ وأسس، فهو مرتبطٌ ارتباطاً وثيقاً بعلم القراءات وأحكام التِّلاوة، إذ الخلاف في العَدَد محلُّه وجْه تحديد الآية من حيث بدايتها ومنتهاها، وسبب اختلاف العلماء في عدِّ الآيات راجع لتباين القراءات وكيفيات الأداء، فبعض القرَّاء يَعُد الآية في أحد المواضع آيتين، لأن النَّبي ﷺ وقف في هذا الموضع في بعض القراءات فاعتُبرت آيتين، ووصل في قراءة أخرى فعدها من قرأ بها آيةً واحدةً، وأيضاً البسملة في بعض الأحرف السَّبعة نزلت مع السُّورة فعُدَّت آيةً واحدةً، ومن قرأ بالأحرف الأخرى لم تُعَد آية[٤].

ثانياً: أسماء سورة البقرة:

لقد ذكر المفسِّرون عدَّة أسماءٍ للسُّورة، منها ما ذكره النَّبي ﷺ (توقيفي)، ومنها ما استنبطه الصَّحابة من خلال سياق الآيات (اجتهادي).

---

[١] التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج ١، ص٢٠٢.

[٢] رضوان بن محمد بن سُليمان، المكنَّى بالمُخلَّلاتي، شافعي المذهب، ولد في القاهرة سنة ١٢٥٠هـ، تلقى علومه في الجامع الأزهر على علماء عصره، ثمَّ تخصص في علوم القرآن قسم القراءات والرَّسم، وكان واسع العلم، ووافر الاطِّلاع، وشهد له علماء عصره ومنهم شيخ القرَّاء محمد متولي، وكان لنبوغه أثر في تصويب المصاحف، وقد برع أيضاً في علوم اللغة والبلاغة، توفي سنة ١٣١١هـ، (القول الوجيز، المخللاتي، ص١٨).

[٣] المرجع السَّابق، ص٩٠.

[٤] انظر: البرهان في علوم القرآن، الزَّركشي، ج١، ص ٢٥٢.

أولا: الاسماء التوقيفية:

١- **البقرة:** وهو اسمها في المصحف، وقد اشتهرت به، وذكرها النَّبي ﷺ بهذا الاسم في عدة أحاديث منها ما رواه أَبو مَسْعُودٍ الْبَدْرِيِّ ﷺ قَال: قَالَ رَسُولُ ﷺ: **(الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ)**[١].

وجه التَّسمية: سميت سورة البقرة بهذا الاسم "لورود قصَّة البقرة التي أمر الله ﷻ بني إسرائيل بذبحها، ولكنهم لم يستجيبوا لأمر رسول الله ﷺ مباشرةً بل جادلوه وتشدَّدوا فشدَّد الله ﷻ عليهم"[٢] وكان ذلك تحذيراً لأمة محمد ﷺ من التشدُّد، والمجادلة اتباعاً للهوى، حتى لا يكون مصيرهم مثل بني إسرائيل، وذلك جلياً في قوله ﷺ: **(دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ)**[٣] فالنَّهي عن ذلك فيه تيسير على الأمَّة، حتى لا يقع عليها تكليفٌ أثقل بتخصيص العام، كما حدث مع بني اسرائيل حينما جادلوا موسى ﷺ "ولو أنَّ القوم حين أُمرُوا أن يذبحوا بقرةً، استعرضوا بقرةً من البقرِ فذبحوها، لكانت إيَّاها، ولكنَّهم شدَّدوا على أنفسهم فشُدِّد عليهم"[٤].

ولما كان مقصد السُّورة يتجلى بإظهار الأنموذج الأمثل للاستخلاف في الأرض، كان لابد من بيان بعض النَّماذج الفاسدة، التي لم تلتزم بالمحددات المُؤهلة للخلافة، ولعلَّ من أكثر الأُمم حياداً عن سبيل الله ﷻ هم بنو إسرائيل، ومن أوضح المواقف لانحراف تفكيرهم مسلكُهم في قصة البقرة، فناسب تسمية السُّورة بعنوان هذه القصة تحذيراً، وتقريعاً لكل مستخلَف في الأرض من اتباع السُّبل التي تَضِل عن سبيل الله ﷻ، كما فعل بنو إسرائيل.

مما لا شك فيه أنَّ القرآن الكريم بسُوَرِه، وآياته كتابُ هدايةٍ، ولمَّا كانت البقرة إحدى سُوره كان "مقصدها إقامة الدَّليل على أنَّ الكتاب هُدى ليُتَّبع في كل ما قال، وأعظم ما يُهدي إليه الإيمان بالغيب، ومجمعه الإيمان بالآخرة، فمداره الإيمان بالبعث الذي أعربت عنه قصة البقرة التي مجراها الإيمان بالغيب، فلذلك سُميت بها السُّورة"[٥].

---

[١] صحيح البخاري: ك- فضائل القرآن، ب- أن يقول سورة البقرة، ج٤، ص١٩٢٣، ح٤٧٥٣.

[٢] انظر: التَّفسير المنير، الزُّحيلي، ج١، ص٧٠.

[٣] صحيح البخاري: ك- الاعتصام، ب- الاقتداء بالسنة، ج٦، ص٢٦٥٨، ح ٦٨٥٨.

[٤] تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ج١، ص٢٩٥.

[٥] نظم الدُّرر: البقاعي، ج١، ص٢٤.

٢- **الزهراء:** لم تختص سورة البقرة بهذا الاسم، بل اقترنت معها به سورة آل عمران، حيث وصفهما رسول الله ﷺ بذلك حيث قال:(**اقْرَءُوا القرآن فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آل عمران، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا...**)[١].

وجه التسمية: الزَّهرة في اللُّغة تأتي بمعنى الزَّهرة المتفتِّحة، و البياض الشَّديد، وبريقُ النَّجم[٢]، وسُمِّيت سُورة البقرة بذلك كونها نبراساً للهُدى، وممحاةً للظلام، في الدنيا والآخرة، لِمَا حَمَلته بين مجامع آياتها من أُسس الإيمان، وقواعد الفلاح[٣].

وذكر القرطبي أنَّ للعلماء في وجه تسمية البقرة وآل عمران بالزهراوين ثلاثة أقوال[٤]:

أولاً: أنهما النيِّرتان، مأخوذ من الزَّهْر والزُّهْرة؛ لهدايتهما قارئهما بما يزهر له من معانيهما.

ثانياً: لما يترتب على قراءتهما من النور التام يوم القيامة.

ثالثا: لأنهما اشتركتا فيما تضمنه اسم الله الأعظم، كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:(**اسْمُ اللَّهِ الأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ۚ﴾** (آل عمران: ٢) **﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾** (البقرة ١٦٣))"[٥].

والملاحظ من الأقوال السابقة: أنَّ القول الأول والثَّاني نظرا لوجه التَّسمية من حيث علاقة مضمون السُّورتين بالاسم من الناحية اللُّغوية، بينما القول الثالث نظرَ للعامل المُميِّز للسُّورتين عن باقي سُور القرآن الكريم باختصاصهما بهذا الاسم.

ثانياً: أسماء السُّورة التوفيقية:

١- **سنام القرآن:** وسَنام الشَّيء أعلاه، وأشرفه، وأعظمه[٦]وكل هذه المعاني تنطبق على سُورة البقرة بالنِّسبة للقرآن الكريم، حيث إنَّ جميع سُور القرآن الكريم نالت من العَظمة والشَّرف ما يُعْجَز عن وصفه، لأنه كلام الله ﷻ، لكن الله ﷻ زاد بعضه رفعةً وشرفاً على بعض، وأخبر بذلك نبيه ﷺ حيث رُوي عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قال:(**إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا، وَإِنَّ**

---

[١] صحيح مسلم: ك- صلاة المسافرين، ب- فضل قراءة القرآن، ج٢، ص١٩٧، ح١٩١٠.

[٢] انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج٤، ص ٣٣١.

[٣] انظر: نظم الدُّرر، البقاعي، ج١، ص٢٤.

[٤] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج٤، ص٣.

[٥] سنن الدارمي: ك- فضائل القرآن، ب- فضل سورة البقرة، ج٤، ص٢١٣٣، ح٣٤٣٢، حسنه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٢، ص٢٤٥، ح٧٤٦.

[٦] انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج٣، ص٢١١٩.

سَنَامَ القرآن سُورَةُ الْبَقَرَةِ)[1] وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال:**(إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا، وَإِنَّ سَنَامَ القرآن سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ لُبَابًا، وَإِنَّ لُبَابَ القرآن الْمُفَصَّلُ)**"[2].

٢- فسطاط القرآن: الفُسْطَاط بيت من الشَّعر، ودرب من الأبنية، وهو اسم عَلَم للمدينَة التي بناها عمرو بن العاص ﷺ في مصر[3]، وسُميت سورة البقرة بفُسْطَاط القرآن[4] -مدينته الجامعة- "لاشتمالها على أمهات الأحكام، ومعظم أصول الدين وفروعه، والإرشاد إلى كثير من مصالح العباد، ونظام المعاش، ونجاة المعاد"[5].

ويرى الباحث أنَّ إطلاق اسم فُسْطاط القرآن على سورة البقرة لا يَخْرُج عن كونه اجتهاداً، يُؤخذ به على سبيل إبراز مكانة السُّورة وشأنها لا على الجزم بأنه من أسمائها، وبالنَّظر للمعنى اللُّغوي لكلمة فُسْطاط، حيث أُطلقت على المدينة الجامعة، وبربطه بالمعنى السابق(الزهراء) يُمكن القول بأنَّ سُورة البقرة بالنِّسبة للقرآن الكريم كالعاصمة للإقليم، لِمَا تتمتَّع به من الأهمية، واشتمالها على المحاور والمقاصد الأساسية للقرآن الكريم.

المطلب الثاني: مكان نزول السُّورة وزمانها وجوها.

لم تنزل سورة البقرة جملةً واحدةً، بل جاء نُزولها منجماً كغيرها من الطِّوال، لذلك سيتناول الباحث الوقت والزمان الذي بدأ فيه نزول السُّورة:

أولاً : مكان نزولها:

لقد بدأ نزول أول آيات من سورة البقرة بعد الهجرة إلى المدينة المنورة، وقد بدأ ظهور المُنافقين الذين يُظهرون الإسلام ويُبطنون الحقد والكيد له، فأنزل الله ﷻ مطلع السُّورة ليزرع في قلوب المؤمنين الثبات على الحق ويحذرهم من مكر المنافقين، ويظهر حقيقة اليهود وصدِّهم عن سبيل الله ﷻ حتى يعلم المؤمنون طبيعة البيئة التي سيبنون عليها دولتهم[6].

---

[1] المستدرك على الصحيحين: النَّيسبوري، ج٢، ص٢٥٩، ح٢٩٨٢، وقال صحيح على شرط مسلم.

[2] سنن الدارمي: ك- فضائل القرآن، ب- فضل سورة البقرة، ج٤، ص٢١٢٦، ح٣٤٢٠، صححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٢، ص٨٧، ح ٥٨٨.

[3] انظر: لسان العرب: ابن منظور، ج ٧، ص٣٧١.

[4] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج١، ص١٩٧؛ المحرر الوجيز، ابن عطية، ج١، ص٨١.

[5] السراج المنير: الشربيني، ج١، ص١٩٣.

[6] لباب النُّقول: السَّيوطي، ص٧-٩.

وقد ذكر الواحدي أنَّ عكرمة قال: **(أول سورة أنزلت بالمدينة سورة البقرة)**[1]، ونَقل ابن حجر الاتفاق على مدنيتها فقال: "واتفقوا على أنَّها مدنية وأنها أول سورة أُنزلت بها"[2].

وذكر بعض المفسرين أنَّ سورة البقرة مدنية باستثناء الآيات (٢٨٤-٢٨٦) نزلت قبل الهجرة[3]، حيث أَشكَل عليهم ما روي عن ابن مسعودﷺ قال:**(لمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهﷺ انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى.... فَأُعْطِيَ ﷺ ثَلاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا الْمُقْحِمَاتُ)**[4] وكانت معجزة "الإسراء والمعراج قبل الهجرة إلى المدينة بعام"[5].

ويرى الباحث أنَّ هذه الرِّواية يتعارض ظاهرها مع رواية أخرى ذكرها أيضاً الإمام مسلم في صحيحه عن أبى هريرة ﷺ **قال: (لمَّا نزلت على رسول الله ﷺ ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾**(البقرة:٢٨٤) **قال: فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فأتوا رسول الله ﷺ ثمَّ بَرَكُوا على الرُّكَبِ فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللَّهِ كُلِّفْنَا من الْأَعْمَالِ ما نُطِيقُ الصَّلَاةَ، وَالصِّيَامَ، وَالْجِهَادَ، وَالصَّدقة وقد أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هذه الْآيَةُ ولا نُطِيقُهَا، قال رسول اللَّهِ: ﷺ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كما قال أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ من قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا، بَلْ قُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، قالوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فلما اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ ذَلَّتْ بها أَلْسِنَتُهُمْ فَأَنْزَلَ الله ﷻ في إِثْرِهَا ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ﴾**(البقرة:٢٨٥) **فلما فَعَلُوا ذلك نَسَخَهَا الله ﷻ فَأَنْزَلَ قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ قال: نعم ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ﴾ قال نعم ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ﴾ قال: نعم ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾**(البقرة:٢٨٦) **قال: نعم)**[6].

---

[1] أسباب النزول: الواحدي، ص١٢.

[2] فتح الباري: ابن حجر، ج٨، ص١٦٠.

[3] انظر: التناسب في سورة البقرة، طارق حميدة، ص٢٠.

[4] صحيح مسلم: ك- الإيمان، ب- ذكر سدرة المنتهى، ج١، ص١٥٧، ح١٧٣.

[5] دراسة في السِّيرة: عماد الدِّين، ص٩١.

[6] صحيح مسلم: ك- الإيمان، ب- وإن تبدوا ما في أنفسكم، ج١، ص٨٠، ح٣٤٤.

ويُمكن الجمع بين الروايتين وتوجيههما على النَّحو الآتي:

أولاً: الرواية الأولى لا يُفهم منها نزول الآيات على النَّبي ﷺ بل يُمكن القول إنه بُشِّر بهِنَّ تبياناً لشأنهِنَّ ومكانتهِنَّ، بينما الرواية الثانية صيغتها صريحةً في بيان سبب النزول.

ثانياً: الرواية الثانية تُثبت أنَّ نزول خواتيم سورة البقرة كان في المدينة المنوَّرة، حيث تتحدث عن فرض الجهاد، ولم يكن قد أُذن به إلا في المدينة المنورة.

ثالثاً: لو فرضنا نزولها ليلة الإسراء والمعراج لما استُسيغ ثقل الآية ﴿**وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ**﴾ على قلوب الصحابة لعلمهم بقوله: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا** ﴾.

رابعاً: قوله في الرواية الثانية تُظهر أن الآية (٢٨٥) نسخت سابقتها، وقد نزلت بمعزلٍ عن التالية لها لقوله: (فلما فَعَلُوا ذلك نَسَخَهَا الله ﷻ فَأَنْزَلَ:﴿ **لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**..﴾).

وما يميل إليه الباحث أنَّ سُورة البقرة جميعها نزلت بعد الهجرة، فهي مدنيَّةٌ، والله تعالى أعلم.

ثانياً: زمان نزولها:

بعد بيان اتفاق العلماء على بدء نزول سورة البقرة بعد الهجرة، بحثت عن تحديد تاريخ ذلك ولكني لم أقف على رواية تذكر وقت ابتداء نزولها، فحاولت جمع الروايات ذات العلاقة بزمان نزولها والربط بينها للوصول لأقرب تاريخ يمكن القول ببدء نزولها فيه، ومما يُستدل به على بدء نزول سورة البقرة بعد الهجرة، قول عائشة ﵂(**وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّساء إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ**)[١] تقصد النَّبيﷺ ولم يدخل النَّبي ﷺعلى عائشة إلا في المدينة[٢]، ولم تكن قبل ذلك تسكن بيته، وعن عائشة﵂ **(أَنَّ النَّبي ﷺ تَزَوجَها وهِيَ بنتُ ستِ سِنِين وأُدخلتْ عَليْه وهِيَ بِنْتُ تسعْ ومَكثْتُ عنده تِسْعاً)**[٣] ومن ذلك يتضح أن زمن بداية نزول سورة البقرة كان بعد انتقال عائشة للحياة في بيت النَّبي ﷺ بعد بناءه بها، وقد تحقق ذلك في نهاية العام الأول للهجرة في شهر شوال، كما رُوي عن عائشة﵂ قالت: **(تَزَوجَنِي رَسُولُ الله ﷺ في شَوَّال، وبَنَى بِي في شوَّال)**[٤] ويؤكد ذلك قولها: **(ومكثت عنده تسعاً)** والنَّبيﷺ مكث في المدينة عشرة أعوام[٥]، فقد أسقطت العام الهجري الأول

---

[١] صحيح البخاري: ك- فضائل القرآن، ب- تأليف القرآن، ج٦، ص١٨٥، ح ٤٩٩٣.

[٢] انظر: المرجع السابق، ك- فضائل الصحابة، ب- تزويج عائشة، ج٥، ص٥٥، ح ٣٨٩٤.

[٣] المرجع نفسه: ك- النكاح، ب- إذا كان الولي هو الخاطب، ج٧، ص١٧، ح٥١٣٣.

[٤] صحيح مسلم: ك- النكاح، ب- تزويج البكر الصغيرة، ج٤، ص١٤٢، ح٣٥٤٨.

[٥] انظر: الرَّحيق المختوم، المبآركفوري، ص٤٦٦.

من حسابها، وإذا علمنا أنَّ "دخول النَّبي ﷺ المدينة كان في ربيع الأول"[1] استطعنا القول بأن دخول عائشة بيت رسول الله ﷺ كان بعد الهجرة بسبعة أشهر، وبذلك يتضح أنَّ بداية نزول سورة البقرة كان في نهاية العام الهجري الأول، واستمر نزولها منجمةً على مدار تسع سنوات، "وآخر آيةٍ نزلت على النَّبي ﷺ قوله تعالى:﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾(البقرة: ٢٨١) وعاش النَّبي ﷺ بعدها تسع ليال"[2].

ثالثاً: جو نزول السُّورة:

إنَّ البيئة التي نزلت فيها السُّورة، والمعرفة بمكوناتها وخصائصها، باعث أساس لا يَستغنِي عنه المفسِّر لمعرفة مكنُون الآيات، والحكمة التي أرادها الله ﷻ من نزولها، كما أنها البوصلة المُوجِّهة للمعنى الحقيقي إذا ظهر لبعض العقول غير ذلك.

وبعد علْمنا أنَّ سورة البقرة نزلت في المدينة المنوَّرة بداية الهجرة، ومع دراستنا للسِّيرة النَّبوية المطَّهرة التي أظهرت لنا حقيقة مَكر اليهود، وخُبثهم، وغدرهم، وإثارتهم للفتن بين المؤمنين، وظهور طائفة منهم أظهرت الإسلام لتهدمه من الدَّاخل، أمكننا معرفة مراد الله ﷻ من ذكر قصص بني إسرائيل وطبيعتهم النَّفسية في التَّعامل مع أهل الحقِّ وبيان خصالهم، وكل ذلك كان بمثابة تقريراً استخبارياً أظهره الله ﷻ لرسوله ﷺ، وللمؤمنين بعد وصولهم المدينة، ليرسم لهم خارطة الطَّريق التي سيسلكونها في بناء دولتهم، ويُبرز لهم المعوِّقات التي تحيط بهم، حيث كانت قبائل اليهود تحيط بالمدينة "فنبَّهت المؤمنين إلى خبثهم ومكرهم، وما تنطوي عليه نفوسهم الشرِّيرة من اللُّؤم، والغدر، والخيانة، ونقض العهُود، والمواثيق، إلى غير ما هنالك من القبائح، والجرائم التي ارتكبها هؤلاء المُفسدون، مما يوضح عِظَم خطرهم، وكِبَر ضررهم على البشرية، وقد تناول الحديث عنهم ما يزيد على نصف السُّورة الكريمة"[3].

وبعد تحصين السُّورة للمجتمع المسلم من الخارج، أخذت في عرض الشَّرائع، والقوانين، والقيم التي تحفظ المجتمع من الداخل، وبينت للمؤمنين أنَّ الله ﷻ يريد للناس الخير، والشَّيطان وحزبه يريدون لهم الضلال حسداً وحقداً، وأمرتهم باتباع سبيل الله ﷻ بالتزام ما أمرهم به، واجتناب ما نهاهم عنه، وقد "امتاز العهد المدني بتقرير الشَّرائع، والأحكام، لذلك نجد السُّورة تنسجم مع هذا الاتجاه فتبين أحكام القصاص، والوصية، والصوم، والجهاد، والحج، والزواج، والطلاق، والصَّدقة،

---

[1] الرَّحيق المختوم: المبآركفوري، ص٤٦٦.

[2] أسباب النزول: الواحدي، ص١١.

[3] صفوة التَّفاسير: الصَّابوني، ج١، ص١٢.

والرِّبا، والدَّين، فأصبح بذلك لدى المؤمنين في المدينة دستوراً ربانياً شاملاً، صالحاً لكل مكان وزمان"[1]، وبذلك يظهر مدى الانسجام التام بين جو نزول السُّورة ومضمون آياتها.

المطلب الثالث: فضل السُّورة.

لقد تميزت سورة البقرة عن باقي سُور القرآن الكريم بأنها سنام القرآن وفُسطاطه، لِعِظَم شأنها، واشتمالها على أحكام كثيرة، ولمَّا كان العدو الأول للإنسان هو الشَّيطان الرجيم، الذي يصده عن سبيل الله ﷻ، ويدعوه لعدم الالتزام بأحكامه التي أنزلها في القرآن الكريم، ظَهر فضل سورة البقرة بأنها الحِصْن الحَصِين للمؤمنين من مكر ووساوس الشَّيطان اللِّعين، ودلَّ على ذلك ما روي عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: **(لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ الْبَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ الْبَقَرَةِ)**[2].

ومن لم يستطع قراءة سورة البقرة كل يوم في بيته، حثَّه النَّبي ﷺ على قراءة آخر آيتين منها قبل النوم حتى يعصمه الله ﷻ من الشيطان الرجيم، ومن كل شر، كما روي عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ﷺ أَنَّ رسول الله ﷺ قال: **(الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ)**[3].

المطلب الرابع: المحور الأساسي للسورة.

لقد أمعن الباحث النَّظر في المواضيع التي تناولتها سورة البقرة، وتدبَّر مقاطعها للوقوف على هدف كل مقطع، وعلاقته بالمحاور الأساسية التي تناولتها السُّورة، ليجد الباحث أنها تحدثت عن المكونات الفكرية للمجتمع، والتي تؤول إلى ثلاث فرق:-

أولاً: المخلصون:

وهم المؤمنون الثابتون على مبادئهم، والمضحون بأموالهم، وأنفسهم من أجل نصرة دينهم، فهم المُستحقون للخلافة في الأرض، ما ثبتوا على ذلك، وذكرت السُّورة بعض صفاتهم، حيث قال تعالى:﴿**ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ *وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ**﴾ (البقرة٣-٤) فالآيات تُرشد إلى أنَّ الأفضلية ليست بالاسم أو النَّسب، وإنَّما بمُستوى الإيمان بالله ﷻ، والتزام أمره "وهؤلاء الموصُوفون بما ذكر من الإيمان الحق بالغيب، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والاعتقاد باليوم الآخر، والإيمان بالقرآن، وبالكتب المنزلة قبله،

---

[1] في ظلال القرآن: سيد قطب، ج١، ص٣٤.

[2] صحيح مسلم: ك- صلاة المسافرين، ب- استحباب صلاة النافلة، ج٢، ص١٨٨، ح١٨٦٠.

[3] صحيح البخاري: ك-فضائل القرآن، ب- في كم يقرأ القرآن، ج ٥، ص٨٤، ح ٤٠٠٨.

هم على نور وهداية من ربهم، وعلى منزلة عالية عند اللّه ﷻ، وهم الفائزون بالدرجات العالية في جنات الخلود"[١].

ونرى السُّورة تُبيِّن الأسباب التي دعت لِخلع رداء شَرَف الاستخلاف في الأرض عن بني إسرائيل، بعد نُكولهم عن حمل الأمانة، ومعصيتهم لله ﷻ ورسوله ﷺ، وتَعرض السُّورة وجوهاً كثيرة، وصوراً مُتعدِّدة لجحودهم، وسخافة تفكيرهم، ونظرتهم المادِّية التي لا تسمو بالروح لتكون متهيئة لحمل أمانة السَّماء، ثمَّ تهدف السُّورة لإعداد الجماعة المسلمة لحمل أمانة الدعوة والخلافة في الأرض، وتحذيرها من العثرات التي تسببت في تجريد بني إسرائيل من هذا الشَّرف العظيم[٢].

ثانياً: المنتفعون:

وهم المنافقون الذين تقودهم أهواؤهم ومصالحهم، فإذا كان النَّصر للمؤمنين قالوا إنَّا معكم، وإذا كان النَّصر للعدو أظهروا ما يُبطنون من كُره للمؤمنين وموالاة للعدو، وقد بيَّن الله ﷻ حقيقتهم بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ *يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: ٨-٩).

وهؤلاء أخطر على الأمَّة ممَّن أظهر عداءه لها، لأنهم كالسُّم ينخُر في الجسد، وقد ذكر الله ﷻ صفاتهم وبيَّن خُبثهم، ومكرهم، وضرب فيهم الأمثال، محذراً من خطرهم الفتَّاك بالمجتمع، مبيناً أساليبهم في بث روح الهزيمة في نفوس العباد، ولا تقتصر هذه الفئة على من كانوا في عهد رسول الله ﷺ، بل تشمل كل من اتصف بهذه الصفات في كل زمان ومكان[٣].

ثالثاً: الأعداء:

وهم أهل الكتاب، وكل من يُظهر عداءه للمسلمين، وسبب ذلك يكمُن في شُعورهم بأفضليتهم، وأحقيتهم في الخلافة من أهل الحق، لذلك امتنعوا عن سماع كلام الله ﷻ، وأقفلت قلوبهم عن فهمه، كما قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(البقرة ٦-٧).

فهُم قد "جحدوا بآيات اللّه ﷻ، وكذَّبوا بالقرآن الكريم، وبمحمد ﷺ، يستوي عندهم الإنذار وعدمه، فلا تتأثر قلوبهم به، لأنها مغلَّقة لا يصل إليها النُّور الإلهي، ولا يُشرق فيها إيمان، بسبب تعاميهم عن الحق وآيات اللّه ﷻ"[٤].

---

[١] التَّفسير المنير: الزُّحيلي، ج١، ص٧٥.

[٢] انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص٢٨.

[٣] انظر: التَّفسير المنير، الزُّحيلي، ج١، ص٨١.

[٤] المرجع السابق: ج١، ص٧٨.

فتناولت السُّورة هذه الفرقة بذكر أفسدها، وهم بنو اسرائيل، وأسهبت في فضحهم، وكشف حقيقتهم "فهم كفروا بنعمة اللّه ﷻ، ولم يقدّروا نجاتهم من فرعون، وعبدوا العجل، وطالبوا موسى ﷺ بطلبات على سبيل العناد والمكابرة والتَّحدي، وبالرغم من تحقق مطالبهم المادِّية كفروا بآيات اللّه ﷻ، وقتلوا الأنبياء بغير حق، ونقضوا العهود والمواثيق، فاستحقوا إنزال اللَّعنة بهم، وغضبَ اللّه ﷻ عليهم، وجعلهم اللّه ﷻ أذلاء منبوذين مطرودين من رحمته"[1].

والنَّاظر للماضي والحاضر يجد أنَّ الأعداء يستغلون هوى المنافقين، لتجنيدهم في صفوفهم، وهدم المجتمع الإسلامي من الدَّاخل، بإثارة الفتن، وإفساد حياته ليسهل عليهم تقويضه.

ونجد هذه المحاور الثلاث تجتمع عند بؤرة واحدة تسمى الاستخلاف في الأرض، ويتمثل ذلك بالمحور الرئيس للسورة، وقد بينت السُّورة الأمَّة المستحقة للخلافة وخصائصها، والعوائق التي تواجهها في سبيل تحقيق غاية الخلق، فاستهدفت السُّورة إصلاح النفس المؤمنة، واستبصارها بالحق، محذرةً إيَّاها من الضلال عن السبيل، وعصيان الأمر الالهي، وذكرت قصة بني إسرائيل كأنموذج لمن فشلوا في حمل الأمانة، زجراً عن اقتفاء أثرهم، وحذَّرت من مكر المنافقين وخبثهم حمايةً للمجتمع الإسلامي من الداخل.

المطلب الخامس: الأهداف العامة للسورة.

مما لا شك فيه أنَّ لكل آيةٍ من القرآن الكريم هدفاً أراده الله ﷻ من إنزالها، وهذه الآية تترابط مع الآيات المجاورة لها لتشكِّل وحدةً موضوعيةً ذات هدفٍ موحدٍ، وهذه الوحدات تتشابك مع بعضها البعض في كل سورةٍ لتكون هدفاً عاماً لما تحتويه، مرتبطاً بالمحور الرئيس، الذي تدور حوله أحداث السُّورة، وكل ذلك لا يخرج عن الهدف العام الذي أُنزل القرآن الكريم من أجله متمثلاً بالهداية والإعجاز، ومن الأهداف العامة لسورة البقرة:

١- ترسيخ أصول العقيدة الإسلامية، وذكر أدلة التَّوحيد، ومبدأ خلق الإنسان.
٢- بيان أصناف الخلائق أمام هداية القرآن، وهم مؤمنون، ومنافقون، وكافرون.
٣- كشف فساد عقيدة اليهود، وانحرافهم، وتحذير المؤمنين من اتباع سُبلهم.
٤- توضيح أثر الأحكام والشرائع الإسلامية في إصلاح النظام الاجتماعي.
٥- عرض أسس العقيدة الإسلامية التي يَبعث الإيمان بها على الالتزام بما أمر الله ﷻ به[2].

---

[1] التَّفسير المنير: الزُّحيلي: ج١، ص٩٦.

[2] انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها: عبد الله شحادة، ص ١٣.

والملاحظ من الأهداف السابقة الترابط فيما بينها، وتحقيقها لهدف السُّورة العام المتمثِّل في بناء الأمَّة المستحقة للخلافة في الأرض، حيث خطَّت لهذه الأمَّة السبيل الأوحد لتحقيق هذه الغاية، محددةً مرتكزاتها المتمثلة بصلاح العقيدة، والحكم بما أنزل الله ﷻ، وإخلاص الطَّاعة له، وحذَّرتها من سُبل الانحراف المتمثلة بالفساد العقائدي، والفكري، والسلوكي، مستدلةً بمثال واقعي لفساد بني اسرائيل مبينةً ووجوهه المتعددة.

ويَظهر أيضا من خلال الأهداف السَّابقة البنيان التكاملي للقرآن الكريم، وضرورة الأخذ بشموليته، وأنه كل لا يتجزأ، من خلال عرض بعض الأحكام التشريعية في هذه السُّورة، وتفرق مكملاتها من الأحكام في السُّور الأخرى، فلا يُكتفى بأخذ الحكم من سورة واحدة، بل يجب الوقوف على أركانه وحيثياته من جميع سور القرآن، وذلك يظهر لنا النَّسيج المتكامل للقرآن الكريم، فالأحكام تؤخذ من مجموع سُوره.

المطلب السادس: المناسبات في سورة البقرة.

أولاً: المناسبة لغة واصطلاحا:

المناسبة في اللُّغة: مشتقة من نَسَبْ، وتعني القَراباتِ، ففلانٌ يناسِبُ فلاناً فهو نَسِيبه أَي قَريبه، وهي بمعنى المشاكلة والمقاربة[١] والمُناسَبةُ هي المُشَاكَلَةُ، يقالُ: "بين الشَّيْئَيْن مُنَاسَبَةٌ وتَنَاسُبٌ، أَي مُشَاكَلَةٌ وتَشَاكُلٌ"[٢].

المناسبة في الاصطلاح: إظهار "وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أوبين السورة والسورة"[٣].

ويقول الإمام البقاعي في تعريفه لعلم المناسبة: "عِلم مناسبات القرآن الكريم، علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لِما اقتضاه من الحال"[٤].

ويقول الدكتور مصطفى مُسلم: "هي الرَّابطة بين شيئين بأي وجه من الوجوه، وفي كتاب الله ﷻ تعني ارتباط السُّورة بما قبلها وما بعدها، وفي الآيات تعني وجه الارتباط في كل آية بما قبلها وما بعدها"[٥].

---

[١] انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج١، ص٧٥٥.

[٢] تاج العروس: الزبيدي، ج٤، ص٢٦٥.

[٣] مباحث في علوم القرآن: منَّاع القطان، ص٩٢.

[٤] نظم الدُّرر: البقاعي، ج١، ص٦.

[٥] مباحث في التَّفسير الموضوعي: مصطفى مُسلم، ص٥٨.

أمَّا الدكتور محمد بازمول[١] فعرَّفه بقوله: "معرفة مجموع الأصول الكلية والمسائل المتعلقة بعلل ترتيب أجزاء القرآن العظيم بعضها ببعض"[٢].

ويرى الباحث أنَّ جميع التعريفات السَّابقة تسعى لإثبات الترابط اللفظي والمعنوي والدلالي بين آيات القرآن الكريم وسوره، ويسعى واضعوها لاستحداث علم متخصص في الكشف عن أوجه الارتباط بين الآيات وفق قواعد وأسس علمية متفق عليها، للكشف عن أسرار نظم القرآن، وإظهار وجوه إعجازه.

ثانياً: مناسبة السُّورة لما قبلها.

لمَّا كانت سورة الفاتحة سابقةً لسورة البقرة، وقد علمنا أنَّها أُمُّ القرآن لاشتمالها على أصول الدِّين وفروعه، وتضمُّنها لمقاصده العامَّة، كان لابد من تعدد وجوه المناسبة بينها وبين جميع سُور القرآن الكريم عامةً، وسورة البقرة خاصةً، كونها مجاورة لها في ترتيب المصحف، ومن أوجه المناسبة بين السُّورتين:

١- سورة الفاتحة للقرآن الكريم بمثابة الديباجة للكتاب، فهي موجز في قمة البلاغة، وروعة النَّظم وجوامع الكلم، والسُّور التي تليها بمثابة العرض لما تحمله من مقاصد[٣].

٢- كل سورة في القرآن الكريم تفسير لإجمال ما قبلها، وشرح له وإطناب لإيجازه، وسورة البقرة اشتملت على تفصيل جميع إجمالات الفاتحة، فقوله تعالى:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ تفسيره ما أمر الله ﷻ به في سورة البقرة من الذِّكر، والدُّعاء والشُّكر، وقوله تعالى ﴿ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(الفاتحة:٢) شرحه الله ﷻ في سورة البقرة بقوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾(البقرة:٢٩) وأشار إلى ذلك بذكر قصة خلق آدم ﷺ الذي هو أصل البشر.

٣- أنَّ المراد بقوله تعالى: ﴿ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾(الفاتحة:٧) هم اليهود والنَّصارى، ولقد جاء ذكرهم في الآية حسب الترتيب الزَّماني، وروعي هذا في سورتي البقرة وآل عمران، حيث

---

[١] محمد بن عمر بن سالم بازمول ولد بمكة المكرمة، حصل على دكتوراه في الكتاب والسنة (القرآن وعلومه، والحديث وعلومه) سنة ١٤١٤هـ من جامعة أم القرى. يعمل حاليا كعضو بهيئة تدريس بجامعة أم القرى، مل مديراً لمركز إحياء التراث، بمعهد البحوث العلمية وإحياء التراث، بجامعة أم القرى، كما شارك في مؤتمرات وندوات عدة، (http://www.bazmool.net)

[٢] علم المناسبات في السُّور والآيات: محمد بازمول، ص٢٧.

[٣] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج١، ص١٥٣.

أسهب في ذِكر المغضوب عليهم، وبيان سبب هذا الغضب في سورة البقرة، وفصَّل في ذِكْر الضالِّين، وفساد عقيدتهم في سورة آل عمران، وهذا وجهٌ بديعٌ في ترتيب السُّورتين، وإبرازاً لوجه المناسبة بينهما وبين سورة الفاتحة.

٤- التناسق التام بين خاتمة سورة الفاتحة وخواتيم سُورة البقرة، حيث خُتِمت كلتاهُما بدعاء المؤمنين لأنفسهم بالهداية واتِّباع الصِّراط المُستقيم، غير أنَّ الدُّعاء في ختام سُورة البقرة كان فيه الرجاء من الله ﷻ أن يعفوَ عن الخطأ، والنِّسيان ومالا طاقة لهم به تفصيلاً لدُعاء سورة الفاتحة[١].

ثالثاً: مناسبة السُّورة لما بعدها:

لقد أمرنا الله ﷻ بتدبر آيات القرآن الكريم، وذلك في قوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾(النساء:٨٢) ويكون التَّدبر بفهم المُراد من كلام الله ﷻ، وإعمال العقل وفق ما حدده الله ﷻ، للكشف عن الأسرار البلاغية، والبنائية، والموضوعية لآيات وسُور القرآن الكريم، وإنْ كنَّا تدبَّرنا وجه التناسب بين سُورة الفاتحة التي هي رأس البناء الهرمي لسور القرآن الكريم، وسورة البقرة التي تُمثِّل فُسطاطه، كان لا بد من الكشف عن وجه علاقتها وتناسقها مع سورة آل عمران حتى أُطلق عليهما الزهراوين، وكان من أوجه المناسبة بينهما:

١- اقترانهما بالاسم، والفضل كما قال رسول الله ﷺ:(**اقْرَءُوا القرآن فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آل عمران، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا...**)[٢] وتسميتهما بالزَّهراوين يُبرهن على اتِّحادهما في مقصد الهُدى والإصلاح، ودفاعهما عن قارئهما يوم القيامة.

٢- اشتراكهما في ذكر اسم الله الأعظم، وبين البقاعي التَّلازم، والتكامل بين السُّورتين بقوله: "فلذلك انتظم بالسُّورة التي ذُكرت فيها البقرة السُّورة التي يُذكر فيها آل عمران، لِما نزل في سورة آل عمران من الإحاطة الإلهية حتى كان في مُفتتحها اسم الله الأعظم، فكان ما في البقرة إفصاحاً في سورة آل عمران إلاحة[٣]، وكان ما في البقرة إلاحة في سورة آل عمران إفصاحاً"[٤] فكلاهما تكمِّل موضوع الأخرى، وتزيد من بيانه، وبذلك يظهر مدى الترابط بينهما.

---

[١] انظر: تناسق الدُّرر في تناسب السُّور، السَّيوطي، ص٦٤-٧٠.

[٢] سبق تخريجه: انظر ص١٢.

[٣] إلاحة: الإشارة والتعريض وهي مقابل التصريح، (تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي، ص: ١٧٣٧)، معجم اللُّغة العربية المعاصرة، ج٣، ص٢٠٤٥.

[٤] نظم الدُّرر: البقاعي، ج١، ص٤٧٠.

٣- التشابه بينهما في المطلع، فقد ابتدأت السُّورتان بـ﴿الٓمٓ﴾ ونحن نؤمن بأن جميع السُّور التي ابتدأت بها بينها أوجه ارتباط، فلماذا اختار الله ﷻ هذه الحروف خاصةً لهذه السُّور؟ لا شك أنَّ هناك حكمةً لا نعلمها، لكننا نُدرك بأنَّ "التَّشابه في المطلع والعنوان لا يدل إلا على التَّشابه فيما وراءه من المعنى والموضوع، والأمر في الواقع هكذا فإنَّ الموضوع في كلتا السُّورتين جدٌّ متقارب حيث إنَّ الأولى دعوةً للإيمان بالقرآن، والتمسك به، كما أنَّ الثانية دعوةً إلى اتباع الرسول ﷺ والمُسارعة إلى أوامره"[١].

٤- جاءت آيات آل عمران شارحة ومفسِّرة لإيجاز آيات البقرة، فلقد ذَكر الله ﷻ في سورة البقرة القرآن الكريم بوصفه كتاباً يُشَك في تنزيله منه ﷻ فقال:﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ ﴾(البقرة: ٢) ثمَّ أطنَب في سورة آل عمران فبيَّن أنَّ القرآن الكريم يشترك مع الكتب السَّابقة عامةً والتوراةَ والإنجيلَ خاصةً في كونه من عند الله ﷻ وأنَّه مصدقٌ لما جاء فيهما من آياته، فقال تعالى: ﴿ نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج ﴾(آل عمران:٣) ثمَّ فسَّر المُجمل، ببيان مضمون الكتاب المُنزَّل فقال:﴿لي ما مم نر نز نم نن نى ني ير يز يم ين﴾ (آل عمران:٧) أيْ أنَّ القرآن الكريم احتوى على آيات لا يَختلف النَّاس في فهم المُراد منها، وآيات تتفاوت العقول في الوقوف على معناها، وفي مثال آخر: أوجز في سورة البقرة ذِكر المقتولين في سبيل الله ﷻ بقوله: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾(البقرة: ١٥٤) وأطنب في آل عمران موضحاً حالهم فقال تعالى: ﴿فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾(آل عمران:١٧٠) وبذلك يتَّضح الانسجام التَّام والتَّناسُق الكامل لآيات القرآن الكريم وسُوره فهي كالبنيان المرصوص يشدُّ بعضه بعضاً[٢].

٥- التناسب بينهما في تسلسل الأحداث، وذلك جلياً في قصة خلق آدم ﷺ حيث بدأ الله ﷻ به الخلق فأوجده من تراب، ثمَّ سواه فنفخ فيه من روحه فأصبح بشراً من غير أب وأم، فناسب ذكر القصة في سورة البقرة كونها أول سورة من المفصَّل، وفيها تذكير المخاطَبين بأصلهم، وناسبها ما في سورة آل عمران من رد على اليهُود الذين استنكروا خلق عيسى ﷺ من دون أب فاستدل الله ﷻ للرد عليهم بقصة خلق آدم فقال تعالى:﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ (آل عمران:٥٩) إذ كيف تنكرون خلق عيسى ﷺ من أم دون أب؟ وقد

---

[١] التناسب في سورة البقرة: طارق حميدة، ص٢٢٢.

[٢] انظر: تناسق الدُّرر في تناسب السُّور، السَّيوطي، ص٧١.

صدَّقتم ما هو أعظمُ في الخلق، حيث خُلق آدم من غير أمٍ ولا أبٍ؟!، وهذا يُظهر التَّناسق في تسلسُل الأحداث، إذ كيف يَصح الاستدلال بشيء لم يُذكر مسبقاً[1].

رابعاً: مناسبة أول السُّورة بآخرها.

إنَّ المتدبِّر لآيات الله ﷻ، النَّاظر لمضمُون كلِ سورةٍ يجد أنَّها تتناسَق مع بعضها، مشدودةَ الأوصَال نحو محورها، متجهةً نحو هدفها، فهي كالبنيانِ المرصُوص الذي يشدُّ بعضه بعضاً، فكلُّ سورةٍ في القرآن الكريم يُناسب مطلعُها خاتمتَها، وسورة البقرة يظهر التَّناسُق والانسجام التَّام بين مطلعِها الذي تطرَّق لصفاتِ المؤمنين، وخاتمتُها التي أظهرت تضرُّع المؤمنين لربهم ولجوئهم إليه، ومن أوجه المُناسبة بين هذا المطلع، وتلك الخاتمة:

١- الإيجاب من الله ﷻ والقبول من العبد:

لقد تمعن الباحث الآيات بفكرٍ مُستنير، ورجا من الله العلي القدير الإعانة على الفهم والتَّفسير، فأدرك المعنى الحقيقي للتجارة مع الله ﷻ، فمَطلع السُّورة يتضمَّن عَرض الله ﷻ على عباده أنْ يلتزموا بالمنهج الذي بيَّنه في كتابه الكريم، مبيناً أنَّ فيه الصلاح في الدنيا، والفلاح في الآخرة، فقال تعالى:﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴾(البقرة:٢) ثمَّ بيَّن الصِّفات المؤهلة للفلاح بتوقيع عقد الاستخلاف في الأرض، فقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ * وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾(البقرة:٣-٤) ثمَّ جاء عرض أحداث السُّورة مبينة لتفاصيل العقد، والشروط اللازمة لسريانه، محذرةً مما يترتب عليه فَسخ هذا العقد كما حدث مع بني إسرائيل، فجاءت خواتيم السُّورة إجابةً لمطلعِها بقبول المؤمنين من أُمَّة محمد ﷺ بهذا العقد، والتزامهم بكل ما جاء فيه، وهذا جليٌ في قوله تعالى:﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾(البقرة:٢٨٥) فقوله آمن جاءت بصيغة الماضي لتدلل على الإقرار والموافقة على عقد الاستخلاف في الأرض، ثمَّ تبع ذلك قولهم: ﴿وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ﴾ تأكيداً على ذلك، ثمَّ ختم السُّورة برفع الحرج عن المؤمنين بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾(البقرة:٢٨٦) ليؤكدَّ على أنَّ الخطأ غير العمد، والنِّسيان لا يؤثر على سريان العقد، واصطفائهم على الخلق بخلافة الأرض، ثمَّ جاء الرجاء من الله ﷻ أنْ يوفقهم لتحقيق هذه المهمة، ونصرهم في محطَّات صراعهم مع أهل الباطل، في قوله تعالى:﴿أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ (البقرة:٢٨٦).

---

[1] انظر: البرهان في تناسب سور القرآن، الثقفي، ص٨٩.

٢- بيان المجمل:

لقد امتاز نَظْم مطلع السُّورة بالإيجاز، وهذا يعطي براعة الاستهلال، وجاءت خاتمة السُّورة مبينة لهذا الإيجاز، وأوجزت ما تم بيانه في مطلعها، لترسم لوحةً فنيةً متناسقةً واضحة المعالم، ففي قوله تعالى:﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾(البقرة:٢) لم يفصح عن هويتهم، بل ذكر صفاتهم فقط، وفي ختام السُّورة بين أنهم المؤمنون من أمة محمد ﷺ فقال تعالى:﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾(البقرة:٢٨٥) وفي مطلع السُّورة ذكر الإيمان بالغيب مجملاً فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾(البقرة:٣) وفسر ذلك فقال في ختام السُّورة:﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾(البقرة:٢٨٥) فالإيمان بالله والملائكة من الأمور الغيبية التي لا تدركها الحواس، أما في قوله تعالى: ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾(البقرة:٣) فقد جاءت الآيات مبينة، فأجملها بقوله: ﴿وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ﴾(البقرة:٢٨٥) أيْ سمعنا أوامر ربِّنا بإقام الصَّلاة، وإيتاء الزَّكاة وكلَّ ما أوجبه علينا فأطعناه، وقمنا به على أكمل وجه، وهذا يُظهر الانسجام، والتكامل في المعنى والنَّظم بين مطلع السُّورة وخاتمتها[١].

---

[١] انظر: مفاتيح الغيب: الرَّازي، ج٤، ص٦٧.

الفصل الأول

التَّفسير التَّحليلي لمقاصد وأهداف سُورة البقرة (٢٥٣-٢٦٠).

بناء الدَّعامة الأولى لإقامة الخلافة المتمثلة بالدَّعوة إلى الحق.

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تقرير سُنَّة التَّفاضل بين النَّاس.

المبحث الثاني: بناء أسس العقيدة يمثل فسطاط الخلافة.

المبحث الثالث: بيان قيام الإيمان على الإقناع لا على الإكراه.

المبحث الأول: تقرير سُنَّة التَّفاضل بين النَّاس.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان التَّفاضل بين الرسل عليهم الصلاة والسلام في الدرجات.

المطلب الثاني: اظهار تمايز الناس في اتباع الحق.

المطلب الثالث: وضع المقياس العملي للإيمان متمثلاً بالإنفاق في سبيل الله ﷻ.

المطلب الأول: بيان التَّفاضل بين الرسل عليهم الصلاة والسلام في الدرجات.

قال تعالى:﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ ...﴾(البقرة: ٢٥٣).

أولاً: المعاني اللُّغوية:

١- ﴿ ٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ جمع "البَيِّنَة، وبان الشيء بياناً بمعنى: ظهر واتضح، والبيان هو الحجة والمنطق الفصيح"[١]، فالبينات هي الأدلة البليغة الواضحة الواجب اتباعها.

٢- ﴿ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾ القدس: من الطهارة، والمراد صاحب الروح الطاهرة، وهو جبريلﷺ[٢].

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- في قوله: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾:

- جاء بلفظ (تلك) التي للواحدة المؤنثة، رغم أن المشار إليه جمعاً، لأنه جمع تكسير وحكمه كالواحدة المؤنثة في الوصف، واستخدم جمع التكسير لاختصار اللفظ، وإزالة التكرار مع فاصلة الآية السابقة[٣].
- استخدم اسم الإشارة "الدال على البعيد، لبيان علو مراتبهم في الكمال، وسُمو شأنهم"[٤] وتُوحي كذلك بالبعد الزمني بين محمد وعيسى، ومن قبله موسى عليهم الصلاة والسلام[٥].

٢- في قوله: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾ فيها "التفات عن الضمير إلى التعبير بالظاهر، وهدفه لفت الأذهان إلى هذه المنقبة تفخيماً وتعظيماً لها"[٦].

٣- الإبهام في قوله تعالى:﴿ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ۚ ﴾ فالإبهام فيه من "التفخيم والتنويه بالمنزلة ما لو نطق به لم يعدل إبهامه لما ينطوي عليه من شهادة بأنه العلم الذي لا يشتبه به، والمتميز على غيره فعدم الذكر أبلغ من الذكر، والإبهام أبلغ من الإيضاح"[٧].

---

[١] مختار الصِّحاح: الرَّازي، ج١، ص٤٣.

[٢] انظر: المعجم الوسيط، مَجْمع اللغة العربية، ج١، ص٨٠.

[٣] انظر: البحر المحيط، أبو حيَّان، ج٢، ص٢٠٢.

[٤] التَّفسير المنير: الزُّحيلي، ج٣، ص٥.

[٥] انظر: البحر المحيط، أبو حيان، ج٢، ص٢٠٢.

[٦] تفسير المنار: محمد رشيد، ج٣، ص٤.

[٧] إعراب القرآن وبيانه: درويش، ج١، ص٣٧٩.

ثالثاً: المناسبة:

تتجلى مناسبة الآية للسياق بأنه "لمَّا ذكر تعالى في الآيات السابقة اصطفاء طالوت على بني إسرائيل، وتفضيل داود ﷺ عليهم بالملك والنبوة، ذكر في هذه الآية أنَّ المرسلين ليسوا على درجةٍ واحدةٍ، بل بعضهم أفضلُ من بعض، كما يكون التَّفاضل بين البشر"[1].

رابعاً: المعنى العام:

يخبرنا الله ﷻ بأنه كما فاضل بين البشر عامةً، وجعلهم درجات، قد فاضل الله ﷻ أيضاً بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام باصطفائه الرسل عليهم الصلاة والسلام، وقد فاضل بينهم كذلك، ولا يكون هذا التَّفاضل بمراتب الإيمان، فكلهم في إيمانهم بالله ﷻ ووجوب الإيمان بهم متساوون في المرتبة، ولا يعني كذلك التفضيل لأشخاصهم من باب التعصب لأحدهم على حساب الآخر، بل من باب التمييز بينهم في المعجزات، والصِّفات، والنَّفع العام، فكل نبي منهم تميز بصفة أو معجزة لم يشترك فيها غيره من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقد تميز موسى ﷺ بتكليم الله ﷻ دون العروج إلى السماء، فكانت ميِّزة له عن باقي الرسل عليهم الصلاة والسلام، وخصَّ محمد ﷺ بمراتب وصفات رفعه الله ﷻ بها درجات على باقي الرسل عليهم الصلاة والسلام، فقد أمَّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في المسجد الأقصى، وكانت شريعته ناسخة لشرائعهم، أما عيسى ﷺ فاختُص بمعجزة إحياء الموتى واشفاء المرضى على يديه بإذن الله ﷻ، وبخلقه من أم دون أب، ففُضِّل بهذه الصفات على غيره، وبذلك من كان فاضلاً في صفة كان مفضولاً في غيرها[2].

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- بيان التَّفاضل بين الرسل عليهم الصلاة والسلام، وذلك بقوله تعالى:﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وهذا يستلزم الإيمان بأن جميع الرسل مفضلون عند الله ﷻ على باقي البشر، وذلك باصطفائه لهم من بين أفضل البشر كما قال تعالى:﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾(الحج:٧٥) فالتفضيل يكون من بعد الاصطفاء، ولذلك وجب الإقرار بأن تفضيل أحد الرُسُل عليهم الصلاة والسلام على الآخر، لا يُنقص من مكانة المفضول عند الله ﷻ[3] ويكمُن التَّفاضل في "زيادة الأحوال والخصوص والكرامات والألطاف والمعجزات

---

[1] صفوة التَّفاسير: الصَّابوني، ج١، ص١٠٠.

[2] انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج١، ص٣٣٨، وتيسير الكريم الرحمن، السعدي ، ج١ ص١٠٩.

[3] انظر: التَّفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ج١٣، ص١٠٣.

المتباينات، أما النُّبوة في نفسها فلا تفاضل فيها، وإنَّما تتفاضل بأمور أخرى زائدة عليها"[1] فجميع الرسُل متساوون في مرتبة الإيمان بالله ﷻ وبذلك وجب الإيمان بهم جميعاً على مرتبة واحدة، وعدم التمييز بينهم من باب العصبية القبلية والقومية والهوى.

٢- الإشارة للتَّفاضل بين المخلوقات، حيث إنَّ الرسُل تفاضل عليهم الصلاة والسلام فيما بينهم وهم أفضل الخلق يقتضي تفاضل ما دونهم، وتلك سُنةُ الله ﷻ في خلقه بأن فضَّل بعض المخلوقات على بعض، وسخَّر بعضها لخدمة الآخر، وجعلَ فناء أحدها سبباً لبقاء غيره، وذلك في أدنى سُلم التفضيل، أمَّا في درجاته العُلا فاختص الملائكة بتنفيذ أوامره، وكرَّمهم بتنزيههم عن كثيرٍ من صفاتِ النقص، ثمَّ اصطفى آدم ﷺ على سائر الخلق، وأمر الملائكةَ والجنَّ بالسُجود له تكريماً وتشريفاً، ولم يقتصر هذا التفضيل على آدم ذاته بل امتد ليشمل ذريته فقال تعالى:﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾(الاسراء: ٧٠) وكرَّم الله ﷻ الإنسان بأن خلقه في أجمل صورة، وجعله مزيجاً من طين الأرض وروحانية السماء، وسَخَّر ما في الأرض لخدمته في تحقيق الهدف من وجوده فيها[2].

٣- تثبيت فؤاد محمد ﷺ بتفضيله على سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وذلك بقوله تعالى:﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ وأكثر المفسِّرين على أنَّ المراد بذلك النبي محمد ﷺ، ويقول الرَّازي: "أجمعت الأمَّة على أنَّ بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أفضل من بعض، وعلى أنَّ محمداً ﷺ أفضل من الكل"[3] وقد أُعطي الوسيلة وهي أعلى منزلة في الجنَّة كما قال ﷺ:**(...ثمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ)**[4] وفي ذلك إشارة لأفضلية أمته ﷺ على سائر الأمم، كما قال تعالى:﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾(آل عمران:١١٠) وهذه الخيرية لا تكون إلا بالالتزام بنهجه ﷺ ودعوة النَّاس إلى سبيله، وفي ذلك تسلية لمحمدٍ ﷺ وإعانةً له على نشرِ دعوته، وتبشيراً لكلِ من اقتفى أثره.

٤- بيان أنَّ التفضيل بين الرسُل عليهم الصلاة والسلام لا يكون إلا من قِبل الله ﷻ إذ هو الأعلم بعباده، وعوامل التفضيل لا تدركها عقول البشر، "فلا يصح للناس تفضيل أحد الرُسل عليهم الصلاة والسلام على

---

[1] الموسوعة القرآنية: ابراهيم الأبياري، ج٩، ص١٨١.

[2] انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج٤، ص٢٢٤١.

[3] التَّفسير الكبير: الرَّازي، ج٦، ص٥٢١.

[4] صحيح مسلم: ك-الصلاة، ب- القول مثل قول المؤذن، ج١، ص٢٨٨، ح٣٨٤.

الآخر عن هوى وبغير دليل، فمقام التفضيل عائد إلى الله ﷻ وعلينا الإيمان والانقياد والتسليم"[١].

٥- إثبات صفة الكلام لله ﷻ حيث يقول تعالى:﴿**مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ**﴾ والمراد بذلك تكليم الله ﷻ لموسى ﷺ على جبل الطور، فالله ﷻ يتكلم بكلام يليق بجلاله، وكلامه حقيقي وليس مجازي أو نفسي، إذ هو من صفات الكمال الأزلي لله ﷻ[٢].

٦- تنزيه جبريلﷺ عن صفات النقص البشري، ووصفه بالطَّاهر بقوله تعالى:﴿**بِرُوحِ الْقُدُسِ**﴾ ووصفه بالأمين في قوله تعالى:﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ**﴾(الشعراء:١٩٣) ويشير ذلك لحفظ الله ﷻ لكتابه الكريم بإنزاله بواسطة الأمين جبريل ﷺ على الأمين محمد ﷺ فلم يعتريه نقصٌ، ولا إضافةٌ، ولا تبديلاٌ[٣].

٧- دفْع قارئ القرآن الكريم لتدبر آياته من خلال إبهام اسم المفضول من الرسل عليهم الصلاة والسلام، ليسأل القارئ نفسه من المراد بقوله تعالى:﴿ **وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ**﴾ ثمَّ يتوقف عندها باحثاً عن المراد، ليجد أنه أعظم البشر والأنبياء، حبيبنا ﷺ ولم يُذكر باسمه كسائر الأنبياء في هذا الموضع تعظيماً لشأنه "وبيان أنه العَلَم الذي لا يُشتبه على أحد، والمُتميز الذي لا يُلتبس"[٤].

٨- دحض ادِّعاء النصارى ألوهية عيسى ﷺ، وإثبات أنَّ ما رأوهُ على يديه من إحياء للموتى، وإبراء للأكمه والأبرص كان بتأييد الله ﷻ، وذلك يؤكد حاجته لغيره، والإله لا يحتاج لأحد[٥].

٩- بيان ضعف البشر وحاجتهم لخالقهم، فلا حول لهم ولا قوة إلا بما وهبهم الله ﷻ إيَّاه، فإذا كان الرسُل عليهم الصلاة والسلام وهم أفضل البشر، بحاجة لتأييد الله ﷻ، ودَلَّ على ذلك قوله ﷻ:﴿**فضلنا**﴾ و﴿**رفع**﴾ و﴿**أيدناه**﴾ كان ما دونهم أشدُ حاجةً لهدايةِ، ونصرةِ خالقهم.

ويرى الباحث أنَّ تفاضل الرسل يوحي بتفاضل ما دونهم من البشر، فالله ﷻ لم يجعل النَّاس على قالب واحد، بل مايز بينهم فيما وهبهم من القدرات العقلية والجسدية والمالية وغيرها، ليحتاج بعضهم بعضاً، وتتكامل جهودهم صوب هدف واحد، ولتجتمع هذه الأهداف نحو بؤرة تمثل مهمة الاستخلاف في الأرض، وهذا التصوُّر يدفع الفرد المسلم لبذل أقصى جهده، مستغلاً جميع الإمكانات التي وهبها الله ﷻ له، محدداً هدفاً له في حياته، فإذا حققه تميز عن أقرانه، ثمَّ يرتقي بتحقيقه لمجمع أهداف وصولاً إلى رأس الهرم المتمثل في إمامة الجماعة المستحقة للخلافة.

---

[١] الأساس في التَّفسير: سعيد حوَّى، ج١، ص٥٨٥.

[٢] انظر: تفسير العثيمين، ج٣، ص٢٤٠.

[٣] انظر: المرجع السابق، ج٣، ص٢٤٢.

[٤] الأساس في التَّفسير: سعيد حوَّى، ج١، ص٥٨٤.

[٥] انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص٢٨٣.

المطلب الثاني: اظهار تمايز الناس في اتباع الحق.

قال تعالى:﴿... وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾(البقرة:٢٥٣).

أولاً: وجوه البلاغة:

١- الطباق[١]: في قوله: ﴿ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ﴾ .

٢- الإطناب: في قوله:﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ حيث كرر ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ لتأكيد المقصود[٢].

٣- تقديم المُسَبَب وهو الاقتتال على السَّبب وهو الاختلاف، "فالاختلاف في الإيمان هو سبب الاقتتال، فذكر الله ﷻ أولاً الاقتتال الذي هو النتيجة لهذا الاختلاف، للإشارة إلى بيان أسوأ أحوال الاختلاف" [٣].

ثانياً: المناسبة:

هذا المقطع يلخِّص حقيقة الصِّراع بين الحقِّ والباطل، ويُثبت المشيئة الإلهية المتحكِّمة في ذرات الكون، ووجه ارتباطه بالآيات السَّابقة يَظهر في عدة وجوه منها:

١- يَعرض الجواب الشَّافي والكافي للأسباب الدافعة للصِّراع، والقتال التي تحدثت عنها آيات سورة البقرة عامةً، وقصة بني إسرائيل مع أنبيائهم خاصةً، ويتجلَّى هنا مشهد طلبهم من نبيهم أن يكتب عليهم القتال، فلما كتب عليهم تولَّوا إلا قليلاً منهم، ليؤكد على ما بدأته السُّورة بذكرها أصناف النَّاس تجاه الحق بين مؤمن، وكافر، ومنافق[٤].

٢- الآية "خاتمة لما قبلها مقدمة لما بعدها"[٥]، فقد حثت الآيات السابقة على الجهاد في سبيل الله ﷻ وأسهبت في بيانه، ثمَّ جاءت هذه الآية مبينة لمحركه الرئيس المتمثل في الاختلاف بين النَّاس في التزامهم بأمر الله ﷻ، وقد شَرَّع الله ﷻ الجهاد في سبيله للحفاظ على دينه، ورفع الظلم عن عباده.

---

[١] صفوة التَّفاسير: الصَّابوني، ج١، ص١٠١.

[٢] انظر: الكشاف، الزمخشري، ج١، ص٢٩٨، التَّفسير المنير: الزُّحيلي، ج٣، ص٥.

[٣] زهرة التَّفاسير: أبو زهرة، ج٢، ص٩٢٤.

[٤] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣، ص١٠.

[٥] المرجع السابق: ج٣، ص١٣.

٣- جاءت فاصلة الآية معقبة على مضمون الآية، بأن كل شيء يحدث في الكون لا يخرج عن إرادته ومن ذلك أمر الاختلاف بين البشر، سواء كان هذا مبنياً على الإيمان الكامل به كتفاوت الرسل عليهم الصلاة والسلام في الدرجات والتفضيل، وتفاوت المؤمنين في المراتب والمناقب، أو كان مردوده الجحود والكفر بأنعمه تعالى فكل ذلك تحت حكمه وإرادته[١].

ثالثاً: المعنى العام:

يثبت الله ﷻ أنَّ كلَّ أمرٍ خاضعٌ لمشيئته، وأسيرٌ لحكمته، فلو شاء الله ﷻ ما اقتتلت الأمم التي جاءت بعد الرسل عليهم الصلاة والسلام ، ولجعلهم متَّفقين في اتباع الحق بعد عِلْمهم به وإدراكهم له، وإنَّما ترك لهم حرية الاختيار بعدما أظهر لهم سبيل الرَّشاد، وأيد الرسل عليهم الصلاة والسلام بالمعجزات، والبينات الموجبة لاتباع نهجهم، وحذرهم وبين لهم عاقبة الانحراف عنه، وبعد أن أكرمهم بالعقل المميز بين ما فيه السَّعادة لهم، وما يؤدي للشقاء، ترك لهم حرية التفكر، والإدراك، ليختاروا الطَّريق الذي يبغون، وهنا كان الافتراق، فبعضهم ثبت على درب الحق، وآخرون اتبعوا أهواءهم، فضلوا، وأضلوا، وهذا الباعث الرئيس على الاقتتال بينهم، ولمَّا علِمنا أنَّ سبل الباطل كثيرة ومتشعبة، دبت الخلافات بين أهلها حتى اقتتلوا فيما بينهم، كما وقع مع اليهود والنصارى، وكل ذلك في دائرة المشيئة الإلهية والحكمة الرِّبانية، والهيمنة الكونية، فلو شاء الله ﷻ ألَّا يقتتلوا لما اقتتلوا رُغم اختلاف ميولهم، وأهوائهم، ليميز الخبيث من الطيب من كل فئة، في كل زمان ومكان[٢].

رابعاً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- إثبات خضوع أفعال العباد لإرادة الله ﷻ، فالمتحكم في ذرات الكون لا يخرج عن هيمنته حدثٌ فيه، وقد وهب الله ﷻ خلقه إرادة ينبثق عنها أفعالهم غير أنها جزئيةٌ خاضعةٌ لإرادته تعالى الكلِّية، إن شاء أنفذها، وإن شاء منعها، وبين الله تعالى ذلك بقوله:﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ * وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾(التكوير:٢٨-٢٩) وكلُ ذلك لحكمةٍ عظيمةٍ تتمثل في تحقيق سُنة التَّدافع والتَّمايز بين النَّاس، بعدما صبغهم على طباع مختلفة، وقابلية للخير والشَّر، وخطَّ لهم طريق الفلاح، وأرسل الرسُل للهداية والإصلاح، فيهدي أهل الحق برحمته، ويستدرج أهل الباطل بعدله، ثمَّ يحاسِب كُلاً منهم على اختياره،[٣] ومثل إرادة الله ﷻ لإرادة عباده، كملكٍ له قصر ذو حصنٍ حصينٍ له بابٌ أوحد، ورجلٌ جاء بمطلق

---

[١] انظر: زهرة التَّفاسير، أبو زهرة، ج٢، ص٩٢٦.

[٢] انظر: التَّفسير المنير، الزُّحيلي، ج٣، ص٨.

[٣] انظر: الانتصار في الرد على المعتزلة، يحيى العمراني، ج١، ص٤٩، تفسير الشَّعراوي، الشَّعراوي، ج٢، ص١٠٨٠.

إرادته ليدخُل القصر، فهو حُرٌ في إرادة الدخول أو المغادرة، ولكنه أيضاً خاضع لإرادة المِلك إن شاء سمح له بالدخول، وإن شاء أوصد الباب في وجهه.

٢- بيان سبب الاقتتال بين النَّاس، متمثلاً باختلافهم على أنبيائهم، فبعدما جاء الحق أبلج وأزالت البينات الواضحات طمس العقول، وران القلوب، جحد أصحاب الأهواء الحق بعد ثبوته، وتفانوا في الصَّد عنه، فوقع الخِّلاف بين طائفةٍ تريد الهداية والإصلاح، وأخرى تريد الإضلال والإفساد، وعندما يعجز أهل الباطل من إطفاء نور الحق بأفواههم، يدفعهم غيظهم لمجابهة أهل الإيمان بأيديهم، وهنا يجب على أتباع الأنبياء الدفاع عن دينهم بكل ما استطاعوا، وبذلك يبدأ القتال بين الفئتين، ولولا الاختلاف لما وقع ذلك[١].

٣- إرشاد العباد للتسليم بأنَّ لله ﷻ حكمةً من كل شيء يريده، فلا يفعل شيئاً عبثاً، وقد تقتضي حكمته إظهار أسرار إرادته لبعض عباده، أو الاستئثار بها لنفسه، ويَظهر ذلك في بعض الأمور التي يكون ظاهرُها شراً على المنظور القريب، لكنَّ فيها الخيرُ الوفيرُ على المدى البعيد، كما جاء في سورة الكهف عن قصة موسى والخضر عليهما الصلاة والسلام، إذ إنَّ الحكمة اقتضت خرقَ السفينة لحمايتها من الملك الظالم، وقتلَ الغلام رحمةً بوالديه، وبناءُ الجدار لحفظ مال الأيتام، وذلك يدفعنا لتحري الحكمة من إرادته ﷻ للاقتتال بين النَّاس، لنجد أنَّ فيها حمايةً لدينه، وابتلاءً لعباده، وليَميز الخبيث من الطيب، وذلك لن يحدث إلا بسُنَّة التدافع.

٤- زجر أمة محمد ﷺ عن الخلاف المذموم، والتفرق، والحياد عن سبيل الحق، كما حدث مع الأمم السابقة، مما أدى بهم إلى الاقتتال، من بعد أن جاءهم الحق من الله ﷻ فاختلفوا في فهمه والإذعان له، وبيَّن الله تعالى ذلك في قوله: ﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾(البينة:٤) ولقد جاء الأمر من الله ﷻ صريحاً لعباده بنبذ الخلاف، وأمرهم باتباع سبيل الحق فقال تعالى:﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾(آل عمران: ١٠٣) فالله ﷻ يأمر عباده بطرح النزاع، والتمسك بكتابه، وطاعته، والالتفاف حول أحكامه "حلالها وحرامها، واجتماع المسلمين على وحدة الهدف والغاية من أجل صون الحرمات، والبلاد من عدوان المعتدين، فإنه لم يتوافر لأمة مقومات تجمع بين شعوبها وأفرادها مثل ما توافر لأمة الإسلام"[٢].

---

[١] انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص٢٨٤، أدب الاختلاف في الإسلام، طه العلواني، ص٢٣-٢٥.

[٢] التَّفسير المنير: الزُّحيلي، ج٤، ص٢٩.

٥- إظهار جحود أهل الباطل للحق بعد علمهم به، وتحققهم منه، لمخالفته أهواءهم، وبين ذلك تعالى بقوله:﴿مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ﴾ فقد جاءتهم الأدلة والحجج الواضحة، لكنَّ حبهم للسلطان، وانغماسهم في الرذيلة دفعهم للاستكبار، والصد عن سبيل الله ﷻ[١].

٦- الإشارة إلى أنَّ الصراع بين الحق والباطل ماضٍ إلى يوم القيامة، حيث إنَّ الله ﷻ خلق النَّاس مختلفي النزعات، والتوجهات، وهذا الاختلاف يفضي لنشوب الصراعات بينهم كلٌ يريد تحقيق مراده، فينجح أحدهما ويفشل الآخر، وهنا يتدخل الشَّيطان، فيُشعل نار الانتقام في نفس المُنهزم، فيدفعُه لقتال أخيه الإنسان، بغية إشباع غرائزه، وهذا الاقتتال ينشب بين أهل الباطل أنفسهم، كلٌ يريد الجاه والسُّلطان والعُلو[٢]، لكنْ إذا ترجَّل أهل الإيمان لحلَبة الصِّراع، رأيتَ اتحاد وتمالؤ أهل الباطل في مواجهتهم أجمعين، فيُقتِّلونهم ليصدوهم عن دينهم، وهذا الصِّراع ماض إلى يوم الدين كما بين تعالى ذلك بقوله:﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ﴾(البقرة: ٢١٧).

٧- إلزام أهل الحق بحماية دينهم، والذود عنه بكل ما يملكون، ولو أدى ذلك لقتال أهل الباطل ومن شايعهم، لِما في ذلك من الخير الوفير، والنَّجاح والفلاح لهم وللأجيال القادمة، كما بيَّن ذلك تعالى بقوله:﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾(البقرة: ٢١٦) فرُغم أنَّ النَّفس لا تميل للقتال وسفك الدماء، إلا أنَّها تندفع صوبه حمايةً لدينها، وإظهاراً له على غيره.

وبمجموع الأهداف السابقة تظهر حقيقة الصِّراع بين الحق والباطل، ويتمايز أهل الحقِّ في درجات الإيمان، والتضحية والعمل، ويتفاوت أهل الباطل في الجحود والحقد والإجرام، ليتحقق بذلك مراد الله ﷻ بتمييز الخبيث من الطيب، فيُظهر كلُّ إنسانٍ مكنون نفسه، ويُعرف كلٌ منهم بأعماله، فينبري الصالحون المخلصون لقيادة الأمَّة، ويأخذ كل منهم موقعه المناسب في هرم الخلافة.

---

[١] انظر: تفسير العثيمين، ج٣، ص٢٤٢.

[٢] انظر: زهرة التَّفاسير، أبو زهرة، ج٢، ص٩٢٥.

المطلب الثالث: وضع المقياس العملي للإيمان متمثلاً بالإنفاق في سبيل الله ﷻ.

قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾(البقرة: ٢٥٤).

أولاً: المعاني اللغوية:

١- ﴿ بَيۡعٞ ﴾ مطلق المبادلة، وهو من الأضداد، فيطلق لفظ البيع، ويراد منه الشراء[١].

٢- ﴿ خُلَّةٞ ﴾ مودة وصداقة[٢].

٣- ﴿شَفَٰعَةٞ﴾ طلب الشيء من مالكه تلبية لحاجة غيره[٣].

ثانياً: المناسبة:

بعدما بين الله ﷻ التَّفاضل بين الرسل عليهم الصلاة والسلام في الدرجات، وذكر مظاهره، كان لا بد من بيان تفاضل النَّاس وتمايزهم بين مؤمن وكافر، وبيان تفاضل أهل الإيمان وتفاوتهم في الدرجات، فذكر مؤشراً لذلك من خلال التضحية بالروح والمال، المتمثل بالجهاد والإنفاق.

ولما كان الاختلاف على الرسل عليهم الصلاة والسلام سبباً للاقتتال، أوجب الله ﷻ الجهاد للدفاع عن الحق، ولما كان المجاهدون يحتاجون للمال لبناء العُدة والعتاد، ذكر الإنفاق في سبيل الله ﷻ ليُرسِّخ مبدأ الاعتماد على النفسِ واستقلالية الاقتصاد، فمن يملك المال يملك القرار[٤].

ثالثاً: المعنى العام:

يخاطب الله ﷻ الذين اتصفوا بالإيمان، وصدَّقوا ما جاء به الرسل عليهم الصلاة والسلام "أن أنفقوا في سبيل اللّه ﷻ من ملكه الذي استخلفكم عليه، استجابةً لأمرهِ وابتغاء مرضاته، من قبل أن يأتي يومٌ يأخذُ مُلكه من أيديكم، فلا تتمكنون من الإنفاق "إذ لا بيع في ذلك اليوم ولا شراء ولا كسب بأي نوع من أنواع المبادلة، ولا يوجد ما يناله الإنسان من الصداقة والخلَّة والشَّفاعة، فهذا هو يوم الجزاء والثَّواب والعقاب يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون، يوم يظهر فيه فقر العباد إلى الواحد القهار، والكافرون بنعمة اللّه الجاحدون حقوق المال المشروعة هم الظالمون لأنفسهم"[٥].

---

[١] انظر: التعريفات، الجرجاني، ج١، ص٤٨.

[٢] مختار الصِّحاح: الرَّازي، ج١، ص٤٣.

[٣] انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج٨، ص١٨٤.

[٤] انظر: نظم الدرر، البقاعي، ج١، ص٤٩٢.

[٥] التَّفسير الواضح: الحجازي، ج١، ص١٦٨.

رابعاً: وجوه الإعراب:

يقول تعالى:﴿ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ ولإعراب هذه الفاصلة وجهان هما:

١- الواو: "استئنافية، الكافرون مبتدأ أول، هم: مبتدأ ثاني، الظالمون: خبر المبتدأ الثاني، وجملة ﴿هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ في محل رفع خبر المبتدأ الأول"[١]، وعلى ذلك تكون الجملة الإسمية خبرية، يبين الله ﷻ من خلالها أنَّ جميع الكفَّار اتصفوا بالظلم، فإن لم يَظلم أحدهم غيره من النَّاس في الدنيا، فيكفيه ظُلمه لنفسه بإضلالها عن الإيمان بخالقها، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴾(التوبة: ٧٠).

٢- الواو عاطفة، الكافرون: مبتدأ، هم: ضمير فصل وتأكيد لا محل له من الإعراب، الظالمون: خبر، وعليه يكون ضمير الفصل مؤكداً للخبر ويفيد اختصاص المُسند بالمسند إليه، فهو ثابت له دون غيره[٢].

ويكون المعنى أنَّ الكافرين وحدهم يوم القيامة اختُصوا بالظلم، وقد حَرموا أنفسهم من الشَّفاعةِ والخُلَّةِ، والواو على هذا التقدير ليست ابتدائية، ويقول الإمام الرازي :"لو جعلنا هذا الكلام مبتدأ تطرق الْخُلْفُ إلى كلام الله ﷻ، لأن غير الكافرين قد يكون ظالماً، أمَّا إذا علقناه بما تقدم زال الإشكال، فوجب المصير إلى تعليقه بما قبله...وأَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا قَالَ:﴿فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌۗ﴾ أوهم ذلك نفي الخلة والشفاعة مطلقا، فذكر تعالى عقبه:﴿ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ ليدل على أن ذلك النفي مختص بالكافرين، وعلى هذا التقدير تصير الآية دالة على إثبات الشَّفاعة في حق الفساق"[٣].

ويرى الباحث أنَّ اختصاص الكافرين بالظلم حاصلٌ يوم القيامة، فبسبب كفرهم حكموا على أنفسهم بالخلود في النَّار، فلن ينالوا من شفاعة الشافعين شيئاً، وقد أخرجت غيرهم من النَّار، ولن ينتفعوا بصحبة الصالحين فتنقذهم من العذاب، ولن يجدي يومها مالٌ قد أنفق في خير ولم يقترن معه الإيمان، فبجحودهم وكفرهم بآيات الله ﷻ أغلقوا أبواباً للنجاة قد فتحت لمن وجبت عليهم النَّار، وكان في قلوبهم ذرةً من الإيمان.

---

[١] الجدول في إعراب القرآن، صافي، ج٣، ص٢٠.

[٢] انظر: التَّفسير المنير، الزُّحيلي، ج٣، ص١٠؛ أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن، هديل عطية،ص١٣٧، ٤٦.

[٣] مفاتيح الغيب: الرَّازي، ج٦، ص٥٣٢.

خامساً: تحليل المقاصد و الأهداف:

١- تشريف أهل الإيمان، حيث خصهم الله ﷻ بالنِّداء، فقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ وعرَّف المنادى بالاسم الموصول "للدلالة على أنه المعروف بالصلة التي هي الإيمان، وكأنَّ هذا الإيمان هو أجَلُّ ما يُعرف به ذلك المنادَى، فهو شرفه الذي عليه أن يستمسك به، وأن يفخر بنعته به، ويسعى إلى زيادته وتثبيته بالإكثار من الطاعات، والفرار من السيئات"[١].

٢- بيان أن الإنفاق في سبيل الله ﷻ من العلامات التي يعرف بها أهل الإيمان، كما بينتها سورة (المؤمنون)،ومنها إيتاؤهم للزَّكاة حيث قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴾(المؤمنون:٤) أما الذين لم يستقر الإيمان في قلوبهم، فلا يستكفُون بامتناعهم عن الإنفاق، بل يأمرون النَّاس بالبخل ويصدون عن سبيل الله ﷻ، كما قال تعالى في حقهم:﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ ﴾(المنافقون:٧).

٣- حثٌّ المؤمنين على الإنفاق في سبيل الله ﷻ، سواء كان ذلك في الزكاة الواجبة أو من باب الصَّدقة، وتقديم هذا المال لأحد الوجوه المستحقة له كما حددها الله ﷻ، غير أنَّ أفضلها على الإطلاق ما يُنفق في سبيل حماية الأمَّة، والدفاع عند الاعتداء، لما في ذلك من حماية للدين، وصون لأعراض المسلمين، وأموالهم، وعزتهم[٢].

٤- بيان أنَّ الإنفاق في سبيل الله ﷻ حصن للأمة من التَّهلكة، فإذا عجز بيت المال عن الوفاء باحتياجاتها، وجب على أبنائها الإنفاق من أموالهم، لحماية دينهم، ودعوتهم، ودولتهم من الوقوع فريسةً للأعداء باستخدامهم سيف المال في تقويض الأمَّة، والتَّحكم في قرارها، وإفساد أبنائها، وقال الله ﷻ في بيان ذلك:﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾(البقرة:١٩٥) وذكر أبو أيوب الأنصاري ﷺ سبب نزول هذه الآية فقال: (أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةَ فِينَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَمَّا أَعَزَّ اللَّهُ ﷻ الْإِسْلَامَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ سِرًّا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ، وَإِنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ أَعَزَّ الإِسْلَامَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ، فَلَوْ أَقَمْنَا فِي أَمْوَالِنَا، فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ يَرُدُّ عَلَيْنَا مَا قُلْنَا: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾(البقرة: ١٩٥) فَكَانَتِ التَّهْلُكَةُ الإِقَامَةَ عَلَى الأَمْوَالِ وَإِصْلَاحِهَا، وَتَرْكَنَا الغَزْوَ)[٣].

---

[١] شذرات الذهب في البلاغة القرآنية: محمود سعد، ص٣٦.

[٢] انظر: زهرة التَّفاسير، أبو زهرة، ج٢، ص٩٢٦.

[٣] سنن الترمذي: ك- تفسير القرآن، ب- تفسير البقرة، ج٥، ص٢١٢، ح٢٩٧٢؛ صححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج١، ص٤٧، ح١٣.

٥- توجيه القيادة الإسلامية لبناء اقتصاد ذاتي عماده ثروات الأمَّة وأموال أبنائها، حتى لا يكون المال ثغرةً يتسلل الأعداء من خلالها لتحقيق مآربهم.

٦- إظهار الترابط والتلازم بين الجهاد بالنفس والمال، فالجهاد يحتاج للعُدة متمثلة برجال أشداء مؤمنين بفكرتهم ومدربين على حمل السلاح وفنون القتال، وكذلك العتاد الذي لا يُحاز إلا بإنفاق المال، فمن أراد الجهاد بنفسه احتاج لمن يجاهد بماله، ومن أراد الجهاد بماله لزمه البحث والتَّحري عن الفئة التي تجاهد في سبيل الله ﷻ بحق، حتى لا ينخدع برجال يرفعون شعار الجهاد في سبيل الله ﷻ للصد عن سبيله.

٧- التَّذكير بأنَّ الإنسان مستخلف في الأرض، وأنَّ كل ما فيها ملكٌ لله ﷻ ويرزق منه كل مخلوقاته، والإنسان بوصفه مخلوق "فهو مملوك لله ﷻ، ولا يمكن للمملوك أن يتصرف في ملك المالك إلا بإذنه ومشيئته"[١] وما بحوزة الإنسان أمانةٌ ستبقى بيده مدة من الزمن، ثمَّ يأخذها مالكها، وسيسأله عنها يوم أن يلقاه، وبناء على ذلك وجب على العبد أن ينفق من مال الله ﷻ الذي استخلفه فيه، لأنه هو الذي أعطى وهو الآمر بالإنفاق فوجبت الطَّاعة، ووجب التنفيذ قبل انتهاء سريان عقد الاستخلاف، غير القابل للتَّجديد[٢].

٨- توجيه المؤمنين لاغتنام الفرص، فوجودنا في هذه الدنيا محدود، وأنفاسُنا فيها معدودة، فوجب استغلال أوقاتنا في "العمل الصَّالح والخير والمثابرة على الطَّاعة، لأن استغلال الوقت مطلوب شرعاً، والانتفاع بالزمن ضروري دائماً"[٣] وقد أمرنا النبي ﷺ باغتنام حياتنا في التزود للآخرة فقال ﷺ: **(اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: حَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شَغْلِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَشَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ)**[٤] ومما يُهرع إليه بالاغتنام الإنفاق في سبيل الله ﷻ لأن فرصته في الحياة قد لا تتكرر، فالفقر قد يطبق عليك فلا تجدُ ما تنفق، بل إنَّ الإنفاق فيه حماية لك من الفقر[٥].

---

[١] نبذة في العقيدة الإسلامية: ابن عثيمين، ص: ٦٥.

[٢] انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص٢٨٥.

[٣] التَّفسير الوسيط: الزُّحيلي، ج٣، ص٢٨٩٦.

[٤] سنن الترمذي: ك- الزهد، ب- ما جاء في قصر الأمل، ج٤، ص٥٦٧، ح٢٣٣٣؛ مصنف بن أبي شيبة: ك- الزهد، ب- ما ذكر عن النبي ﷺ في الزهد،ج٧،ص٧٧،ح ٣٤٣١٩؛ صححه الألباني وذكره في صحيح الجامع الصغير ج١، ص٢٤٣، ح ١٠٧١.

[٥] انظر: جامع البيان، الطبري، ج٥، ص٣٨٢.

٩- ترهيب النَّاس من أحوال الآخرة، وأنَّ أمورها لا تُقاس على ما هو حاصلٌ في الدنيا، فلا يظن أحدٌ أنه ينجو فيها بفداءٍ يفتدي به، أو شفاعةٍ تقوم على الصداقة أو النسب، بل تكون الشفاعة قائمةً على عُرى الإيمان[١].

١٠- فتح باب التَّوبة والنَّجاة للمسلم الظالم، بنفي الكفر عنه، وبيَّن أنَّ المراد بالظلم هو الشرك بالله ﷻ كما قال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾(لقمان: ١٣) فلم يجعل الله ﷻ كل من اقترف ظُلماً في الدنيا كافراً، ولو كان ذلك لانقطع حبل النجاة عن كل من ظلم[٢].

١١- التحذير من عاقبة الكفر، بامتناع النصرة في الآخرة، وقطع الطمع عن أي نجاة لهم من العذاب بأي وسيلة كانت، وبذلك يكونوا قد ظلموا أنفسهم بشركهم بالله ﷻ، وبين الله ﷻ ذلك بقوله:﴿ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾(النحل: ٣٣).

إنَّ أهداف هذه الآية ليست بمعزل عن سابقاتها، فنراها تدعو أهل الإيمان إلى الإنفاق، وبذلك تشير إلى ما سبق من تمايز النَّاس وتفاوتهم، فتبدأ بذكر أعلاهم منزلة، وهم الثابتون على نهج الأنبياء، ثمَّ تختتم الآية بالتحذير من الظالمين وهم من انحرف عن نهج الأنبياء، وبذلك تشير إلى تفاوت النَّاس في أعمال الخير، ومنها الإنفاق في سبيل الله ﷻ، الذي يمثل الجهاد بالمال، بعدما تحدثت الآيات السابقة عن الجهاد بالنفس، لتظهر وجوبهما لضمان نصرة الحق، وإقامة العدل في الأرض، وإظهار دين الله ﷻ وتحقيق الغاية من خلق الإنسان.

---

[١] انظر: تفسير المراغي، ج٣، ص٩.

[٢] انظر: مفاتيح الغيب: الرَّازي، ج٦، ص٥٣٢.

المبحث الثاني: بناء أسس العقيدة التي تمثِّل فسطاط الخلافة.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: توحيد الله ﷻ وإثبات كماله المُطْلَق.

المطلب الثاني: الإيمان قائم على الاختيار بعد بيان الحق.

المطلب الثالث: التَّحذير من موالاة الكفَّار.

المطلب الأول: توحيد الله ﷻ وإثبات كماله المُطْلَق.

قال تعالى:﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾(البقرة:٢٥٥).

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿**الْقَيُّومُ**﴾ صيغة مبالغة من القِيام على الشَّيء، أي إيجاده، وتدبير أمره[١].

﴿**سِنَةٌ**﴾ ما "يتقدم النوم من الفتور، ويكون في الرأس فإذا صار إلى القلب أصبح نوماً"[٢].

﴿**يَئُودُهُ**﴾ من أَوْد، بمعنى الجهد والمشقة[٣]، والمُراد: "أَثْقَلَهُ، وَتَحَمَّلَ مِنْهُ مَشَقَّةً"[٤].

ثانياً: وجوه البلاغة:

إنَّ آية الكرسي من أعظم آيات القرآن فضلاً وبلاغةً، فقد بينت صفات الله ﷻ وأشارت إلى سعة علمه، وعظيم قدرته، وبهذه الألفاظ المحدودة، التي تحمل معاني يعجز العقل البشري عن الإحاطة بها، فتستشعر نفسه هذه العظمة الإلهية، وتُقر بالخضوعِ والإذعانِ له، فتلك الألفاظ المعدودة احتوت على معانٍ لا حصر لها، وهذا جوهر البلاغة التي من وجوهها:

١- حسن الافتتاح، لأنها افتتحت بأَجلِّ أسماء الله ﷻ.

٢- الطباق في قوله تعالى:﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ﴾.

٣- الإطناب بتكرير الصفات.

٤- قطع الجمل حيث لم يصلها بحرف العطف.

٥- تكرار اسم الله تعالى ظاهراً ومضمراً في ثمَّانية عشر موضعاً[٥].

ثالثاً: المناسبة:

بعدما ذكرت الآيات السَّابقة التفاوت بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام رغم اتحادهم في الدَّعوة للتوحيد، وتمايُز النَّاس بين مؤمن وكافر، وبيان مصيرِ كلٍ منهما يوم القيامة، ناسب بيان أصول العقيدة

---

[١] انظر: معاني القرآن، الزجَّاج، ج١، ص٣٣٦.

[٢] لسان العرب: ابن منظور، ج١٣، ص٤٤٩.

[٣] انظر: المرجع السابق، ج٣، ص٧٣.

[٤] البحر المحيط: أبو حيَّان، ج٢، ص٥٩٨.

[٥] صفوة التَّفاسير: الصَّابوني، ج١، ص١٠٢.

السَّليمة، وإقرار الحاكمية المطلقة لله ﷻ في كل ذرات الكون ليُذعِن الإنسانُ بالطاعة لله ﷻ مستشعراً عظمته، وسلطانه، وعلمه الأزلي، ليكون ممن آمن وسلك درب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام"[1].

رابعاً: المعنى العام:

بينت الآية قواعد التَّصور الإيماني، وقد ابتدأت بإثبات الوحدانية لله ﷻ وإفراده في العبادة، لأنه وحده المستحق لها، ثمَّ تناولت صفات الكمال الإلهي الباعثة على الخضوع المطلق والعبادة المخلَصة لله ﷻ، فهو حيٌ قائمٌ بذاته مُنذ الأزل، ومُدبر أمور الكون وفق حكمته وقدرته، وقد تنزه عن كل نقص، فلا يتَّصف بما يتَّسِم به الإنسان من نُعاس أو نَوم، فهو المتحكِّم في السَّموات والأرض وما فيهنَّ، ولو كان من أثر النَّوم شيئاً لسقطت السَّماء على الأرض، فجلَّ بارئها الذي بيده الخلق والأمر، فهو القائم على كل شيء، فلا يشفع أحد من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أو الملائكة إلا بعد أن يأذن تعالى له، ومن صفاته ﷻ العلم الأزلي لِمَا هو ظاهرٌ وباطنٌ، وما هو كائنٌ وما سيكون من أمور الكون وأفعال النَّاس، فلا يخفى عليه شيء، وما يعلمه الإنسان هو مما سمح الله ﷻ له أن يعلمه، ولقد أخفى الكثير من الأسرار التي لا حاجة للخلق بعلمها، ثمَّ يُثبت الله ﷻ عجز العقول عن إدراك عظمته، ببيان عظمة كرسيه الذي يسع السموات والأرض وما فيهما، وأنَّه ﷻ محيطٌ بهما قادرٌ عليهما، ولا يشُق عليه رعايتهما وتدبير أمورهما، واختصاصه بالقدرة المطلقة، فهو العلي ليس فوقه شيء، ولا ينازعه أحد في عظمته[2].

خامساً: وجوه الإعراب:

تعددت وجوه الإعراب في قوله تعالى:﴿ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ وهي على النَّحو الآتي:

أ- نَعْت لله ﷻ، والمعنى أنَّ الله ﷻ وصَف نفسه بأنه وحده دائم الحياة، والقائم على أمر الخلق، وهذا الإعراب الأرجح لأنها نُصبت على الفتح عند القطع.

ب- خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هو)، وفيه قَصْر لصفتي الحياة والقيومية على الله ﷻ.

ج- مبتدأ خبره جملة (لَا تَأۡخُذُهُۥ)، والتقدير:(ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ) وعلى ذلك يكون في نفي السِّنة والنَّوم إثباتاً لصفة القيومية.

د- بدل من (هو)، والتقدير:(لا اله إلا الحي، ولا إله إلا القيوم) والمعنى: لا يستحق الألوهية إلا مالك الحياة، والقائم على تدبير أمر الخلق.

هـ-خبر ثان، والمعنى أنَّ الله ﷻ يُخبر عن نفسه أنه لا إله إلا هو، وأنه هو الحي، والقيوم[3].

---

[1] التَّفسير المنير: الزُّحيلي، ج٣، ص١٥.

[2] انظر: التَّفسير المنهجي، فضل عباس، ج١، ص١٧٩،١٧٨.

[3] أنظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ج٤، ٣١٤، الجدول في إعراب القرآن، صافي، ج٣، ص٢٢، وأثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن، هديل عطيَّة، ص١٣٨.

سادساً: فضل الآية:

١- هي أعظم آية في القرآن الكريم: والتفاضل بين الأشياء سنة كونية نسج الله ﷻ خيوطها منذ الأزل، ولمَّا تفاضل كلام الله ﷻ تشريفاً وتعظيماً على دونه من الكلام، جعل الله ﷻ من كلامه ما هو أكثر عظمةً ورفعةً ونفعاً، فجعل القرآن الكريم أفضل الكتب السَّماوية، وجعل آية الكرسي أفضل آياته، ودلَّ على ذلك ما روي عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ أنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **(يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟ قَالَ: قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ)**[١].

٢- فيها اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب: وقد اشتملت آية الكرسي على "توحيد الله ﷻ وتعظيمه، وتمجيده، وصفاته العظمى، بما لم يجتمع في آية أخرى، ولا مذكور أعظم من رب العزة، فما كان ذكراً له كان أعظم الأذكار"[٢] وقد ذَكَرت الآية الله ﷻ بأعظم أسمائه ﴿ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ الذي إذا دعي بها أجاب، وبين ذلك ما أخرجه ابن ماجه عن القاسم قال: **(اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب في سور ثلاث: البقرة، وآل عمران، وطه)**[٣] وذكرها الحاكم في مستدركه حيث أخرج عن أبي أُمامة عن النبيﷺ قال:**(إن اسم الله الأعظم في ثلاث سور من القرآن، في سورة البقرة، وآل عمران، وطه قال القاسم: فالتمستها إنه الحيُّ القيوم)**[٤].

٣- من قرأها موقنا بها حفظه الله تعالى من كل سوء، وقد أرشدنا الله ﷻ إلى سدٍّ منيع، وحصنٍ حصين نحتمي به في كل آن وحين، من كلِّ ذي شرٍ وهمزات الشياطين، فأكرمنا بآية الكرسي، ووعد من قرأها متدبراً، بالحفظ من كلِّ سوء، ودلَّ على ذلك ما أخرجه البخاري عن أبي هريرةﷺ قال:**(...فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: مَا هِيَ، قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ،**

---

[١] صحيح مسلم: ك- صلاة المسافر ب- فضل سورة الكهف وآية الكرسي، ج١، ص٥٥٦، ح٨١٠.

[٢] الأساس في التَّفسير: سعيد حوَّى، ج١، ص ٥٩٤.

[٣] سنن ابن ماجه: ك- الدعاء، ب- اسم الله الأعظم، ج٢، ص١٢٦٧، ح٣٨٥٦، حسَّنه الألباني في السلسلة الصحيحة، ج٢، ص٣٧١، ح٧٤٦.

[٤] المستدرك على الصحيحين: الحاكم، ك - الدُّعاء، ج١، ص٦٨٤، ح١٨٦١، حسنه الألباني، في السلسلة الصحيحة، ج٢، ص٣٧١، ح٧٤٦.

وَلاَ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، قَالَ: لاَ، قَالَ: ذَاكَ شَيْطَانٌ)[1].

سابعاً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- تقرير عقيدة التوحيد، فبينت الآية أنَّ للتوحيد ثلاثةَ أصولٍ غاية في الترابط والتكامل وهي:-

أ- **توحيد الألوهية:** الذي يشير إلى غاية الله ﷻ من خلق الإنسان، بحيث "يعتقد الإنسان أنَّ الله ﷻ هو الإله الحق، ولا إله غيره، وإفراده سبحانه بالعبادة"[2] ودلَّ على ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ لما يتضمنه معنى لفظ الجلالة ﴿الله﴾ لأنه يفيد معنى استحقاق العبادة، والوحدانية والكمال كله، لأنه المتفرد بذلك، فإذا أطلق اللفظ انصرف إليه ولم يفهم منه سواه، ثمَّ جاء قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ مؤكداً على انفراده بالألوهية، لترسخ أولى قواعد التوحيد، وقُدِّم توحيد الألوهية على فروع التوحيد الأخرى، لتضمنه لها، فعبادة الله ﷻ تستلزم الإيمان بوجوده، وكمال العبادة يستلزم الإقرار بصفاته، إذ إنَّ لفظ الجلالة اسم جامع لمعاني الأسماء والصفات[3].

ب- **توحيد الربوبية:** فالله سبحانه وحده خالق الخلق، ومالكهم، ومحييهم ومميتهم، ونافعهم وضارهم"[4] فكل ما في الكون خاضع لملك الله ﷻ ويسير تحت أمره، كما بين ذلك تعالى بقوله:﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ فكل المخلوقات ملكٌ لله ﷻ وقد جُبلت على العبودية له وحده، وما دام قد أوجدها فهو عالمٌ بعددها وأحوالها[5] وبين ذلك تعالى بقوله:﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا * لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴾(مريم:٩٣،٩٤) فإذا أقرَّ الإنسان بوجود الله ﷻ وتفرده في خلق السموات وما فيها، وجب عليه إفراده في العبادة والاحتكام لشرعه، فإذا ترك الانقياد لشرعه أو عبد شيئاً من مخلوقاته لم يشفع له إقراره بوجود الله ﷻ لأنه لم ينقاد لما يستلزمه هذا الإقرار[6].

ج- **توحيد الأسماء والصفات:** فلا يصح الإيمان إلا بالاعتقاد الجازم بأن الله ﷻ متصف بجميع صفات الكمال، ومنزه عن جميع صفات النقص، وأنه متفردٌ بذلك عن جميع

---

[1] صحيح البخاري: ك- الوكالة ب- إذا أوكل رجلاً، ج٣، ص١٠١، ح٢٣١١.

[2] أركان لإيمان: محمد ياسين، ص٣٠.

[3] انظر: شرح العقيدة الطحاوية: ابن أبي عز الحنفي، ج١، ص٢٨.

[4] أركان الإيمان: محمد ياسين، ص٤.

[5] انظر: الحكمة في الدعوة إلى الله، القحطاني، ج٢،ص٣٧٥.

[6] انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص٢٨٨؛ تفسير العثيمين، ج٢، ص١٠٣.

الكائنات"[1] وقد ذكرت الآية خمساً من أسماء الله ﷻ الحُسنى هي:(**الله، الحي، القيوم، العلي، العظيم**) وهذه الأسماء تُثبت صفات الكمال لله ﷻ، وكذلك تنفي نقيضها[2]، كما قال تعالى:﴿ٱلْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ فهو منزَّهٌ عمَّا يعتري البشر من الضعف والنَّوم، وكذلك نفى الله ﷻ عن نفسه ما يعتري المخلوقات من العجز والجَهد بقوله:﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ﴾ فالله ﷻ لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء[3].

٢- بناء التَّصور الصائب للإنسان تجاه خالقه، حتى "يستطيع أنْ يعيش لآخرته وهو في دنياه، وأنْ يعمل لله ﷻ وهو يعمل لمعاشه، وأنْ يزاول أوجه نشاطه الإنساني، وهو مرتبط بالله ﷻ، ينال الأجر والمثوبة، ومن ثمَّرات هذه الميزة أنها تمنح القلب والعقل الرَّاحة والطمأنينة، وتصله اتصالاً مباشراً بالله ﷻ خالق الإنسان والكون وواهب الحياة، فلا يبقى الإنسان حائراً وحيداً، ضعيفاً بدرب الحياة بل يجد الملجأ والملاذ"[4].

٣- تحديد شَرطين لقبول الشفاعة وهما: أخذ الإذن من الله ﷻ ودل على ذلك قوله تعالى:﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾ ورضى الله ﷻ عن المشفوع له حيث يقول:﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾(الأنبياء:٢٨) ويهب الله ﷻ الشفاعة لمن شاء من عباده تكريماً وتشريفاً، وفي ذلك دحض لمزاعم المشركين، بأنهم يعبدون الأصنام لتشفع لهم ويتقربوا بها إلى الله ﷻ، فلن ينالوا شفاعة لأنهم عبدوا غير الله ﷻ فغضب عليهم، وبذلك فقدوا شروط الشفاعة[5].

٤- إثبات خضوع كل شيء في الكون لسلطان الله ﷻ، وقيامه على كل أمر، فلا يتحرك ساكن، ولا يسكن سائرٌ إلا من بعد إذنه، وفي الإطار الذي حدده له، ومن ذلك أفعال العباد، وقد أشار لذلك بقوله تعالى:﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾ وقوله تعالى:﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ فالأولى وإن دلت على الشفاعة، إلا أنها تضمنت كل فعل

---

[1] أركان الإيمان: محمد ياسين، ص١٠.

[2] أنظر: جامع الرسائل: ابن تيمية، ج٢، ص٣٨٣.

[3] انظر: زهرة التَّفاسير، أبو زهرة، ج٢، ص ٩٣٤.

[4] أضواء على الثقافة الاسلامية، نادية العمري، ص٢٠.

[5] انظر: مفاتيح الغيب، الرَّازي، ج٧، ص١١.

لمجيئها بصيغة المضارع، والثانية وإن أشارت إلى حيازة العلم، فقد بينت انحصار فعل الإنسان في نطاق ما حدده الله ﷻ له، وخضوع فعله لمشيئة الله ﷻ[1].

٥- إثبات عجز العقول عن تصور عظمة الله ﷻ، إذ إنَّ الله ﷻ قد وهب العقل البشري قدرة وطاقة محدودة، وبذلك لا يستطيع تصور ما فوق طاقته، ومما عجز عنه علماء البشر الوصول لحدود السماء الدنيا، فكيف لعقولنا أن تدرك ما فوقها، وقد علمنا أنَّ السموات والأرض بعظمتها، أمام عظمة الكرسي لا ذكر لها[2]، لذلك عندما نستمع لقوله تعالى:﴿ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾ تتوقف الأجفان عن الحراك، ويعجز العقل عن الإدراك، فتذعن النفس لخالقها، معتقدةً بأنه "المتعالي عن الأنداد والأشباه، وأعظم من كل شيء، لا تحيط به العقول والمدارك، ولا يعرف حقيقته إلا هو سبحانه وتعالى"[3].

٦- إفراد الله ﷻ بالعلم الأزلي، فعلمه سابق للوجود، ولا تحده حدود، وبين ذلك بقوله:﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ﴾ والضمير في (أيديهم، خلفهم) يعود على الكائنات الموجودة في السموات والأرض، فهو تعالى عالمٌ بكل أحوالها قبل أن يخلقها، ووقت وجودها، وعالمٌ بكل ما هو كائنٌ في الدنيا وما سيكون يوم القيامة[4].

٧- بيان انحصار علم المخلوقات بما يهبهم الله ﷻ من علمه، فما وصل إليه العلم وما سيحوزه خاضع لمشيئته ﷻ، ومقدرٌ بما تقتضيه حكمته، فلا يعطي المخلوقات من علمه إلا بالقدر الذي يحتاجونه، وقد قرر الله تعالى ذلك بقوله:﴿خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ والعلم الذي تحوزه المخلوقات لا يساوي نقطة ماء في بحر علم الله ﷻ، وقد أخبرنا بذلك بقوله تعالى:﴿ قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا﴾(الكهف: ١٠٩) والله ﷻ أخفى عن الإنسان الكثير من العلوم، لحكمة بالغة، "فزوى عنه الأسرار التي لا حاجة له بها في حياته، زوى عنه سرَّ الحياة وما يزال هذا السر خافياً، وما يزال عصياً، وما يزال البحث فيه خبطاً في التيه بلا دليل! وزوى عنه سرَّ اللحظة القادمة، فهي غيب لا سبيل إليه[5].

---

[1] انظر: جامع البيان، الطبري، ج٥، ص٣٩٢، في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١،ص٢٨٥.

[2] انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية، ج١، ص٣٤٢.

[3] التَّفسير المنير: الزُّحيلي، ج٣، ص١٨.

[4] انظر: مفاتيح الغيب، الرَّازي، ج٧، ص١٢.

[5] في ظلال القرآن: سيد قطب: ج٢، ص٢٨٩.

٨- زجر النَّاس عن معصية الله ﷻ بإظهار علمه المطلق، حيث يقول تعالى:﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ﴾ ومما يحيط الله ﷻ بعلمه أفعال العباد، وما تخفيه صدوهم، وما تهم به أنفسهم، كما بين ذلك بقوله:﴿ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴾ (الرعد:١٠) وبذلك يجد العبد في نفسه شعوراً يزجره عن معصية الله ﷻ ويقيمه على طاعته، فيصبح العبد مطواعاً لأمره، ساعياً لتحقيق كمال العبودية له[١].

٩- إثبات أنَّ لله ﷻ كرسياً، "وبيان اختلافه عن العرش، فوجب الإيمان بأن لله ﷻ كرسياً وله عرش"[٢] ودلَّ على ذلك ما رواه أبو ذر أنَّ النبي ﷺ قال له:**(يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى الْحَلْقَةِ)**[٣].

١٠- غرس الطمأنينة في نفوس عباد الله ﷻ بحمايته لهم في كنفه، وحراستهم بعينه، فوحده الصمد الحافظ لما في السموات والأرض[٤]، حيث يقول تعالى:﴿ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴾.

وفي ذلك البشرى للذين آمنوا بألوهيته، واعتقدوا بربوبيته، وأقروا بأسمائه وصفاته، مدركين أنه المتحكِّم في قوانين الكون، مستشعرين رقابته لهم في السِّر والعلن، وهذه البشرى تزيدهم تعلقاً بخالقهم، فتنزل عليهم الطمأنينة ليتحقق فيهم قوله تعالى:﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾(الرعد: ٢٨) فتطمئن القلوب "بإحساسها بالصلة بالله ﷻ، والأنس بجواره، والأمن في جانبه وفي حماه تطمئن من قلق الوحدة، وحيرة الطريق بإدراك الحكمة في الخلق والمبدأ والمصير، وتطمئن بالشعور بالحماية من كل اعتداء ومن كل ضُر ومن كل شر إلا بما يشاء"[٥].

ويرى الباحث أن آية الكرسي احتوت على السدود المحصِّنة لجسد الإنسان وروحه من كلِّ سوء، فلا يتمكن منه عدوٌ، أكانَ من الجن أو الإنس، فعندما يندمج عبير الإيمان برحيق اليقين بالله ﷻ، لا تجد الأنفس الخبيثة سبيلاً للوصول لتلك الأنفس الطيبة، لتتجَّلى المناسبة بين مضمون الآية وفضلها، فمن قرأها موقنا بها حرسه الله ﷻ بعينه التي لا تنام، وحفظه بركنه الذي لا يضام.

---

[١] انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص٢٨٩.

[٢] الأساس في التَّفسير: سعيد حوَّى، ج١، ص٥٩٦.

[٣] صحيح ابن حبان: ك- البر والإحسان، ب- استحباب أن يكون للمرء من كل خير، ج٢، ص٧٦، ح٣٦١، أخرجه الأصبهاني في كتاب العظمة، ج٢، ص ٦٤٨؛ وذكره الالباني في السلسلة الصحيحة، ح١٠٩.

[٤] انظر: جامع البيان، الطبري، ج٥، ص٤٠٥.

[٥] في ظلال القرآن: سيد قطب، ج٤، ص٢٠٦٠.

إنَّ تَحقُّق أهداف الآية يمثل الرَّافعة الأولى لمقصد بناء العقيدة السَّليمة، فأركان العقيدة الإسلامية تتكامل فيما بينها، وعقيدة التَّوحيد تمثل فُسطاطها؛ لأنَّ جميعها تستلزم التَّصديق بوجود الله ﷻ وتوحيده في ألوهيته، وربوبيته، وأسمائه وصفاته، وهذا ما أثبتته آية الكرسي، مبينةً عظمته وسعة ملكه، ومطلق قدرته، وعلمه الأزلي، مستهدفةً تعريف "الخلق بربهم حتى يعبدوه حقَّ عبادته بناءً على معرفتهم به، لأن كمال العبادة يكون بكمال المعرفة"[١].

المطلب الثاني: الإيمان قائم على الاختيار بعد بيان الحق.

قال تعالى:﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(البقرة:٢٥٦).

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿ **إِكۡرَاهَ** ﴾ الإجبار والقهر على فعل الشيء دون محبة له[٢].

﴿ **الۡغَيِّ** ﴾ الضلال والانحراف عن الطريق المستقيم[٣].

﴿ **بِٱلطَّٰغُوتِ**﴾ يطلق على "الكاهن والشيطان، وكلَّ رأس في الضلال"[٤].

﴿**بِالْعُرْوَةِ**﴾ العروة هي "موضع شد اليد، وأصل المادة تدل على التعلق، والعروة من الدلو: المقبض، ومن الثوب: أخت زرّه"[٥].

﴿ **الْوُثْقَى** ﴾ الوثق: الحبل شديد الإحكام والقيد الذي يشد به الأسير[٦].

﴿ **انْفِصَامَ** ﴾ "انكسار أو انقطاع"[٧].

ثانياً: وجوه البلاغة:

الاستعارة التمثيلية: وذلك في قوله تعالى: ﴿ **ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ** ﴾ شبه من يسلك سبيل الله ﷻ كمن أخذ بحبل متين لا ينقطع، يُضمن معه الأمان منَ التردِّي في الهاوية، أو ولوج المخاطر[٨].

---

[١] أركان الإيمان: محمد ياسين، ص٤١.

[٢] انظر: المعجم الوسيط: مَجمع اللغة العربية، ج٢، ص٧٥٨.

[٣] انظر: البحر المحيط، أبو حيَّان، ج٢، ص٥٩٩.

[٤] معاني القرآن، الزجَّاج، ج١، ص٣٣٩.

[٥] إعراب القرآن وبيانه: درويش، ج١، ص٣٨٧.

[٦] انظر: لسان العرب: ابن منظور، ج١٠، ص٣٧١.

[٧] مختار الصِّحاح: الرَّازي، ج١، ص٢٤٠.

[٨] انظر: التَّفسير المنير: الزُّحيلي، ج٣، ص١٩.

ثالثاً: المناسبة:

يتضح التَّرابط والتَّناسق التَّام بين هذه الآية وما سبقها، فهي بمثابة الثمرة والنَّتيجة لآية الكرسي التي "حدَّدت ما يتصف به الله ﷻ من تفردٍ بالألوهية، والمُلك، والسُّلطان في السَّموات والأرض، والحياة، والقيام بأمر الخلائق دون عناءٍ أو مشقَّةٍ، وإحاطة علمه بكل شيء، فلا يصح بعدئذ أن يكون هناك إكراه على الدخول في الدِّين لأنَّ الفطرة، والمشاهدات الكونية، والفكر السَّليم يهدي إلى الإيمان بوجود الله ﷻ، وتوحيده والاقتناع بالإسلام ديناً ومنهج حياة"[١].

رابعاً: المعنى العام:

لا إجبار لأهل الكتاب على الدخول في الإسلام بعدما تبيَّن لهم سبيل الحق، القائم على إخلاص العبادة لله ﷻ وإلزام النَّفس بطاعته، وسُبل الباطل القائمةِ على الأهواءِ والشهوات، فبما أنَّه تبين لهم ذلك وجب عليهم اتِّباعه، فإنْ لم يستجيبوا فعليهم دفع الجزية في الدنيا، وسيحاسبهم الله ﷻ يوم القيامة على اختيارهم، أما الوثنيون ومن لا دين لهم فيُقاتَلون حتى يُسلموا، إنقاذاً لهم من براثن الجهل والشَّقاء[٢]،"فمن اهتدى إلى الإيمان وكفر بكل ما يطغى على العقل، ويصرفه عن الحقِّ، فقد استمسك بأوثق سبب يمنعه من التردِّي في الضَّلال، كمن تمسَّك بعروةٍ متينةٍ محكمةَ الرِّباط تمنعه من التردِّي في الهوَّة، والله ﷻ سميعٌ لما تقولون، عليمٌ بما تفعلون، ومجازيكم على أفعالكم"[٣].

خامساً: سبب النزول:

جاء في سبب نزول الآية عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: **(كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَكُونُ مِقْلَاتًا[٤] فَتَجْعَلُ عَلَى نَفْسِهَا إِنْ عَاشَ لَهَا وَلَدٌ أَنْ تُهَوِّدَهُ، فَلَمَّا أُجْلِيَتْ بَنُو النَّضِيرِ كَانَ فِيهِمْ مِنْ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ فَقَالُوا: لَا نَدَعُ أَبْنَاءَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾)**[٥].

الرواية صريحة في الدلالة على سبب النُّزول إلا أنَّ المفسِّرين اختلفوا في تأويلها، وقال الطبري: "اختَلَف أهل التَّأويل في معنى ذلك فقال بعضهم: نزلت هذه الآية في قومٍ من الأنصار،

---

[١] التَّفسير المنير: الزُّحيلي، ج٣، ص٢١.

[٢] انظر: أيسر التَّفاسير، الجزائري، ج١ ، ص٢٤٦.

[٣] المنتخب في تفسير القرآن: لجنَّة من علماء الأزهر، ج١، ص٦١.

[٤] مقلاتاً: المرأة التي تلد واحداً ثمَّ لا تلد بعده، ذات المولود الأوحد، وكانت تنذر بتهويده، تتلمس بذلك طول بقائه، (تاج العروس، الزبيدي، ج١٤، ص٢٠٦).

[٥] سنن أبي داوود: ك- الجهاد، ب- في الأسير يكره على الإسلام، ج٣، ص٥٨ ح ٢٦٨٢، صححه الألباني، صحيح وضعيف سنن أبي داود، ج٦، ص١٨٢، ح٢٦٨٢.

أو في رجلٍ منهم، كان لهم أولاد قد هوَّدوهم أو نَصَّروهم، فلمَّا جاء الله ﷻ بالإسلام أرادوا إكراههم عليه، فنهاهم اللَّه ﷻ عن ذلك حتى يختاروا هم الدخول في الإسلام"[1] وهذا الخلاف راجع إلى ربط مضمون الآية بسبب نزولها، فمن ربطها بسبب النُّزول قال: بأنَّ الإكراه منهيٌ عنه في حقِّ أهل الكتاب كون الآية نزلت في حقهم، أمَّا غيرهم من المجوس والملحدين فيكرهون على الإسلام، وأمَّا الآخرون فرأوا أنَّ الآية عامة فلا يُكره أحد على دخول الإسلام، بل يكون وفق اختيارهم واقتناعهم.

وما يميل إليه الباحث: الربط بين الآية وسبب نزولها فأهل الكتاب لا يُكرهون على الإسلام، ولهم الخَيار بأن يبقوا على دينهم ويدفعوا الجزية، أمَّا غيرهم فيُقاتَلوا حتى يؤمنوا بالله ﷻ.

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- حثُّ الدُّعاة على إقناع النَّاس بالحُجَّة السَّاطعة لا بالضَّربة القاطعة، فإنَّ الهدف من إرسال الرُّسل عليهم الصلاة والسلام إخراج النَّاس من ظُلمات الشِّرك والجهل إلى نور الإيمان والعلم، وبعد ختام الرسالات السماوية بمبعثه ﷺ وغلق باب الوحي بوفاته، حمل الدُّعاة إلى الله ﷻ هذه الأمانة، وقد قال ﷺ: **(إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ)**[2] والله ﷻ أمر رسوله ﷺ بدعوة النَّاس من خلال إظهار الأدلة وإقناعهم بالحق، والتَّحلي بالحكمة، حيث قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾(النحل:١٢٥)، ولقد نهى عن إكراه النفوس على اتباعه تحت تهديد القوة، لأن في ذلك إفساد لمقصد بناء العقيدة السليمة التي "محلها القلوب، ووسيلتها الإقناع، والقلوب لا سلطان لأحد عليها إلا لله علام الغيوب، هذه الاعتبارات يقدرها الإسلام حق قدرها، ولذلك كان من أصوله الخالدة عدم الإكراه في الدين"[3].

٢- الإشارة إلى أنَّ مشروعية الجهاد في سبيل الله ﷻ قائمة على إزالة الإكراه في الدِّين، وبيان ذلك أنَّ الذين يصُدون عن سبيل الله ﷻ ويمنعون دعوته من الانتشار في بقاع الأرض، ويجبرون النَّاس على اتِّباع الطَّاغوت وجب مجاهدتهم، وقتالهم حتى يرتفع سلطانهم عن النَّاس، ليمتلكوا حريتهم في الاختيار، فالإسلام كما يمنع أبناءه إكراه الآخرين على اتباعه، فإنه يوجب قتال من يَصُد النَّاس عن اعتناقه[4].

---

[1] المحرر في أسباب النزول: المزيني، ج١، ص٢٩٢.

[2] صحيح البخاري: ك العلم ب- العلم قبل القول والعمل، ج١، ص٢٤، سنن الترمذي: ك- أبواب العلم ب- فضل الفقه على العبادة، ج٥، ص٤٨، ح٢٦٨٢.

[3] سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله: المطعني، ص٩١.

[4] انظر: تفسير الشَّعراوي، ج١٩، ص ١٢٠٠٣.

٣- نسف الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام حول قيام الدين على الإكراه، مُدَّعين أنَّ الإسلام انتشر بقوة السيف، وهذا مردود بنص الآية، وكما أنَّ كثيراً من الأحداث التاريخية والواقعية تنسف هذه الشبهة، وقد علمنا أن الإسلام دخل كثيراً من الأمصار بالدعوة الحسنة والقدوة الصالحة، وحسن الخلق، لا بالقتال وسفك الدماء، وإثارة الفتن[١].

٤- إقامة الحجة على النَّاس، ببيان الحق، والتميز بينه وبين الغي والضلال والفساد، وقد ذكر القرآن الكريم الكثير من الشواهد والأحداث ما ينقي بها الحق من شوائب الشبهات، وعلى ذلك فالرؤية واضحة للسالكين، وسيحاسبون على اختيارهم أمام رب العالمين.

٥- إمداد النَّاس بحبل النجاة الذي لا ينقطع، متمثلاً بالإيمان بالله ﷻ وطاعته، وإنَّ هذه العروة "وثيقة لا تنفصم أبداً، إنها متينة لا تنقطع، ولا يَضل الممسك بها طريق النجاة، إنها موصولة بمالك الهلاك والنجاة"[٢] فإنها تُجمِّع المتناقضين، وتُآخِي المتعاديين، وقد بين الله ﷻ ذلك بقوله:﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾(آل عمران: ١٠٣).

٦- تربية النفس المؤمنة على الصفاء، والتجرد لله ﷻ، وقد رسَّخت الآيات قاعدة التخلية قبل التحلية، فلا يدخل الإيمان القلب حتى ينخلع منه أثر الطاغوت، لذلك قُدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله في نص الآية، فمن لم يكفر بالطاغوت لا يتحقق فيه الإيمان[٣].

٧- بيان تعدد وجوه الضلال، وقد ذكر الله ﷻ لفظة (الطاغوت) التي تعني كل من تجاوز حدود الله ﷻ بعدم الاحتكام لشريعته، أو محاربة أوليائه، أو الاعتداء على سلطان الله ﷻ وألوهيته وحاكميته، وكل من تمادى في ظلمه حتى لو ادعى الإسلام، فهو من الطاغوت[٤].

٨- تذكير العباد برقابة الله ﷻ الدائمة لهم، فهو عالم بحركاتهم وسكناتهم ونياتهم، ويسمع كلامهم ويرى أعمالهم، وقد أنبأنا الله ﷻ بذلك بقوله:﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ وعندما يستشعر العبد ذلك يضيء مصباح الإيمان في قلبه، فيتغلغل نوره في "أحشائه وتسرب إلى جميع عروقه ومشاعره، وجرى منه مجرى الروح والدم، واقتلع جراثيم الجاهلية وجذورها، وغمر العقل والقلب بفيضانه، وجعل منه رجلا غير الرجل"[٥] وظهر منه من روائع الإيمان واليقين ما يجعله من أولياء الله الصالحين.

---

[١] انظر: التَّفسير المنير، الزُّحيلي، ج٣، ص٢١.

[٢] في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص٢٩٢.

[٣] انظر: الأساس في التَّفسير، ج١، ص٦٠٣.

[٤] انظر: العصبة المؤمنة بين عناية الرحمن ومكر الشيطان: علي الشحود، ص٦٩.

[٥] في ظلال القرآن: سيد قطب، ج١، ص٢٩٢.

والآية ترسخ مبدأ حرية اتخاذ القرار، وتحمُّل المسؤوليةَ الكاملةَ تجاهه، فبعدما أرسى الله ﷻ قواعد التَّوحيد، بالبراهين العقلية والنَّقلية، وبعدما جبل الإنسان على الفطرة السَّليمة التي تميل إلى التَّديُّن، وقد وهبه عقلاً يسترشد من خلاله لدين الحق، أمر الله ﷻ عباده بعدم إكراه النَّاس على اتِّباع الهدى، لأن الأمر لا يحتاج إكراهاً، فالله ﷻ أوكل لهم حرية الاعتقاد، ثمَّ يحاسبهم على اختيارهم يوم يلقونه، عندما تنقطع بهم السُّبل، إذ إنَّ حبل الإيمان بالله ﷻ حبل النجاة الأوحد، واستشعار العبد بمراقبة الله ﷻ له في السِّر والعلن، وعلمه بأقواله وأفعاله، يدفعه للاستمساك بالعروة الوثقى.

المطلب الثالث: التحذير من موالاة الكفَّار.

قال تعالى:﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(البقرة: ٢٥٧).

أولاً: وجوه البلاغة:

من الجوانب البلاغية التي احتوتها الآية:-

١- الاستعارة التَّصريحية: باستعارة الظُّلمات والنُّور للضَّلال والهُدى.

٢- المشاكلة: وهي ذكر الشَّيء بوصف غيره لوروده في صحبته، وتظهر في قوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ ﴾ بعدما ذكر الظُّلمات كنايةً عن الكفر، والنُّور عن الإيمان، وكما نعلم أنّ مقصد الله ﷻ من إرسال الرُّسل عليهم الصلاة والسلام هداية النَّاس من الكفر إلى الإيمان فقد أظهرت الاستعارة هذا المعنى في صورة جميلة مشرقة فأتى بالمشاكلة في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ ليُبرز الصُّورة المقابلة على أبشع مظهر، فطبيعة الفطرة السَّليمة تبحث عن النور وتفرُّ من الظُّلمة، وأتباع الشَّياطين يَدفعُون أنصارهم لِما يناقض هذه الفطرة.

٣- نفي الشيء بإثباته: وذلك في قوله تعالى:﴿ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾ وهذا لون جميل يثبت به شيئا في كلامه وينفي ما هو من سببه مجازاً، فقد أثبت أنَّ للكافرين نوراً لينفي سببه مجازاً، فالنُّور مجازٌ عن الإيمان، وحقيقته أنَّ الكافرين ليس لديهم نور ليخرجوا منه، فهم في ظلامٍ دامسٍ بشركهم بالله ﷻ، واستعمل تعبير الخروج من الإيمان للكفر للتقريع، والتوبيخ ولبيان الصُّورة البائسة التي هم عليها.

٤- إفراد النُّور وجمع الظلمات: لتدل على وحدة سبيل الحق، فهو صراط مستقيم لا عوج له، بينما جمعَ الظُّلمات ليُثبت أنَّ سُبُل الباطل متعدِّدة ومتفرِّقة[١].

---

[١] انظر: إعراب القرآن وبيانه، درويش، ج١، ص٣٩٠.

ثانياً: المناسبة:

بعدما بين الله ﷻ مطلقَ قدرتهِ، وسعةَ علمهِ، وعظمةَ ملكهِ، وقيامه على كل أمرٍ، كان على النَّفس أن تخضع لذلك وتؤمن ببارئها، وأن تستمسك بحبل الله ﷻ المتين، ولمَّا كانت النُّفوس لا تستوي في الميزان، وتعلقت النَّفس المطمئنة بعُروةٍ لا تنفصم، كانت هذه الآية تعليلاً لسبب هذا الاستحكام، فالذين "كفروا بالطاغوت، وآمنوا بالله ﷻ قد تولوا الله ﷻ فصار وليهم، فهو يقدِّرُ لهم ما فيه نفعهم، وهو يذبُ الشُّبهات عنهم، فبذلك يستمر تمسكهم بالعروة الوثقى ويأمنون انفصامها، فإذا اختار أحد أن يكون مسلما فإن الله ﷻ يزيده هدى"[١].

وبعد بيان استقامة ورسوخ سبيل الحق، أظهر الوجه الآخر للمقارنة، المتمثل في أولياء الشيطان، وأنصارهم الذين استولت عليهم شهواتهم حتى امتلك الشَّيطان قلوبهم، واستأجر عقولهم فأصبحت خفيفةً طائشةً يتقاذفُها كما شاء، كلهب النَّار التي خُلق منها، فناسب أن تُختم الآية بالمصير والجزاء الذي يُناسب حقيقة ما هُم عليه، فكما ألهب سَمُوم الشَّيطان عقولهم في الدنيا، سيتجرعون عذاب جهنَّم جميعاً يوم القيامة[٢].

ثالثاً: المعنى العام:

إنَّ الله ﷻ يتولى أمور الذين سلكوا سبيل الحق، وألزموا أنفسهم طاعته، وعزموا على نُصرة دينه، فيُرشدهم لما فيه الخير، ويُسدِّد رأيهم فيخرجهم من ظلمات الشَّك والشُّبهة، ويُدخلهم في منارة العلم والمعرفة واليقين، لينالوا الفوز في الدنيا، والنجاة في الآخرة، أمَّا من انحرف عن سبيل الحقِّ فيَطبع الشَّيطان على قلبه، ويطمس على عقله فيقوده كما تُقاد السَّيارة ليُلقِي به في الهاوية ليكون قريناً له في نار جهنم، فيتجرعان العذاب أصنافاً متعدِّدةً في عمدٍ ممددة[٣].

رابعاً: تحليل المقاصد والأهداف :

١- إثبات الولاية لله ﷻ على خلقه، وذلك بقوله تعالى:﴿ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ والولاية هنا نوعان:

- ولاية عامة: وتعني قيامه تعالى على أمر العباد وتدبير شئونهم.
- ولاية خاصة: وتعني حفظ الله ﷻ ورحمته وتوفيقه لأهل الإيمان[٤].

٢- حض العباد على طاعة الله ﷻ والتقرب إليه بالعبادة، والقيام بكل ما يوصلهم لمرتبة الإيمان، حتى ينالوا حفظ الله ﷻ ورحمته ورعايته.

---

[١] التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج٣، ص٣٠.

[٢] انظر: نظم الدرر، البقاعي، ج٤، ص٤٦.

[٣] انظر: التَّفسير الوسيط، الزُّحيلي، ج١، ص١٤٩.

[٤] انظر: تفسير العثيمين، ج٣،ص٢٧٤.

٣- بيان أنَّ الهدى والضَّلال متعلقٌ بإرادة الله ﷻ، وأنَّ إرادةَ العِباد خاضعةٌ لإرادته ﷻ، فإذا أراد العبد الهداية طلب من الله ﷻ تحقيقها، "وقاوم نزغات الشَّيطان، لذلك ندعوا الله ﷻ في كل صلاة راجين منه الهداية لطريق الحق"[١] حينما نقرأ قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾(الفاتحة:٦).

٤- بيان أنَّ سَبيل الحقِّ واحدٌ، وأنَّ للباطل دروباً متعددةً، "فوحَّد الله ﷻ لفظ النُّور، وجمع الظُّلمات لأنَّ الكُفر أجناسٌ مختلفةٌ كثيرةٌ، وكلها باطلة"[٢] وأثبت الله ﷻ ذلك بقوله:﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾(الأنعام:١٥٣).

٥- تحذير النَّاس من الوُلوج في سُبل الطَّاغين، لأنَّ فيها إرادة الضَّلال، ومن سلك فيه تخلى الله ﷻ عنه، وسلَّط عليه الشَّياطين فيمدونه في الغيِّ[٣] وحذَّرنا الله ﷻ من ذلك بقوله:﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾(الأنعام:١٢٥).

٦- الرَّبط على قلوب المؤمنين، وتثبيت أقدامهم أمام أصحاب الطَّاغوت، "فلا يصح لمؤمنٍ أن يضعُف أمام جبروت الملوك الطُّغاة أو الجبابرة العُتاة، أو الكبراء المُضلِّين"[٤]، وهو موقنٌ بأنَّ الله ﷻ مُعزه وناصره في الدنيا والآخرة.

٧- ترهيب كل من يؤيد الطُّغاة، ويُشايعهم ولو بشطر كلمةٍ، بحشره معهم يوم القيامة، وخلوده في نار جهنم، وحثَّه على التبرؤ منهم في الدنيا قبل أن يتبرؤوا منه يوم القيامة، وقد أخبرنا تعالى عن ذلك بقوله:﴿ إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾(البقرة:١٦٦،١٦٧) ولن تنفع يومئذ حسرةٌ ولا ندامة.

إنَّ محبَّة المؤمنين وتأييدهم ونصرتهم، والبراءة من الكافرين وبُغضهم، جزءٌ أصيلٌ من العقيدة الإسلامية، فلا يجتمع الإيمان وموالاة الكافرين في قلب امرئ، فوجب على أهل الحقِّ مجابهة الطُّغاة، والتصدِّي لجبروتهم، لأنَّ من عرف الحقَّ هانت عليه التَّضحيات، واليقين بنصر الله ﷻ، والثبات على هذا الدَّرب حتى يُعَزَّ الإسلام في أنحاء المعمورة.

---

[١] الأساس في التَّفسير، سعيد حوَّى، ج١، ص٦٠٤.

[٢] التَّفسير المنير: الزُّحيلي، ج٣، ص٢٣.

[٣] انظر: الأساس في التَّفسير: سعيد حوَّى، ج١، ص٦٠٤.

[٤] زهرة التَّفاسير: أبو زهرة، ج٢، ص٩٥٢.

المبحث الثالث: بيان قيام الإيمان على الإقناع لا الإكراه.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلـب الأول: توجيه الدُّعاة للتَّسلح بالحكمة في محاجة الجاحدين.

المطلب الثاني: زرع اليقين المطلق بقدرة الله ﷻ في نفوس المسلمين.

المطلب الثالث: دفع النفوس للإيمان ببيان قدرة الله ﷻ على إحياء الموتى.

المطلب الأول: توجيه الدُّعاة للتَّسلح بالحكمة في محاجة الجاحدين.

قال تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (البقرة ٢٥٨).

أولاً: المفردات اللغوية:

﴿حَاجَّ﴾ جادل وناظر[١].

﴿بُهِتَ﴾ تحير ودهش وسكت[٢].

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- في قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ﴾ "الاستفهام للتعجب، والرؤية قلبية"[٣].

٢- في قوله تعالى:﴿ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ عرف المبتدأ والخبر معرفين ليفيد القصر، فلا يمتلك الإحياء والإماتة إلا الله ﷻ، وورود الخبر بصيغة المضارع يفيد التجديد والاستمرار[٤].

٣- إيراد الكُفر في حيز الصِّلة في قوله تعالى:﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ﴾ يُشعر بأنَّ سبب البُهتان هو الكُفر، ويُدلِّل على أنَّ المحاجَّة والمُجادلة في أصول العقيدة كفر[٥].

ثالثاً: المناسبة:

يظهر الترابط والتناغم بين هذه الآية وما سبقها من حيث إنه "لمَّا ذكر تعالى الإيمان بالله ﷻ وصفاته القدُسية العليَّة، وذكر ولايته للمؤمنين وولاية الطَّاغوت للكافرين، ذكر هنا نموذجاً عن تحكم الطُّغيان في نفوس الكفرة المعاندين، ومجادلتهم في وحدانية الله ﷻ"[٦]، فذكر هنا قصة إبراهيم ﷺ مع النمرود لإثبات وجود الله ﷻ ومطلق قدرته وهدايته لأهل الحق وطمس عناد وجحود أهل الباطل.

---

[١] تفسير غريب القرآن: الكواري، ج٢، ص٢٥٨.

[٢] معاني القرآن: الزجَّاج، ج١، ص٣٤١.

[٣] التَّفسير المنير: الزُّحيلي، ج٣، ص٢٦.

[٤] انظر: المرجع السابق، ج٣، ص٢٦.

[٥] انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السُّعود، ج١، ص٢٥٢.

[٦] صفوة التَّفاسير: الصَّابوني، ج١، ص١٤٩.

رابعاً: المعنى العام:

يضرب الله ﷻ المثل لتقريب المعنى للأفهام، ولإثبات ولايته لأمر المؤمنين وإرشادهم، ونَصرِهم على عدوهم، فهذا النَّمرُود ملِك بابِل الذي طبع الشَّيطان على قلبه، وطمس هوى المُلك على عيونه، فنسي أنَّ مُلْكه واقعٌ في مُلْك الله ﷻ وكائنٌ تحت تصرُّفه، حتَّى وصل به الغُرُور أنْ يدَّعي الرُّبوبية، ولمَّا دعاه إبراهيم ﷺ للإيمان مذكراً إيَّاه بالموت الذي سيلقاه بعد انقضاء الأجل الذي قضاه الله ﷻ له، طغى وتجبَّر وحاجَّ إبراهيم ﷺ، فادَّعى أنَّه يَملك الموت والحياة، فقام بقتل رجلٍ وعفا عن رجلٍ محكومٍ عليه بالإعدامِ؛ ليُخادع إبراهيم ﷺ بذلك، فهدى الله ﷻ ابراهيم ﷺ لنور العلم، والإدراك للموقف، فلم يجادله في سفاهته، بل توجَّه لإقامة الحُجَّة عليه بأمرٍ خارجٍ عن تصرفه، فذكَّره بالشمس التي يراها كل يوم تخرج من المشرق، وتحداه بأن يخرجها من الغرب ليثبت صحة دعواه، فلمَّا رأى الأمر خارجاً عن تصرُّفه بُهت فلم يجد ما يُجيب به على تحدي إبراهيم ﷺ، وفي تلك اللَّحظة الحرجة انقطعت حُجَّته وسقطت شُبهته، إلا أنَّه أصرَّ على الكُفر فاختار لنفسه طريق الضَّلال فظلم نفسَه فلم ينل من الله ﷻ حبل الهُدى والنَّجاة فكان من المُهلكين[1].

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- إظهار بلاغة القرآن الكريم في عرض الأحداث والقَصَص، وتجلَّت في مَطلع الآية بقوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ﴾ حيث أسلوب الاستفهام الذي يتطلب الإجابة والإقرار، وقد عرض المشهد للقارئ وكأن الصُّورة ماثلةً أمامه، ليتَّحِد المدلُول اللَّفظي والمعنوي فيُثير في النَّفس الاستنكار والتَّفريع[2].

٢- بيان ضعف حُجَّة الباطل أمام سُطُوع شمس الحق، فمهما ظهر الباطل قوياً، إلا أنه يُخفي ضعفه داخله، فإذا اخترقت قذيفة الحقِّ جداره، كُشِفَت أسراره فأضحى رَماداً، لا يُرى له عَماداً، ولقد بين تعالى ذلك بقوله:﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾(الأنبياء: ١٨).

٣- تحقير شأن الطُّغاة والمتكبِّرين في نفوس المؤمنين، فلم "يذكر القرآن اسم هذا الإنسان المتمرِّد على الله ﷻ، ولم يَدل عليه، لأنه ساقطٌ من حساب الإنسانية، إذ باع إنسانيته للشَّيطان، وأسلمها للطَّاغوت، ثمَّ إنَّه لا ضرورة لذكره، حتى لا يتعرَّف عليه أحدٌ، فتُصيبه عدواه ولو من بعيد، كما تُصيب الرَّائحة الخبيثة بالأذى كلّ من يَمُر به حامل الجيَّف"[3].

---

[1] انظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، السَّعدي، ج١، ص١١١.

[2] انظر: في ظلال القرآن: سيد قطب، ج١، ص٢٩٧.

[3] التَّفسير القرآني للقرآن الكريم، عبد الكريم الخطيب، ج٢، ص٣٢٢.

٤- كشف أساليب الطُّغاة في تضليل النَّاس، واستخفاف عقولهم، بإظهار الباطل في صورة الحق، فأراد الله ﷻ إزالة غشاوة العيون، وتنوير النَّاس حتى لا ينخدعوا بأساليب التَّورِية التي يُمارسها الطُّغاة، وسَحَرَتهم من أرباب الإعلام ولباقةِ الكلام[١].

٥- زجر كل من يُنكر المعروف ولا يَردَّ الفضل لأهله، لأنَّ الأصل في الفطرة السَّليمة الشُّكر على النِّعم، ويظهر ذلك بتجبُّر النَّمرود، وعدم شكره لنِعمةِ المُلْك التي أوكلَها الله ﷻ إليه.

٦- تشريفُ أهل الحقِّ، الدَّاعين لدين الله ﷻ في كل زمان، بذكر اسم مُمثِّلهم في هذا المشهد، حيث يقول تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ ﴾ ولم يكتف بذكر اسمه، بل زاده تشريفاً بنسبته إليه بقوله:﴿ رَبِّهِۦٓ ﴾ وفي ذلك بُشرى لكل من سار على دربه.

٧- إثبات أنَّ الله ﷻ لا يُشابهه شيءٌ من خلقه، "وأنَّ طريق معرفته: ما في الكون من الدلائل القاطعة على توحيده، لأن أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام إنما حاجوا الكفَّار بمثل ذلك، ولم يصفوا الله ﷻ بصفة توجب التشبيه، وإنما وصفوه بأفعاله واستدلوا بها وبآثاره عليه"[٢].

٨- تذكير الإنسان بضعفه، فالله ﷻ خلقه من العدم، ثمَّ كوَّنه في ضعفٍ ثمَّ وهبه شيئاً من قوة، ثمَّ يُعيده ضعيفاً، ثمَّ يُميته فلا تجد له حراكاً، وقد بين تعالى ذلك بقوله:﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾(الروم:٥٤).

٩- توجيه الدُّعاة للاستفادة من الحقائق الكونية في "إبراز المعاني وإنشاء التصور الصحيح للمنهج الإسلامي في نفوس المسلمين، واستثارة ضمائرهم"[٣].

١٠- بيان أنَّ إنعام الله ﷻ على الظَّالمين في الدنيا على وجه الاستدراج، والزِّيادة في الغيِّ ثمَّ يأخذهم في تقلبهم، ومصيرَهم يوم القيامة أشدَّ العذاب[٤].

١١- التَّحذير من الظُّلم لأنَّه رأسُ كلِ ضلال، فأهل الطَّاغوت "يَظلِمون أنفسهم لأنهم يَسُدُّون منافذ النُّور فلا يصل إلى قلوبهم، ويَظلِمون أقوامهم؛ لأنَّهم يحملونهم على الضَّلال، ويظلمون الحقَّ لأنَّهم يحاربونه"[٥].

---

[١] انظر: التَّفسير القرآني للقرآن الكريم، عبد الكريم الخطيب، ج١، ص٢٩٧.

[٢] التَّفسير المنير: الزُّحيلي، ج٣، ٣٠.

[٣] مناهج التربية: مذكور، ص٢٤٦.

[٤] انظر: جامع البيان، الطبري، ج٥، ص٤٣٧.

[٥] زهرة التَّفاسير: أبو زهرة، ج٢، ص٩٥٩.

١٢- حثُّ العباد على الانسِلاخ منَ الظُّلم، والتَّطهُّر من شُبهاته "لأنَّ الظُلم إذا استحكَم في النَّفس أصبحت كلُّ البراهين لَا تُجدي، بل تزيده عنادًا وإصرارًا! ولذلك لم يكتب الله ﷻ الهداية لِمن استمرأ الظُّلم آحاداً أو جماعاتٍ والله ﷻ وليُّ المتَّقين"[١].

١٣- تربية النَّفس على ترك المِراء، وإحقاق الحقِّ بالحُجَّة القاطعة التي تُخرس الظَّالمين، وتُفحمهم فيُسْقط في يديهم، كما أبْهَتَ ابراهيم ﷺ النمرود بقوله:﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾ فلم يستطع أن يَرُدَّ عليه بكلمةٍ واحدة[٢].

١٤- تثبيت فؤاد الدعاة في كل العصور، ببيان ما وجده أسلافهم من الجحود والنكران والأذى من أقوامهم، وما لاقاه أفضل البشر، فصبروا وثبتوا، حتى جاءت البشرى بنصر الله ﷻ.

١٥- حثُّ العباد على طلب الهداية، وتحرِّي سُبل الوصول إليها، والإقبال عليها، لأنَّ الله ﷻ "لا يهدى من أعرض عن قبول الهداية، ولم يَنظُر في الدَّلائل التي تُوصل إلى معرفةِ الحقِّ، ويَستسلم للطَّاغوت، ويترك ما أعطاه الله ﷻ من الإدراك والفهم، اتباعاً لهواه وشهواته التي تُزيِّن له ما هو فيه، وهو حينئذٍ قد ظَلَم نفسه، وضلَّ ضلالاً بعيداً"[٣].

١٦- لفتُ الأنظار لمشاهدة صورةً حيةً تُظهر أنموذجاً في أكمل وجهٍ لأهل النُّور والإيمان، وآخر في أحقر مظهرٍ لأهل الطَّاغوت والظُّلمات، وإسدال السِّتار على مشهد بُزوغ شمس الحقِّ، وأفول نجمُ الباطل[٤].

إنَّ بناء العقيدة الإسلامية هو الرَّافعة الأولى للأمَّة المستحقَّةِ للخلافة، وصمَّام الأمان لاستمرارها، فبها تُحدَّد الأفكار والمفاهيم، التي يؤمن بها أفراد الأمَّة، وتتحكَّم في سلوكياتهم، وتُعد عقيدة البَعث باعثةَ الأمل، والوازع على الثبات، فأهل الإيمان عندما يجابهون أهلَ الطَّاغوت يدركوا بأنَّهم إنْ لم يَروا نَصر الحقِّ في الدُّنيا، فإنَّهم سَيفُوزون بالنَّعيم الخالد عند خالقهم، وأنَّ الأجيال ستسير على دربهم لتحقيق النَّصر المَنشُود، وهذا سِر العديد من عُظماء الأمَّة الإسلامية، فهُم لا يعيشُون لأنفُسهم، بل يقدمون أرواحهم لتحيا الأمَّة السَّاعية لإقامة الخلافة في الأرض، ولقد عايشت أنموذجاً من هؤلاء العظماء الذين حملوا همَّ الأمَّة وخطُّوا طريقها نحو النَّصر ثمَّ ارتحلوا قبل أن تتكحل عيونهم برؤيته، إنه الشيخ الإمام أحمد ياسين رحمه الله تعالى، وأنزله نُزُلَ الشُّهداء.

---

[١] زهرة التَّفاسير: أبو زهرة، ج٢، ص٩٥٩.

[٢] انظر: احياء علوم الدِّين، الغزالي، ج١، ص٩٦، العِلْم، ابن عثيمين، ج١، ص٩٥.

[٣] تفسير المراغي: أحمد المراغي، ج٣، ص٢٣.

[٤] انظر: التَّفسير القرآني للقرآن الكريم، عبد الكريم الخطيب، ج٢، ص٣٢٢.

المطلب الثاني: زرع اليقين المطلق بقدرة الله ﷻ في نفوس المسلمين.

قال تعالى:﴿ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾(البقرة: ٢٥٩).

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿خَاوِيَةٌ﴾ "ساقطة، أو خالية من السكان"[١].

﴿عُرُوشِهَا﴾ الخيام وهي بيوت الأعراب، والمراد بقوله:﴿ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ ساقطة سقوفها[٢].

﴿ يَتَسَنَّهْ ﴾ يتغير بمرور السنين عليه[٣].

﴿نُنْشِزُهَا﴾ نحركها ونرفع بعضها إلى بعض للتركيب[٤].

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- المجاز المرسل: في قوله تعالى:﴿ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ فأطلق موت القرية على موت سكانها، وبذلك أطلق المحِل وأراد الحال[٥].

٢- الاستعارة المكنية، في قوله تعالى:﴿ ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾ حيث استعار "الكسوة للَّحم الذي غطى العظم، كما يستر الجسد باللباس، ثمَّ حذف المشبه به وهو الثوب، وأتى بشيء من لوازمه وهو الكسوة[٦].

ثالثاً: المناسبة:

بعدما أثبت في الآيات السَّابقة وجود الله ﷻ وإحاطة علمه، وقدرته على كل شيء، بَرهَن قدرته على إحياء الموتى بمثالٍ يصوِّر مشهد إعادة الخلق، ليزيل الرَّان عن قلوبٍ لا تؤمن إلا بما تدركه الحواس، ولكي تؤمن بما رأوه السَّابقون عياناً فأخبتت له قلوبهم، ليكون بذلك حجةً على من

---

[١] التَّفسير المنير: الزُّحيلي، ج٣، ص٣٢.

[٢] انظر: معاني القرآن، الفرَّاء، ج١، ص١٧٢.

[٣] انظر: معاني القرآن، النَّحاس، ج١، ص٢٨٠.

[٤] إعراب القرآن وبيانه: درويش، ج١، ص٣٩١.

[٥] انظر: صفوة التَّفاسير، الصَّابوني، ج١، ص١٥٠.

[٦] التَّفسير المنير: الزُّحيلي، ج٣، ص٣٢.

تبعهم، وفيها "بيان لوجه مغالطة الكافر لمن استخفه من قومه في المحاجة مع الخليل ﷺ بأنَّ الإحياء الذي يستحق به المَلِك الألوهية هو هذا الإحياء الحقيقي، لا التخلية عمَّن استحق القتل"[1].

رابعاً: المعنى العام:

يدعونا الله ﷻ للتفكُّر وأخذ العبرة من قصص السَّابقين، فيذكُر قصة رجلٍ من بني اسرائيل كان يسير في طريقه فمرَّ ببيت المقدس فرآها قد هُدمت بيوتها، واقتُلعت أشجارها، بعدما دمَّرها جيش الظَّالمين، فاستغرب من أمرها كيف ستعود لسابق عهدها، وتعود لها الحياة بسَكَن البشر فيها، وبناء ما تهدَّم من بيوتها! فأراد الله ﷻ أن يُثبت له قدرته على ما هو أعظم من ذلك، فأماته مئة عام ثمَّ أحياه ثمَّ خاطبه الله ﷻ: كم لبثت على هذا الحال؟ فظنَّ الرجلُ أنه كان نائماً فقال: يوماً أو بعض يوم، فأجابه الله ﷻ بأنه كان ميتاً وأحياه بعد مائة عام، ليُثبت لنا قصور عقول البشر عن إدراك بعض الحقائق، ثمَّ أمره أن ينظر إلى الطَّعام والشَّراب الذي كان بحوزته ليُدرك قدرة الله ﷻ على كل شيء، فوجد طعامه كما هو لم يُصبه ما يفسده رغم طول المدَّة، ولمَّا كان لم يرَ حاله ويدرك ما حدث له طوال هذه المدة أراد الله ﷻ أن يريه ما حدث معه، ببيان المراحل التي مرَّ بها جسده عند البعث، فأمره أن ينظر إلى جسد الحمار الذي يمتطيه فوجد جسده قد بُلي، وأراد الله ﷻ أنْ يجعل من قصته عبرةً لكل إنسان لا يؤمن إلا بما تدركه الحواس، فيكتمل المشهد أمام عينيه بانتصاب عظام الحمار وعودة أجزائه لأماكنها، ثمَّ تتلوها المرحلة الثانية بإنبات اللحم فوقها، فتعود صورته إلى أصلها ثمَّ يغلق الستار بعودة الرُّوح إليه لتكتمل أركان الحياة فيه، فلمَّا رأى هذه الآية العظيمة بأُمِّ عينه أدرك أنه كان مُخطئاً بما قال عن القرية فاستدرك نفسه متلفظاً بإيمانه وعلمه أنَّ الله ﷻ قادر على ما هو أدنى وأعلى من ذلك[2].

خامساً: وجوه القراءات:

ورد في قراءة قوله تعالى:﴿ **كَيْفَ نُنشِزُهَا** ﴾ وجهان:

١- قرأ ابن كثير ونافع وأبوعمرو ويعقوب: ﴿**نُنْشِرُهَا**﴾ بالرَّاء، ويكون المعنى نُحييها ونبعثها.

٢- قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وجعفر وخلف العاشر:﴿ **نُنشِزُها**﴾ بالزاي ويكون المعنى: نجعلها بعد بلاها يرتفع بعضها على بعض ويلتئم كل جزء منها في موضعه[3].

---

[1] نظم الدرر: البقاعي، ج٤، ص٦٠.

[2] انظر: التَّفسير الوسيط، الزُّحيلي، ج١، ص١٥١.

[3] انظر: معاني القراءات، الأزهري، ج١، ص٢٢٢.

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- إظهار براعة القرآن الكريم في عرض الأحداث، وإظهار الغائب في صورة الشَّاهد، والغيبي في صورة المحسوس، فيُقنع العقل ويُمتع العاطفة.

٢- دعوة السَّامع لأخذ العبرة من القصص القرآني، وعدم الخوض في التَّفاصيل التي لا تُجدي نفعاً، فما الفائدة من معرفة اسم الرَّجل، ونسبه، وعمره! وما "هذه القرية التي مرَّ عليها وهي خاوية على عروشها؟ إنَّ القرآن لم يُفصح عنهما شيئاً، ولو شاء الله ﷻ لأفصح، ولو كانت حكمة النَّص لا تتحقق إلا بهذا الإفصاح ما أهمله في القرآن"[١] وهذا يدعونا إلى النَّظر والتَّفكر في جوهر القضية، واستشعار المعاني والرسائل التي أراد الله ﷻ إيصالها لنا.

٣- بيان أنَّ الحكم على أفعال العباد قائم على مقصدهم ونيتهم، والله ﷻ وحده العالِم بما تُكنه النَّفوس، وهنا نتساءل؟ ماذا يقصد الرجل بقوله:﴿ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾ فإن قصد الاستبعاد والإنكار ترتَّب عليه الكفر، أمَّا إنْ قصد العجز عن معرفة طريقة الإحياء، وطلب معاينة إحياء الموتى ليزداد بصيرة، لا يترتب عليه الكفر، بل فيه زيادة الإيمان، وطمأنينة القلب[٢].

٤- إثبات صفة الكلام لله ﷻ، وأنه كلامٌ "بحروفٍ وأصواتٍ مسموعةٍ، لقوله تعالى:﴿كَمۡ لَبِثۡتَۖ﴾ وقوله:﴿بَل لَّبِثۡتَ مِاْئَةَ عَامٖ﴾ فإنَّ مقول القول حروف بصوت سمعه المُخاطَب، وأجاب عليه"[٣].

٥- بيان اشتمال القرآن الكريم على المجاز، ودلَّ على ذلك قوله تعالى:﴿ قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥۖ قَالَ كَمۡ لَبِثۡتَۖ قَالَ لَبِثۡتُ يَوۡمًا أَوۡ بَعۡضَ يَوۡمٖ﴾ "وموت القرية هو موت السُّكان فهو من قبيل إطلاق المَحِل وإرادة الحَال، وكذلك الحياة فليست الحياة هي حياة البناء والجدران؛ لأنه لَا حياة لهما إنما الإحياء يكون لمن كانوا يسكنون البناء والجدران"[٤].

٦- نزع الشَّك بالبعث والعودة للحياة مرةً أخرى، فالفطرة السَّليمة، والعقل الحكيم يُقرَّان بذلك دون الحاجة للرؤيا العينية ليقينه بأنَّ صانع الشَّيء أول مرة، يَهُون عليه إعادة صناعته عدة مرَّات، إذ في الأولى يريد تحديد صفات المصنُوع، وعوامل بقائه، ثمَّ تصميمه وإخراجه، أمَّا في الأخرى، فهو عالمٌ بما صنع، ويتبقَّى عليه التنفيذ، فكيف بمن أوجد هذا الكون وما فيه من العدم!، وخاطب الله ﷻ أُولي الألباب في سياق الرَّد على المشكِّكين بالبعث

---

[١] في ظلال القرآن: سيد قطب، ج١، ص٢٩٩.

[٢] انظر: الأساس في التَّفسير، سعيد حوَّى، ج١، ص٦١٠.

[٣] تفسير العثيمين: ج٣، ص٢٧٩.

[٤] زهرة التَّفاسير: أبو زهرة، ج٢، ص٩٦١.

فقال تعالى:﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾(يس:٧٨،٧٩) أمَّا أصحاب العقول الآسنة، فجاءهم بصورةٍ حسيَّةٍ ماثلةٍ أمامهم، ليَقتلع الشَّك من قلوبهم، فقال تعالى:﴿ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾.

٧- توجيه الدُّعاة إلى استخدام أساليب الإقناع الفكري، القائم على الحجج، والأدلَّة من واقع الحال والبعد عن الجدل[١].

٨- إثبات البعث بعد الموت، ويترتَّب على التَّصديق بذلك الإيمان بما بعده من أهوال يوم القيامة، والحساب، والثوَّاب والعقاب[٢].

٩- بيان أنَّ "الحكمة تقتضي البعث بعد الموت لتجازى كل نفس بما كسبت، ولولا ذلك لكان خلق النَّاس عبثاً لا قيمة له، ولا حكمة منه"[٣] فالله ﷻ أماته ثمَّ أحياه ثمَّ ذكَّره بما قال قبل موته.

١٠- بيان قدرة الله ﷻ وتحكُّمه بقوانين الكون، يُغير منها ما شاء وقتما شاء، ومن مظاهر ذلك بقاء الطَّعام والشَّراب مائة عام لم يتغيَّر حاله، بينما قوانين الطَّبيعة تقول بتعفُّنه بعد أيامٍ معدودةٍ، وفي نفس الوقت أجرى قانون الفناء والبلاء على الحمار، "ليكون هذا التَّباين في المصائر والجميع في مكان واحد، معرضون لمؤثرات جوية وبيئية واحدة، آية أخرى على القدرة التي لا يعجزها شيء"[٤].

١١- تربية النَّفس على الإذعان للحق، والاعتراف به بعد بيانه، وتجنُّب الاستكبار، والجحود.

١٢- إثبات عجز حواس الإنسان عن إدراك جميع الحقائق، فالكثير من الأحداث تَظهر للإنسان على وجهٍ مخالف للواقع، فيَبني عليها مواقفه، وقراراته، وأعماله، ثمَّ يُصدَم بعد اكتشاف الحقيقة، ليجد نفسه قد خُدع فيما ظَهر له، وتحقَّق ذلك في استشعار الرجل للمئة عام التي قضاها ميِّتاً أنها أيام معدودة[٥]، حيث يقول تعالى: ﴿ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ ... ﴾ومن الظَّواهر التي تُثبت خداع حاسَّة البصر للإنسان، ظاهرة السَّراب، التي وصف الله ﷻ بها أعمال الكفَّار بقوله:﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا ﴾(النور:٣٩).

---

[١] انظر: الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها، حَبَنَّكَة الميداني، ج١، ص٢٤٢.

[٢] انظر: أيسر التَّفاسير، ابو بكر الجزائري، ج١، ص٢٥١.

[٣] شرح ثلاثة الأصول: ابن عثيمين، ص١٤٧.

[٤] في ظلال القرآن: سيد قطب، ج١، ص٣٠٠.

[٥] انظر: المرجع السابق، ج١، ص٢٩٩.

١٣- تصوير مشهد تطبيقي لهداية الله ﷻ لعباده وإخراجهم من الظُّلمات إلى النُّور[١].

١٤- قذف الأمل في نفوس عباد الله المتقين، السَّاعين لإعادة حكم الله ﷻ للأرض، وتحصين فكرهم من اليأس، بإظهار قدرته على تغيير الواقع، فمن أحيا القرية بعد مائة عام، قادرٌ على إحياء الخلافة الإسلامية بعد مائة عام من هدم قلاعها.

١٥- الرَّد على الخداع الذي مارسه النمرود أثناء مجادلة إبراهيم ﷺ، وما دام إبراهيم ﷺ لم يجاريه في جداله ولم يظهر حقيقة إحياء الموتى، وانتقل لآية أخرى فأبهته، جاءت هذه الآية لتظهر حقيقة إحياء الموتى بمثالٍ محسوس، ويكشف حقيقة الصفة التي لا يمتلكها إلا الإله الحق.

ويرى الباحث أنَّ الفهم السَّليم للعقيدة الإسلامية، والتَّوقف عند الأمور التي لا تدركها العقول، هو الطريق الأسلم والأضمن، لصلاح هذه الأمَّة، والباعث على وحدتها، وينبغي على الدُّعاة التصدي لكل من يثير الشبهات، ويزرع الأوهام والضلالات في نفوس البشر، وذلك بإبراز الحجة البينة الواضحة التي لا تحتمل التأويل، ليلتف النَّاس حول راية الحق، ونكمل طريقنا لإخراج النَّاس من عبادة العباد، إلى عبادة رب العباد، ومن جور الدنيا لسعة الدنيا والآخرة.

المطلب الثالث: دفع النفوس للإيمان ببيان قدرة الله ﷻ على إحياء الموتى.

قال تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(البقرة: ٢٦٠).

أولاً: المفردات اللغوية:

﴿ **فَصُرْهُنَّ** ﴾ ضمهن أو قطعهن[٢].

﴿ **سَعْيًا** ﴾ "مشيًا على أرجلهن"[٣].

ثانياً: وجوه البلاغة:

من الجوانب البلاغية في هذه الآية "الإيجاز بالحذف، إذ حكى سبحانه أوامره، وحذف تتمة القصة، ولم يعترض لامتثال إبراهيم ﷺ لها، لأن ذلك مدرك بالبداهة"[٤].

---

[١] انظر: التَّفسير القرآني للقرآن الكريم، عبد الكريم الخطيب، ج٢، ص٣٢٦.

[٢] انظر: التبيان في تفسير غريب القرآن: شهاب الدين، ج١، ص١١٥.

[٣] غريب القرآن: الدينوري، ج١، ص٩٧.

[٤] الجدول في إعراب القرآن: صافي، ج٣، ص٤٢.

ثالثاً: المناسبة:

في سياق إثبات ما جاء في آية الكرسي من خلال ضرب الأمثلة الواقعية والمحسوسة على قدرة الله ﷻ، يزرع الله ﷻ الإيمان في القلوب، ببيان قدرته على إحياء الموتى، ولمَّا تناول قصة النمرود مع إبراهيم ﷺ ليبين حقيقة إحياء الموتى، ويدحض التصورات الباطلة لذلك، جاءت قصة عزير بني إسرائيل كاشفة للتصور الصحيح لإحياء الموتى، ولما كانت الصورة الأولى تتمثل في إنكار قدرة الله ﷻ على ذلك، وجحود الحق بعد بيانه، وتمثلت الصورة الثانية استغراب واستبعاد القدرة على تغيير الوقائع ثمَّ الإيمان المطلق بعد بيان الحق وثبات الحجة، ظهرت مناسبة هذه الآية لما سبقها، فهي مكملة للمشهد بحيث أظهرت الصورة الثالثة، وهم المؤمنون بقدرة الله ﷻ المتفكرون في خلقه؛ ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم ولتطمئن قلوبهم[١].

وتظهر المناسبة بين فاصلة الآية ومضمونها جلية، فبعدما أثبتت الآية قدرة الله ﷻ على إعادة الخلق، وجب الإيمان بالبعث بعد الموت، فناسب ختام الآية بإضافة صفتي العزة والحكمة لله ﷻ، "فالله ﷻ له مطلق القدرة في خلقه، وهو الغالب في ملكه، وهو الحكيم في فعله وتقديره"[٢] فلم يخلق الإنسان عبثاً، بل لحكمة بالغة، ولم يجعل عمله في حياته هباء؛ بل اقتضت حكمته أنْ يبعثه بعد ذلك؛ ليحاسبه على ما قدَّم، وأنَّ ما بين خَلقه، وحياته، وموته، وبعثه خاضعٌ لقدرة الله ﷻ وكائنٌ في ملكه.

رابعاً: المعنى العام:

يذكر الله ﷻ المؤمنين بطبيعة النَّفس البشرية التي جُبلت على حب المعرفة، والاستطلاع، ولا ضير في ذلك إن كان بغرض زيادة الإيمان واليقين وليس توقف الإيمان على بيانه، كما حدث مع إبراهيم ﷺ عندما طلب من الله ﷻ أنْ يُريه مثالاً على إحياء الموتى؛ ليزداد إيماناً ويكون شاهداً على ذلك، فخاطبه الله ﷻ وهو أعلم به، أولم تؤمن؟ فأجاب إبراهيم ﷺ: بلى، ولكن ليزداد إيماني وتُنير بهذه الآية قلبي، فأمره الله ﷻ بأخذ أربعةً من الطَّير الحيِّ وأنْ يضمُّها إليه ليعرفها جيداً، ثمَّ يجزئهن بعد ذبحهن، وأنْ يجعل على كل الجبال المجاورة له جزءاً منهن، ثمَّ يناديهن فسيأتينه ساعياتٍ فيهنَّ الحياة كما كُنَّ، ثمَّ أمره تعالى بأن يكون على يقينٍ بأنَّ الله ﷻ لا يُعجزه شيء، وهو ذو الحكمة البالغة في كل أمر[٣].

---

[١] انظر: نظم الدرر، البقاعي، ج٤، ص٦٠.

[٢] تفسير الشَّعراوي: ج٢، ص١١٤٢.

[٣] انظر: المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنَّة من علماء الأزهر، ص٦٢.

خامساً: وجوه القراءات:

جاء في قراءة ﴿ فَصُرْهُنَّ﴾ وجهان هما:

١- قرأ حمزة ويعقوب: (فَصِرْهُنَّ إِلَيْكَ) بكسر الصاد، وعلى ذلك يكون المعنى قَطعهُن.

٢- قرأ الباقون: (فَصُرْهُنَّ) بالضم، وعلى ذلك يكون المعنى أمِلهُن إليك[١].

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- إثبات قدرة الله ﷻ على إحياء الموتى، "مهما تلاشت أجزاؤها، وتفتت ذرَّاتها، وتطاول الزَّمان على موتها"[٢].

٢- توجيه الدعاة لاستخدام أسلوب التجربة العملية؛ لترسيخ المفاهيم، وقد أمر الله ﷻ إبراهيم ﷺ بتقطيع أوصال الطَّير وتوزيعها بنفسه، "ليثبِّت الاعتقاد بالتجربة الحسيّة أو الخبر والمعاينة، وهذا يشير إلى أهمية العلم التجريبي، والاختبارات العملية، لمعرفة كيفية تركيب الأشياء"[٣].

٣- رفع الحرج عن العبد "بأن يطلب ما يزداد به يقينه، كطلب ابراهيم ﷺ في قوله تعالى:﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾؛ لأنه إذا رأى بعينه ازداد يقينه"[٤].

٤- كشف غريزة الإنسان في حبه للمعرفة وكشف المجهول، وبيان أنَّ هذه المعرفة مقيّدة بحدود ينبغي التوقف عندها[٥]، فعلوم الإنسان محصورة فيما شاء الله ﷻ، له وأثبت تعالى ذلك بقوله:﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾(البقرة:٢٥٥).

٥- إثبات تحقق ولاية الله ﷻ لعباده بعد استقرار الإيمان في قلوبهم، حيث جاء السؤال عن الإيمان قبل إجراء الآية على يديه[٦]، حيث خاطبه تعالى:﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾.

٦- إثبات أنَّ عين اليقين أقوى من علم اليقين، وبيان ذلك أنَّ إبراهيم ﷺ طلب رؤية إحياء الموتى "ليرتقي بذلك من علم اليقين إلى عين اليقين وأن يرى ذلك مشاهدة بعد أن رآه إيماناً ويقيناً"[٧] وهذا لا يفسَّر إلا في اتجاه واحد يتمثل في"الشوق الروحي، إلى ملابسة السر الإلهي، في أثناء وقوعه العملي"[٨].

---

[١] انظر: معاني القراءات: الأزهري، ج١، ص٢٢٥.

[٢] التَّفسير المنير: الزُّحيلي، ج٣، ص٣٨.

[٣] المرجع السابق: ج٣، ص٣٨.

[٤] تفسير العثيمين: ج٣، ص٣٠٥

[٥] انظر: أيسر التَّفاسير، الجزائري، ج١، ص٢٥٢.

[٦] انظر: المرجع السابق، ج١، ص٢٥٢.

[٧] الأساس في التَّفسير: سعيد حوَّى، ج١، ص٦١١.

[٨] في ظلال القرآن: سيد قطب، ج١، ص٣٠٢.

٧- بيان انقياد الخلائق لأمر الله ﷻ حيث جاءت الطيور سعياً على أقدامهن، رغم أنَّنا نرى فرار الطير من الإنسان، وقدوم الطير يكون بالطيران وليس بالسير.

٨- إثبات اسمين من أسماء الله ﷻ؛ "وهما:﴿**العزيز**﴾ و﴿**الحكيم**﴾ وإثبات ما تضمناه من الصِّفة وهي العزة، والحكمة"[١].

إنَّ إثبات عقيدة البعث يمثِّل الرُّوح للجسد، حيث إنَّه حلقة الوصل بين الدُّنيا والآخرة، وعلى هذه العقيدة يرتكز الوازع الدِّيني في نفوس العباد، وترتبط به أنياط القلوب في الشدَّة والرَّخاء، فإذا أصاب الإنسان نعمةً تذكر أنَّه محاسبٌ عليها يوم المعاد، فشكر الله ﷻ عليها، وأدَّى الذي عليه فيها، وإنْ أصابته بأساء تذكَّر ثواب الصَّابرين فرضيت نفسه واطمأنت، وإذا نُسفت هذه العقيدة، لم يجد الإنسان ما يملأ فراغه الرُّوحي، فيلجأ للانتحار، طلباً في الرَّاحة من الضَّنك، والخلاص من الملل، وما يُدلل على أهمية ترسيخ هذه العقيدة في نفوس البشر، ذِكْر الله ﷻ لثلاث صورٍ متتاليةٍ في هذا المشهد، وخطاب كُل عقل بما يتناسب معه.

---

[١] تفسير العثيمين: ابن عثيمين، ج٣، ص٣٠٧.

الفصل الثاني

التَّفسير التحليلي لمقاصد وأهداف سورة البقرة (٢٦١-٢٨١).

إقامة أسس الاقتصاد الإسلامي.

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: تأسيس نظام اقتصادي قائم على الاعتماد على النفس.

المبحث الثاني: التَّحلي بالفراسة والفطنة في إدراك الحقائق.

المبحث الثالث: التَّحذير من النِّظام الرَّبوي لإهلاكه الأنفُس والأموال.

المبحث الأول: تأسيس نظام اقتصادي قائم على الاعتماد على النَّفس.

يشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: ترغيب المسلمين في الانفاق بمضاعفة الأجر وبقاء الأثر.

المطلب الثاني: حث المُنفقين على إخلاص النِّية لله ﷻ.

المطلب الثالث: التَّحذير من مبطلات أجر الإنفاق.

المطلب الرابع: تربية النَّفس على المبادرة بفعل الخيرات.

المطلب الخامس: التَّحذير من عاقبة النِّفاق والشرك بالله ﷻ.

المطلب السادس: توجيه العباد لتقديم أفضل ما لديهم قربةً لله ﷻ.

المطلب الأول: ترغيب المسلمين في الإنفاق بمضاعفة الأجر وبقاء الأثر.

قال تعالى:﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(البقرة:٢٦١).

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿ سَنَابِلَ ﴾ جمع سُّنْبُل، وهو ما يحفظ بذور البُرِّ وَالشَّعِيرِ والذُّرَة[١].

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- المجاز المُرسل: في قوله تعالى:﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ ﴾ حيث أسند الإنبات إلى الحبة على سبيل المجاز لأنها سبب للإنبات، وقد ذكر أداة التشبيه وحذف وجه الشبه[٢].

٢- المجاز العقلي: في قوله تعالى:﴿ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ ﴾، وذلك أنَّ "إسناد الإنبات إلى الحبة إسنادٌ مجازي، ويسمى «المجاز العقلي»؛ لأن المُنبت في الحقيقة هو الله ﷻ"[٣].

ثالثاً: المناسبة:

لمَّا بيَّن الله ﷻ في الآيات السَّابقة أنَّ النَّاس طائفتان، إحداهما: أولياءُ لله ﷻ، والأخرى: أولياءُ للشَّيطان، وما دام بين الفريقين صراعٌ محتدمٌ، ناسب أنْ يحُثَّ على الإنفاق في سبيل الله ﷻ لأنَّ نُصرة الحق تستلزمُ توفُر المال، وقد علِمنا أنَّ "للجهاد في سبيل الحق ميادينَ ثلاثاً: أولُها الإقناع بالحجَّة والبرهان، وثانيها: الجهاد بالنَّفس، وآخرها الجهاد بالمال، فلمَّا ذَكر فيما سبق جهاد الدعوة، وجهاد النَّفس شَرَع الآن في ذكر الجهاد بالمال"[٤] وجاء الحثُّ على الإنفاق بعد إثبات القدرة على الإحياء والإماتة ليُهيِّئ النَّفس للاستجابة لأمر الله ﷻ، والمسارعة لتطبيقه، حيث أظهر جدوى الإنفاق بإثبات وجود الإله المُثِيب على أدائه، والمُعاقب على تركه، وزَرَع اليقين بالبعث، والنُّشور، والوقوف أمام الله ﷻ في يوم لا يُقبل فيه فديةٌ ولو كانت ملئ الأرض ذهباً[٥].

---

[١] انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج١١، ص٣٤٨.

[٢] انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السُّعود، ج١، ص٢٥٧، الجدول في إعراب القرآن، صافي، ج٣،ص٤٤.

[٣] صفوة التَّفاسير: الصَّابوني، ج١، ص١٥٤.

[٤] المرجع السابق: ج١، ص١٥٤.

[٥] انظر: مفاتيح الغيب، الرَّازي، ج٧، ص٣٦.

رابعاً: المعنى العام:

يمتدح الله ﷻ عباده الذين استجابوا لأمره، وأنفقوا من أموالهم في الوجوه التي حدَّدها لهم مُبتغين بذلك مرضاته، بوصف ما جَنَوه من الأرباح المضاعفة، والأجر العظيم باستثمَّار أموالهم مع الله ﷻ "كمن يَبذر حبَّةً في أرضٍ طيبةٍ، فتُنبت منها شُجيرةٌ فيها سبع سنابل في كل سُنبلةٍ مائة حبةٍ، وهذا تصويرٌ لكثرة ما يُعطيه الله ﷻ من جزاءٍ على الإنفاق في الدنيا، والله ﷻ يُضاعف عَطاءه لمن يشاء فهو واسعُ الفضل، عليمٌ بمن يستحقُ، وبمن لا يستحقُ"[1].

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- تفصيل ما أُجمل في قوله تعالى:﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾(البقرة:٢٤٥) فقد ذُكر في هذه الآية أنَّ الله ﷻ يُنمِّي المال المُنفَق في سبيله لأضعافٍ كثيرةٍ، ولم يحدد عدد أضعاف الزيادة، ثمَّ جاء بيان عددها في قوله تعالى:﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾، وفي ذلك إشارة لترابط آيات القرآن الكريم، وجمال نظمه[2].

٢- إيصال المعنى المراد في صورةٍ حيةٍ ماثلةٍ أمام القارئ يشاهدها في واقعه، ليُظهر المفهوم في صورة المحسُوس، فيُخاطب العقل والقلب، ليستجيش المشاعر، ويهُز الوجدان، فيَقتلع الشُّح، ويُثْبت العطاء، ليُشعل روح التنافس بين المؤمنين، كلٌ يسعى ليكون أفضل من الزَّرع، الذي يُعطي أضعاف ما يأخذه[3].

٣- تحفيز المؤمنين على إنفاق أموالهم في سبيل الله ﷻ ببيان الزيادة المطَّردة في الأجر.

٤- الإشارة إلى أنَّ "الأعمال الصالحة يُنمِّيها الله ﷻ لأصحابها، كما يُنمي الزَّرع لمن بَذره في الأرض الطيِّبة"[4].

٥- إظهار بلاغة القرآن، وفصاحته، وإعجازه، حيث ضَرب المثل في صورةٍ أشدُّ ما تكون في الفصاحة والبلاغة، وأظهر النَّظم في نَسجٍ يَعجز عن مجاراته أحدٌ[5].

٦- بيان أنَّ الإنفاق في سبيل الله ﷻ درجات، ويكون مضاعفة الأجر حسب حال المُنفِق، فلا يستوي من أنفق جزءاً من ماله وهو في أمس الحاجة له، ومن أنفق وهو في رغدٍ من العيش،

---

[1] المنتخب في تفسير القرآن الكريم: لجنَّة من علماء الأزهر، ص٦٣.

[2] انظر: مفاتيح الغيب، الرَّازي، ج٧، ص٣٩.

[3] انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص٣٠٦.

[4] التَّفسير المنير: الزُّحيلي، ج٣، ص٤٤.

[5] انظر: تفسير العثيمين، ج٣، ص٣١٠.

وكذلك حسب النتائج المُترتبة عليه، فالجهاد ذروة السَّنام لما فيه من الخير الوفير، فبه نجاة الأمَّة، وامتداد ثمَّاره لأجيالٍ متلاحقة، والإنفاق على المحتاجين فيه سدٌ لحوائجهم، وتحصينٌ لهم وللمجتمع من الفساد والإفساد، لذلك ضُعِّف أجرُ الإنفاق في سبيل الله ﷻ[1].

٧- التَّحذير من إنفاق الأموال للصَّد عن سبيل الله ﷻ، وتبشير من يُقدم على ذلك بالوبال والخُسران في الدنيا والآخرة، وبين تعالى ذلك بقوله:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ﴾(الأنفال:٣٦) وذلك لِما يترتب عليه من الإفساد في الدُّنيا والآخرة، فيبوء المنُفق بإثمَّ كل من اتَّبع هذا الباطل لأنه كان سبباً في قيامه، ليتحقق فيه قول النبي ﷺ: **(مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ)**[2].

٨- بيان سعة رحمة الله ﷻ بعباده وعظيم كرمه، فهو يُرْبي الحسنات، ويمحو السَّيئات بالتوبة الصَّادقة، وبيَّن ذلك ما رواه ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ ﷻ قَالَ: **(إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً)**[3] وهذا التَّفاوت راجع لمدى إخلاص المُنفِق، والوجه المُنفَق لأجله، "فالحسنة في جميع أعمال البِّر بعشر أمثالها، واقتضت هذه الآية أنَّ نفقة الجهاد حسنتُها بسبعمائة ضعف"[4]؛ وذلك لعظم النتائج المترتبة عليه، ففيه حفظ الدين والدولة والنفس والعِرض.

٩- إثبات الملكية للإنسان، لقوله تعالى:﴿أَمْوَٰلَهُمْ﴾ غير أنَّ هذه الملكية جزئيةً وخاضعةً لمُلك الله ﷻ،[5] وفيها إشارة إلى عدم جواز إنفاق الإنسان مما لا يملك، كمن أنفق من مال سرقه، أو اؤتمن عليه، فهو متعلق بذمة غيره ولا يصح التصرف به دون إذنه.

١٠- الإشارة إلى أنَّ الزيادة ليست مقصورةً على الأجر، بل تمتد لتُصيب عين المال، فمن أنفق جزءاً من ماله في سبيل الله ﷻ أفشى تعالى البركة في ماله، حتى ينمو أضعاف الجزء

---

[1] انظر: زهرة التَّفاسير، أبو زهرة، ج٢، ص٩٧٢.

[2] صحيح مسلم: ك- العلم، ب- من سنَّ في الإسلام، ج٨، ص٦١، ح٦٩٧٥.

[3] صحيح البخاري: ك-الرقائق، ب-من همَّ بحسنة، ج٨، ص١٠٣، ح٦٤٩١.

[4] التَّفسير المنير: الزُّحيلي، ج٣، ص٤٧.

[5] انظر: تفسير العثيمين، ج٣، ص٣١١.

المُنفَق، وقد أنفق عدد من الصحابة رضي الله عنهم جُلَّ مالِهِم، ثمَّ ازدادوا غنى بعد ذلك[١]، كما نرى في عالم النَّبات أنَّ "المهندس يأتي على شجر الموالح وقد امتلأ أول الإنبات، فيحاول أن يقلل العدد، فيسقط كمية منه، ليتوزع الغذاء على الباقي، فيَحسُن نتاجه"[٢].

١١- بيان أنَّ "ثواب الله ﷻ، وفضله أكثر من عمل العامل؛ لأنه لو عُومل العامل بالعدل لكانت الحسنةُ بمثلها؛ لكنَّ الله ﷻ يُعامله بالفضل، والزيادة، فتكون الحبة الواحدة سبعمائة حبةً؛ بل أزيد"[٣] لقوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾.

١٢- دفع العباد للبحث والتوصل للحقائق الكامنة في واقعنا، فكل ما ضَرب القرآن الكريم به المثل فهو حقيقةٌ موجودةٌ، وإن لم تَظهر لنا فعلينا بذل الجُهد وإعمال العقل للوصول إليها، وقد توصَّل العلماء حديثاً لكثيرٍ من الحقائق التي ذكرها القرآن الكريم منذ مئات السنين، وذكر بعض المفسِّرين أنَّ المُراد بقوله تعالى:﴿حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾ المبالغة وليس حقيقة العدد بحجة عدم وقوفهم على إنبات حبَّةٍ لسبعِ سُنبلاتٍ، ولكنَّ الأبحاثُ الحديثةِ توصَّلت لسُلالةٍ منَ القمح تُنبت الحبةُ منها سبعَ سنابل، بل توصَّلوا إلى إمكانية أن تُنبت أكثر من ذلك، وقد أشار الله ﷻ لذلك بقوله:﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ فالله ﷻ لا يَضربُ المثل إلا بما هو متحققٌ في الواقع ولو لم يظهر لمَداركنا[٤].

١٣- إظهار حاجة العباد للإنفاق في سبيل الله ﷻ، ويتجلَّى ذلك بتشبيه الإنفاق بالزَّرع في قوله تعالى:﴿ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ﴾ ووجه الشَّبه يَظهر في وظيفة كلٌ منهما، فكما أنَّ "السنابل غذاء للجسم والبدن، كذلك الإنفاق في سبيل الله ﷻ غذاء للقلب والرُّوح[٥].

١٤- مخاطبة البشر بما تُقره غرائزهم، للمسارعة في تطبيق ما أوجبه عليهم، فالنَّاس بفطرتهم يبحثون عن الزيادة في الأرزاق، فأراد الله ﷻ دفعهم للزيادة في الطاعات.

١٥- التأكيد على سعة علم الله ﷻ وإحاطته بكل شيء، ويقتضي ذلك علمُه بمن التزم آداب الإنفاق وأخلص نيته، فاستحقَّ بذلك الزيادة في الأجر، ومن أخلَّ بشروط الإنفاق أَحبَط عمله[٦].

---

[١] انظر: بين العقيدة والقيادة، محمود خطَّاب، ص٢٢٠.

[٢] سُلَّم أخلاق النبوة: محمود غريب، ص١٤٦.

[٣] تفسير العثيمين: ج٣، ص٣١١.

[٤] انظر: تفسير المراغي، ج٣، ٣٠.

[٥] تفسير العثيمين: ج٣، ص٣١١.

[٦] انظر: الأساس في التَّفسير، سعيد حوَّى، ج١، ص٣١٦.

١٦- إثبات المشيئة لله ﷻ، فلا يكون كائن، ولا يتحرك ساكن إلا من بعد إذنه، "وهو ربُ كل شيء، وخالق الأسباب والمسببات، يستطيع أن يعطي سبعمائة وأكثر منها لمن يشاء؛ إذ يوفقه لفعل الخير بنية خالصة وقلب نقي، فيضاعف له أضعافًا كثيرة"[١].

١٧- تهيئة الأمَّة الإسلامية لمُجابهة الابتلاءات والمِحن، فأوصى بالإنفاق، وغرسِ حُبه في نفوس المؤمنين في وقت الرَّخاء، حتى تَهرع أموالهم لنصرة الحق وقت المِحنة، وقد تحقَّق ذلك مرات عدة في عهد النبي ﷺ، والتاريخ الإسلامي[٢]، ونحن نرى الآن قيام الحركة الإسلامية على جيوب أبنائها.

١٨- إثبات صفتي السِّعة، والعلم لله ﷻ في قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾، وقد تم بيان ذلك في تفسير آية الكرسي.

ويرى الباحث أنَّ الإنفاق في أي وجه من الوجوه التي شرَّعها الله ﷻ إذا ما اقترن بالإخلاص، وسلِم من متبرات الأجر، نمَّاه الله ﷻ، وزاد المُنفِق من فضله في الدنيا والآخرة، غير أنَّ سُنن الله ﷻ اقتضت التَّفاوت والتَّمايُز بين الأشياء كما بيَّنت آيات الفصل الأول، ومما يتحقق فيه التَّفاوت أعمالُ العباد، ودرجاتُها عند الله ﷻ، وإذا علمنا أنَّ أفضل الأعمال عند الله ﷻ الجهاد في سبيله، ودلَّ على ذلك ما رُوي عن أبي سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ ﷺ، قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاس أَفْضَلُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ)**[٣] كان إنفاق المال في أبواب الجهاد، أفضل وجوه الإنفاق على الإطلاق، وإذا نظرنا إلى الآثار المترتِّبة على الإنفاق في الجهاد ظهر لنا أنَّه أسمى المراتب، إلا أنَّ هذا الفضل والاطِّراد في الأجر لا يَستثني الوجوه الأخرى للصَّدقة، فكما أنَّ الجهاد فيه حمايةٌ لحدود الدَّولة وحفظٌ لدينها، فكذلك الصَّدقة على الفقراء والمساكين ونحوهم، فيها حمايةٌ للسِّلْم الاجتماعي، وبُنيان الدولة الداخلي.

وبذلك يحض الله ﷻ عباده على الإنفاق في سبيله، ليزرع في نفوسهم مبدأ الاعتماد على النَّفس، وليستشعر كلَّ واحد منهم أنَّه لبنةً في صرح المشروع الإسلامي، ليقوم كلٌ منهم بالدَّور المُناط به لتحقيق الغاية من وجوده، وإقامة الأنموذج الأمثل للاستخلاف في الأرض.

---

[١] زهرة التَّفاسير: أبو زهرة، ج٢، ص٩٧٤.

[٢] انظر: كواشف زيوف، عبد الرحمن حبنَّكة، ج١، ص٦٣٨.

[٣] صحيح البخاري: ك- الجهاد والسير، ب- أفضل النَّاس، ج٤، ص١٥، ح٢٧٨٦.

المطلب الثاني: حثُّ المنفقين على إخلاص النية لله ﷻ.

قال تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى لَّهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝ قَوۡلٞ مَّعۡرُوفٞ وَمَغۡفِرَةٌ خَيۡرٞ مِّن صَدَقَةٖ يَتۡبَعُهَآ أَذٗىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٞ ﴾ (البقرة:٢٦٢-٢٦٣).

أولاً: المفردات اللغوية:

﴿مَنًّا﴾ الْمَنُّ النِّعْمَةُ، ومَنَّ عَلَيْهِ: أَنْعَمَ، والمراد "ذِكْرُ الْمِنَّةِ لِلْمُنْعَمِ عَلَيْهِ عَلَى سَبِيلِ الْفَخْرِ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، وَالِاعْتِدَادِ عَلَيْهِ بِإِحْسَانِهِ"[1].

ثانياً: وجوه البلاغة:

تقديم الخاص على العام: في قوله تعالى:﴿ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى ﴾ وقد ذكر العام بعد الخاص لإفادة الشمول، لأن الأذى يشمل المن[2].

ثالثاً: المناسبة:

بعدما حثَّ الله ﷻ عباده المؤمنين على الإنفاق في سبيله، ورغَّبهم فيه بتشبيهه بالزَّرع لتعَدُد فوائده وزيادته المطَّردة، وضمان ربحه، ناسب أنْ يُحدد شروط قبول الإنفاق، والتَّحذير من مبطلاته، فحذَّر المُنفقين من التَّفاخُر بالإنفاق على النَّاس، وإيذاء المُنفَق عليهم بأي أصناف الإيذاء، لما يترتب عليه من فناء لأجر الصَّدقة، وناسب أنْ يُبين كيفية التَّعامل مع السَّائل عند العَجز عن الإنفاق، بمحادثته بالكلام الطيِّب وردِه بالحُسنى، وناسَب أيضاً تذكير المُنفِق أنَّ الله ﷻ غنيٌ عن العالمين، ليعلم أنَّ أجر إنفاقه مردودٌ إليه، ولا يزيد في مُلك الله ﷻ شيئاً[3].

رابعاً: المعنى العام:

يبين الله ﷻ صفة الذين تُنمَّى أموالُهم التي أنفقوها في سبيله، بأنهم لا يُتبعونها بما يُنقصها ويُفسدها كالمَنِّ بها على المُنفَق عليه، بالقلب أو اللِّسان، بأن يعدد عليه إحسانه ويطلب منه مقابله، ويبشرهم بتحقيق الخير لهم، واندفاع الشَّر عنهم لأنهم عملوا عملاً خالصاً لله ﷻ سالماً من المفسِدات، ثمَّ يُحذر تعالى عباده من خطورة المن والأذى على الأجر، فبه ينقلب الربح إلى خسارة، وتحبط الأعمال فتصبح هباءً، وحينئذٍ تكون الصَّدقة بالكلمةِ الطيبةِ، أرجحُ في ميزان الله ﷻ من

---

[1] البحر المحيط: أبوحيَّان، ج٢، ص٦٥٠.

[2] انظر: صفوة التَّفاسير: الصَّابوني، ج١، ص١٥ ٤.

[3] انظر: الأساس في التَّفسير، سعيد حوَّى، ج١، ص٦١٣.

إنفاق قناطير الذَّهب والفضَّة؛ لأنَّ الصَّدقة الخالصةَ لله ﷻ تُثقلُ ميزان العبد، ولا تَزيد في مُلك الله ﷻ شيئاً، فهو غنيٌ عن العالمين[١].

خامساً: وجوه القراءات:

في قوله تعالى:﴿ **وَلَاخَوْفٌ عَلَيْهِمْ**﴾ قراءتان:

١- قرأ يعقوب ﴿**وَلَا خَوْفَ**﴾ بالبناء على الفتح من غير تنوين، وعليه يكون المعنى نفي الخوف عنهم في الدنيا والآخرة.

٢- قرأ الباقون ﴿**وَلَا خَوْفٌ**﴾ بالرفع مع التنوين، ويترتب على ذلك نفي الخوف عنهم يوم القيامة[٢]. القيامة[٢].

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- بيان الشَّرط الثالث لقبول الصَّدقة متمثلاً بالمعاملة الحسنة مع المُنفَق عليهم، بعدما أشار في الآية السابقة إلى شَرطَي الإخلاص لله ﷻ، وتملُّك المال قبل إنفاقه، فإذا تحققت هذه الشُّروط في المُنفِق، أعطاه الله ﷻ أجره أضعافاً مضاعفةً.

٢- تحذيرُ المُنفقين من مبطلات أجر الصَّدقة، وخصَّ منها المَنُّ، وقدَّمه على الأصناف الأخرى من الأذى؛ لكثرةِ تداوله[٣]، وخطره على المُجتمع، ولتعكيره صفوَ النيَّة التي تُعَدُ الركيزةَ الأولى لقبول العمل عند الله ﷻ، وترتفع منزلة المُنفق بنقائها، ليستظل بعرش الله ﷻ كما أخبرنا النبي ﷺ عن ذلك بقوله:(**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ... وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ**)[٤].

٣- حثُّ المنفقين على تجنُّب أصناف الأذى تجاه المُنفَق عليهم، وذلك لا يقتصر على وقت أداء الصَّدقة بل يمتد عبر الأزمان، ودلَّ على ذلك قوله تعالى:﴿ **ثُمَّ لَايُتْبِعُونَ** ﴾ لأنَّ (ثمَّ) تفيد "دوام وجود الفعل وتراخي زمن بقائه"[٥].

٤- بيان أنَّ عظمة الإنفاق تتجلى بما يترتب عليه، وما يُحققه من أهداف، فقد شُرِّع ليشُدَّ أوصال المجتمع، وينشر المحبة والوِّصَال بين أبنائه، وعندما يترتب عليه نقيض هذه الأهداف بإثارة البغضاء والإفساد، لاقترانه بالمنِّ والأذى، يَفقِدُ مكانته، ليُصبحَ بعد الخيرية منكراً[٦].

---

[١] انظر: تيسير الكريم المنَّان، السَّعدي، ص١١٣، تفسير المراغي، المراغي، ج٣، ص٣٢.

[٢] انظر: أثر اختلاف الإعراب، هديل المنيراوي، ص٦٥.

[٣] أنظر: ارشاد العقل السَّليم، أبو السُّعود،ج١، ص٢٥٨.

[٤] صحيح البخاري: ك- الزكاة، ب- الصَّدقة باليمين، ج٢، ص١١١، ح١٤٢٣.

[٥] الجدول في إعراب القرآن، صافي، ج٣، ص٤٦.

[٦] انظر: تفسير المراغي، ج٣، ص٣٢.

٥- ضمان حَوزة الأجر لمَن أنفق في سبيل الله ﷻ ثمَّ التزم بآداب الإنفاق، وأشار لذلك تخلية الخبر عن الفاء المفيدة للسَّببية؛ ليُثبت أنَّ ضَمان الأجر بيِّن لا يَحتاج للتصريح به[١].

٦- التحذير من أمراض القلوب التي تَصُد العبد عن فعل الخير، وتُحبط الأجر كالشُّح والرِّياء.

٧- بيان أنَّ مراتب النَّاس تتمايز بما "تتفاوت به نفوسهم من التزكية، لا بعوارض الغنى والفقر"[٢].

٨- دعوة العباد إلى رد السائلين بالتي هي أحسن عند عدم المقدرة على الإنفاق؛ لنيل الأجر والثواب من الله ﷻ على الكلمة الطيبة، بعد فوات أجر الإنفاق[٣].

٩- توطين النَّفس على عدم انتظار الشكر من الناس، وأن تتمثل قوله تعالى:﴿ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴾(الإنسان:٩).

١٠- إثبات غِنى الله ﷻ عن سائر المخلوقات، وأنَّ الإنفاق يزيدُ من قَدْر المُنفِق، ولا يزيد في مُلك الله ﷻ شيئاً، وقد بَيَّن الله ﷻ ذلك في الحديث القدسي حيث يقول تعالى:**(يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ..)**[٤].

١١- إتاحة الفرصة للعباد لكي يعودوا إلى الله ﷻ ويتوبوا عمَّا وقع منهم من الذنوب والأخطاء، فالله ﷻ حليمٌ لا يعاجل النَّاس بعقابه على ما اقترفته أيديهم، ولو كان كذلك ما ترك على ظهرها من دابة، ولكنه يُمهلهم حتى يتوبوا، فعلى كلٍّ من يمُن على النَّاس في الصَّدقات أن يتوب إلى الله ﷻ ويستغفره ويُقلع عن هذا الذنب العظيم[٥].

مما لا شكَّ فيه أنَّ مبادرة النَّاس بأصناف الأذى، والمنُّ بالفضلِ عليهم يُشعل في قلوبهم نار الغلِ والحقد، فتنطلق سهام الحسد من العيون، فتُصيب المتعالين بالبلاء، ويتناصب النَّاس العِداء، حتى تراق الدماء، فلا يعد لقوة الأمَّة بقاء، لتفترسها أنياب الأعداء، لذلك شرع الله ﷻ النَّهج القويم وأنزله في القرآن الكريم، ليحفظ للأمة وحدتها، ويعزز على الحق قوتها، لتقيم الخلافة في الأرض، ويدين عُمَّارها بالإسلام من شرقها لغربها.

---

[١] انظر: محاسن التأويل، القاسمي، ج٢، ص٢٠٤.

[٢] التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج٣، ص٤٤.

[٣] انظر: قبس من نور القرآن الكريم، الصَّابوني، ج١، ص٩٠.

[٤] صحيح مسلم: ك- البِّر والصِّلة، ب- تحريم الظُلم، ج٥، ص٥٧، ح ٤٢١٧.

[٥] انظر: الأساس في التَّفسير، سعيد حوَّى، ج١، ص٦١٥.

المطلب الثالث: التحذير من مبطلات أجر الإنفاق.

قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾(البقرة:٢٦٤).

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿ رِئَآءَ ﴾ يَقصد أن "يَرَى النَّاس مَا يَفْعَلُهُ مِنَ الْبِرِّ حَتَّى يُثْنُوا عَلَيْهِ وَيُعَظِّمُوهُ بِذَلِكَ"[١].

﴿صَفْوَانٍ﴾ "صيغة مبالغة من الصَّفا، وهي الحجارة المَلساء الصلبة التي لا نبات عليها"[٢].

﴿ وَابِلٞ ﴾ "مَطَرٌ شَدِيد الوَقْعِ، شديد التتابع"[٣].

﴿ صَلۡدٗا ﴾ أمْلَسَ، مُجرَّد من التراب[٤].

ثانياً: وجوه البلاغة:

التشبيه التمثيلي: في قوله تعالى:﴿ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ ﴾، لأنَّ وجه الشبه مُنتزَع من متعدد، ويُوحي بعدم الانتفاع بما أَنفق من ماله، كمن غرس في تُراب فوق صفوان، فلن ينتفع بغرسه[٥].

ثالثاً: المناسبة:

تظهر مناسبة الآية لما قبلها جليَّة، فبعدما بيَّن الله ﷻ في الآيات السابقة فضل الإنفاق، وشروط قَبوله، ونماء أجره، مشبهاً حال النفقة الخالصة لله ﷻ بالزَّرع الذي يقدِّم مئات أضعاف ما يأخذ، ناسب أن يُحذِّر من محبطات أجر الصَّدقة، ببيان وجه الشَّبه بين المنِّ والشِّرك بالله ﷻ في إفناء الأجر، وقد جاء بمثالٍ زراعي يُبرز من خلاله فناء عوامل نماء الزرع؛ ليظهر عوامل إفناء أجر الصَّدقة، وليمثل الوجه المقابل لمثال الحبَّة التي أنبتت سبع سنابل، وختم الآية بنفي الهُدى عن الكافرين، ليُرهب كلَّ من تُسوِّل له نفسه سلوك درب الضالِّين[٦].

---

[١] البحر المحيط: أبو حيَّان، ج٢، ص٦١٥.

[٢] نظم الدُّرر: البقاعي، ج٤، ص٨٠.

[٣] تفسير غريب القرآن: الكواري، ج٢، ص٢٦٤.

[٤] انظر: جامع البيان، الطبري، ج٥، ص٥٢٤، التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين، ج١، ص١١٥.

[٥] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣، ص٤٨، التَّفسير المنير، الزُّحيلي، ج٣، ص٤١.

[٦] انظر: نظم الدُّرر، البقاعي، ج٤، ص٨٠.

رابعاً: المعنى العام:

يُخاطب الله ﷻ عباده المؤمنين محذراً إياهم من الامتنان على النَّاس بصدقاتهم لما يترتب عليه من فساد العمل وذهاب الأجر، مشبهاً المنَّ بالشِّرك في كونه مبطلاً لأجر العمل الصالح، ثمَّ ضرب مثلاً يصور به حال الإنفاق المقترن بالمنِّ والشِّرك بالله ﷻ ليردع النفوس عنهما، مُشبهاً إياه "بحجرٍ أملسٍ عليه ترابٌ هطل عليه مطرٌ غزيرٌ فأزاح عنه التراب، وتركه أملساً لا شيء عليه، فكذلك هؤلاء المُراؤون تضمحِلُّ أعمالَهم عند الله ﷻ، ولا يجدون شيئًا من الثواب على ما أنفقوه، والله ﷻ لا يوفق الكافرين لإصابة الحقِّ في نفقاتهم وغيرها"[١].

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- إثبات أنَّ الرياء والمنَّ من كبائر الذُّنوب، لتَرتُّب عقوبة إبطال العمل عليه، ولاقترانه بالكفر، ولقد وصفه النبي ﷺ بالشِّرك الأصغر[٢] حيث قال:(**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ)**[٣].

٢- ترغيب العباد بإخفاء الصَّدقة، وإخلاص العمل لوجه الله ﷻ لما يترتب عليه من صلاح العمل وثبات الأجر، وترسيخ الإيمان في القلوب.

٣- إثبات خُسران المُرائي في الدنيا والآخرة، ففي الدّنيا لأنَّ "المنّان بغيض إلى النَّاس، والمرائي مذموم منبوذ لدى المجتمع، وأما في الآخرة فإن الله ﷻ لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً له وابتُغي به وجهه"[٤]

٤- الإشارة إلى أنَّ المنَّ والأذى يتنافيان مع الإيمان، حيث بدأ الآية بخطاب المؤمنين ونَهيِهِم عن تلك الصفتين، ثمَّ شبه المتَّصف بهما بمن لا يؤمن بالله ﷻ واليوم الآخر، وهما عِماد أركان الإيمان، ثمَّ ختم الآية بنفي الهُدى عن الكافرين؛ ليُثبت أنَّ الرياء من صفات الكافرين[٥].

٥- نشْر الألفة والمحبَّة في أوساط المجتمع المسلم، وذلك بردع الأغنياء عن الاستعلاء على الفقراء، حتى لا يشعر الفقراء بذُل الحاجة، فتتمرد نفوسُهم، ويسود المجتمع العداوة والبغضاء، وتتفكك روابط الأُلفة بين أبنائه[٦].

---

[١] التَّفسير المُيسَّر: نُخبة من أساتذة التَّفسير، ص٤٤.

[٢] انظر: تفسير العثيمين، ج٣، ص٣٢١.

[٣] مسند الإمام أحمد: ج٥، ص٤٢٨، ح ٢٣٦٣٠؛ مسند البزَّار، ج٨، ص٤٠٦، ح٣٤٨١؛ المستدرك، الحاكم، ج٤، ص٣٦٥،ح٧٩٣٧؛ ذكره الألباني في السلسلة الصحيحة، ج٢، ص٦٣٤، ح٩٥١.

[٤] التَّفسير المنير: الزُّحيلي، ج٣، ص٤٦.

[٥] انظر: زهرة التَّفاسير، أبو زهرة، ج٢، ص٩٧٩.

[٦] انظر: المرجع السَّابق، ج٢، ص٩٨٠.

٦- تسلية الفقراء، وتعليق قلوبِهم بحبل الرَّجاء بالله ﷻ، "وتهديد الأغنياء وإنذارهم بألَّا يغتروا بحِلم الله ﷻ وإمهاله إيَّاهم"[١].

٧- مراعاة الفروق النَّفسية في الخطاب، فهناك أنفُس خيِّرة تبحث عن الخير، وتأتيه رغبةً في الأجر، وهؤلاء خاطبهم الله ﷻ بأسلوب الترغيب، أمَّا الأنفُس التي تسعى للشَّر فخاطبها ليُرهبهم من تبعات الضلال والانحراف الذي يُزاولونه.

٨- إبراز المفهوم في صورة المحسُوس، في مشهدٍ يخاطب الوجدان؛ ليَغرُس الخير في النُّفوس، فكما أنَّ النَّفس تُنكر على أحدٍ أن يزرع في أرضٍ صلدةٍ، كذلك ستنتهي عن المنِّ والأذى[٢].

٩- الإشارة إلى حال المنافقين الذين يُظهرون الإيمان ويُبطنون الكفر، فإذا ابتلي المؤمنون وزلزلوا، انقشع الغبار وبان كُفرهم، كما يُزيل المطر التراب عن الصَّفوان[٣]، ويبين الله ﷻ حال المُنافقين في الإنفاق بقوله:﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴾(التوبة:٥٤).

إنَّ النَّاظر لحال الأمَّة الإسلامية اليوم، وقد قطَّع الأعداء أوصالها، وغيَّبوا عقلها، غير أنهم عجزوا عن استئصال قلبَها عبر عشرات السنين، حتَّى إذا تحرَّر أبناؤها المُخلصون من قيودهم، أخذوا على عاتقهم إخراجها من كبوتها، وتضميد جراحها، حتى إذا ما أوشكت الأمَّة على النهوض، رأيتَ بعض أبنائها- الذين لطالما تغنوا بأمجادهم، وتراؤوا بدفاعهم عن حياة الأمَّة- قد باغتوها بطعناتٍ عميقةٍ، لينقشِع الضَّباب، وتفنَّد الأكاذيب، ويَظهر صَلد قلوبهم، وليتصدَّى الأبناءُ المخلصون لهم، ويبدأ الصِّراع بين فُسطاطين، ايمانٌ بلا نِفاق، وضلالٌ بلا افتراق، وتحْتدُ المعركةُ ويحمى الوطيس، والقلوب ناظرةً لوعد الله ﷻ في قوله:﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾(النُّور:٥٥).

---

[١] التَّفسير المنير: الزُّحيلي، ج٣، ص٤٦.

[٢] انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص٣٠٨.

[٣] انظر: جامع البيان، الطبري، ج٥، ص٥٢٦.

المطلب الرابع: تربية النَّفس على المبادرة بفعل الخيرات.

قال تعالى:﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(البقرة:٢٦٥).

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿ رَبْوَةٍ ﴾ الأرض المُرتفعة[١].

﴿ طَلٌّ ﴾ "أضعف المطر، وهو ماله أثرٌ قليلٌ"[٢].

ثانياً: وجوه البلاغة:

التشبيه التمثيلي: في قوله تعالى:﴿كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ﴾ شبَّه الذين ينفقون أموالهم خالصةً لوجه الله ﷻ "بالبستان الكائن بمكانٍ مرتفعٍ وأصابه مطرٌ شديدٌ فأثمر مثلَيِّ ما كان يُثمر في سائر الأوقات"[٣].

ثالثاً: المناسبة:

إنَّ مناسبة الآية لما قبلها تتحقق في كونها مكملةً للمشهد، فبعدما بيَّن حال المُرائين ومثَّل لهم أبشع صورةٍ يستنكرها العقل البشري، كان لا بدَّ من عرضِ مشهد المخلصين لله ﷻ وأن يُظهر حالهم بالصورة المشرقة التي تَشرح صدورهم وتدفعهم للازدياد من الخيرات، ويَظهر كمال الانسجام والبلاغة القرآنية في كون الثلاثة مشاهد التي مثل بها حال المنفقين، أمثالاً زراعيةً يراها الإنسان في واقعه، ليُسهِّل عليه المقارنة بين الحقائق الثلاث، ثمَّ جاءت فاصلة الآية بمثابة إغلاق للعرض، مبينةً أنَّ الله ﷻ عالماً بأعمال العباد، ليستشعروا مراقبته، فتصفو نواياهم من كل شائبةٍ.

رابعاً: المعنى العام:

يضرب الله ﷻ مثلاً يُظهر من خلاله فضل الإنفاق الخالص لوجهه ﷻ، عندما يكون المنفق موقناً بأنَّ الله ﷻ سيثيبه على ذلك عظيم الأجر، وقد شبه هذا الإنفاق بحال "بستانٍ عظيمٍ بأرضٍ عاليةٍ طيبةٍ هطلت عليه أمطارٌ غزيرةٌ، فتضاعفت ثمَّراته، وإن لم تسقط عليه الأمطارُ الغزيرة

---

[١] انظر: غريب القرآن، الدينوري، ج١، ص٩٧.

[٢] المفردات في غريب القرآن: الراغب، ج١، ص٥٢٢.

[٣] الجدول في إعراب القرآن: صافي، ج٣، ص٥٢.

فيكفيه رذاذ المطر؛ ليعطي الثمَّرة المضاعفة"[١] مؤكداً بأنَّ الله ﷻ عالماً بكل أعمال العباد وما قُرن بها من النَّوايا، فليستعدَّ كلٌ منهم لجزائه.

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- هدايةُ الدُعاة إلى "ضرب الأمثال تقريباً للمعاني إلى الأذهان ليُنتفع بها"[٢] في دعوة النَّاس للحق وإقامة الحُجةَ عليهم.

٢- إثبات أنَّ القلبَ منبعُ الأعمال، فإن كان صالحاً دفع صاحبه لفعل الخير، وشبَّهه الله ﷻ بالجنَّة الخضراء التي تؤتي صاحبها الثمَّار أضعافاً مضاعفةً، وإن كان فاسداً متحجراً، لم يتغلغل الإيمان إليه استحوذ عليه الشَّيطان ودفعه لشرِّ الأعمال[٣] كما قال تعالى:﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(الأنعام:٤٣).

٣- بيانُ عُلو مرتبة الإنفاق الخالص لوجه الله ﷻ، وانحطاط مرتبة الإنفاق رئاء النَّاس، ودلَّ على ذلك عطف مثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله ﷻ، على مثل الذين ينفقون أموالهم رئاء النَّاس وفي ذلك امتداح للمخلصين لما تضمنه مثلهم من التشريف، وذم للمُرائين لما في مثلهم من التوبيخ[٤].

٤- كبْح النَّفس عن التردد في الإنفاق ودلَّ عليه قوله تعالى:﴿ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾، لأنَّ التثبيت تقريرُ الشَّيء وترسيخه، فهُم "يمنعون أنفسهم من التردد في الإنفاق في وجوه البر، ولا يتركون مجالاً لخواطر الشُّح"[٥].

٥- إثبات زيادة الإيمان بالأعمال الصَّالحة، ومن أعظمها الإنفاق في سبيل الله ﷻ ودلَّ على ذلك قوله تعالى:﴿ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ ﴾ وفيه إشارة لقلب المؤمن الذي يملئُه نور الحقِّ، وكلَّما ازداد من فعل الخير تَضاعف النُّور في قلبه، كما تتضاعف ثمار البُستان عندما تصيبه أمطار الخير[٦].

٦- إرشاد العباد "للتَّفكر في آيات الله ﷻ لا سيَّما تلك التي تحمل بيان العقائد والأحكام والأخلاق"[٧].

---

[١] التَّفسير الميسَّر: نخبة من أساتذة التَّفسير، ص٤٥.

[٢] أيسر التَّفاسير: الجزائري، ج١، ص٢٥٩.

[٣] انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص٣٠٩.

[٤] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣، ص٥٠.

[٥] المرجع السَّابق: ج٣، ص٥١.

[٦] انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص٣٠٩.

[٧] أيسر التَّفاسير: الجزائري، ج١، ص٢٥٩.

٧- الإشارة إلى أنَّ الصَّدقة الخالصة لوجه الله ﷻ تغسل العبد من خطاياه وذنوبه ليزداد ارتقاءً في درجات الجنَّة، كما يَغسل ماء المطر أوراق الأشجار؛ لتنشيط عملية البناء الضَّوئي، ويَروي جذورها لتتغذى ثمَّارها على الوجه الأكمل[١].

٨- ترويض النَّفس على فعل ما يشق عليها، وإنَّ من أعظم ما يشُق على النَّفس الإنفاق، لِما فيه من كبحٍ لجوامحِ غرائز حُبَّ التملُّك والغنى والتَّنَعُّم في الحياة، لذلك كان الإنفاق في سبيل الله ﷻ من أعظم ما تُرسَّخ به الطَّاعات وأعمالُ البِّر، حتى تُصبح المبادرة بأعمال الخير ملَكَةً في النَّفس يُقدم عليها العبد دون ضجر[٢].

٩- ترغيب المؤمنين بالازدياد من الطاعات عامة، والإنفاق في سبيل الله ﷻ خاصة، وترهيب المنافقين من كل فعل يُغضب الله ﷻ، وذلك ببيان اطلاعه تعالى على أفعال العباد وما تُكِّنُ صدورهم وسيجازيهم عليها يوم يلقونه[٣].

إنَّ المخلصين لله ﷻ لا يتطلَّعون إلى عُلو ذكرهم في الدنيا، بل يسارعون لنيل أعلى الدَّرجات عند ربهم، لذلك تجد أطياف أعمالهم تُقلعُ صوب بؤرةٍ واحدةٍ، تتمثل في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(الأنعام:١٦٢) لذلك تجدهم لا يُبالون بما يجدون، ويضحُّون بأغلى ما يملكون، فتتحرَّق أجسادهم، وتتطاير أشلاؤهم، لتسمو في العُلا أقماراً، تنير درب السالكين، وتقشع غمَّة الغافلين، فيُخلِّدُ الله ﷻ ذكرَهم، ويقتفي العباد أثرهم، لينطلق جيل الفاتحين، على نهج خير المرسلين، ليعيد مجد المسلمين، ويُذعن الخلق لرب العالمين.

المطلب الخامس: التحذير من عاقبة النِّفاق والشرك بالله ﷻ.

قال تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾(البقرة:٢٦٦).

أولاً: المعاني اللُّغوية:

﴿إِعْصَارٌ﴾ "ريح عاصف ترفع تُرَابا إِلَى السَّمَاء"[٤].

---

[١] انظر: تفسير الشَّعراوي، ج٢، ص١١٥٧.

[٢] انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج٣، ص٥١.

[٣] انظر: زهرة التَّفاسير، أبو زهرة، ج٢، ص٩٨٩.

[٤] غريب القرآن: السجستاني ج١، ص ١٠١.

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- الاستفهام الإنكاري: في قوله تعالى:﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ ﴾ أي: ما يود أحدكم ذلك[١].

٢- الاستعارة التمثيلية: حيث لم "يذكر المشبه ولا أداة التشبيه، وذكر المشبَّه به فقط، وقامت قرائن دلت على إرادة التشبيه"[٢].

٣- ذِكر العام بعد الخاص: في قوله تعالى:﴿ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ حيث "ذكرها بعد ذِكر النَّخيل والأعناب ليُتمم ويؤكد المعنى"[٣].

ثالثاً: المناسبة:

بعدما ضرب الله ﷻ الأمثال لبيان حال المُنفقين أموالهم في وجوه الخير، ورغَّب في إخلاص النية لله ﷻ وذمَّ من يُعطي النَّاس من ماله حتى يمُن عليهم بها، ويُرائي النَّاس بذلك ليُقال عنه جواد، ناسب أن يضرب مثال من واقع حياة النَّاس ليُصور لهم حال المنافقين والمُرائين يوم القيامة، حيث تذهب أعمالهم ولا يَجنون أثرها، ليرتدع المُنفقين عن الرِّياء[٤].

رابعاً: المعنى العام:

يضرب الله ﷻ مثلاً يبين من خلاله حال من قام بعملٍ صالحٍ كالإنفاق في سبيل الله ﷻ، ثمَّ ارتكب ما يُفسد العمل ويُبطل أجره، مشبهاً ذلك بحال رجلٍ صاحب بستانٍ يحتوي على أصنافٍ من أجود الثمَّار وأنفعها، وفيه من الأنهار التي تسقي شجره من غير مؤنة، وكان الرجل سعيداً ويقتات مع أسرته من خير البستان، حتى أصابه الكِبَر فضعُف عن العمل، وكان له أبناءً ضعفاءً لا يستطيعون مساعدته بل هُم كَلٌ عليه، فأصبح حريصاً على بستانه كونه مصدر رزقه الوحيد، وبينما هو كذلك أصاب البستان ريحٌ شديدةٌ مستديرةٌ مرتفعةٌ في الجو وفي أوسطها نارٌ، فاحترقت الجنَّة وأصبحت كالصريم، فما مدى ما أصابه من البؤس والهمِّ؟! وكذلك حال المُنفق الذي أحبط أجر نفقته يوم القيامة، والله ﷻ يبين لنا هذه الأمثال حتى نتعظ، ونبتغي رضاه فيما نعمل[٥].

---

[١] انظر: التَّفسير المنير، الزُّحيلي، ج٣، ص٥١.

[٢] صفوة التَّفاسير: الصَّابوني، ج١، ص١٥٤.

[٣] تفسير الشَّعراوي، ج٢، ص١١٥٩.

[٤] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣، ص٥٣.

[٥] انظر: تفسير السعدي، ج١، ص١١٤.

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- إثبات "الحقائق والمعاني المعقولة بالشواهد المحسوسة" لما في ذلك من أثرٍ بليغٍ على الإدراك والوجدان"[١].

٢- التحذير من عاقبة الكفر والنفاق يوم القيامة، حيث يُذهب أجر الأعمال الصالحة ويُفني أثرها وبين الله ﷻ ذلك بقوله:﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾(الفرقان:٢٣).

٣- تحذير الأغنياء من الاغترار بأموالهم وأملاكهم، وذوي السُلطان والجاه من التجبر و التعالي، لأن فناء ملكهم وأموالهم حقيقةً كونيةً يرون إرهاصاتها رأي العين، فوجب عليهم الاتعاظ والعودة لله ﷻ وعمل الصالحات قبل أن يتجرَّعوا الحسرة والنَّدامة يوم القيامة[٢].

٤- الإشارة إلى أنَّ "الحياة الدنيا مهما طالت فهي متاعٌ قليلٌ، وعلى المؤمن أن ينتفع بكل لحظةٍ فيها بعمل الخير واحتسابه عند الله ﷻ"[٣].

٥- الإشارة إلى أنَّ الإنسان مُخيَّر في الاختيار بين الخير والشر، لقوله تعالى:﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ﴾ "والاستفهام الإنكاري هنا يثير الفطر السَّليمة؛ لترفض السَّعي لإفناء أجر الأعمال الصالحة، بل تسعى لمُضاعفتها، ولكن من سلك طريق الغِواية واتَّبع هواه حكم على نفسه بالخُسران، ولم يُجبَر على ذلك"[٤].

٦- إظهار براعة القرآن الكريم وبلاغته وفصاحته، من خلال الإتيان بالصورة المناقضة والمقابلة للصورة السابقة، فبعدما بيَّن حال المُنفِقين في سبيل الله ﷻ تثبيتاً وإخلاصاً من أنفسهم، ومثَّل لهم بمثالٍ يُطيِّب نفوسهم ويُرغِّبها في الإنفاق، جاء ببيان صورة المُرائين والمنافقين على أقبح مثالٍ ليَزجُر نفوسهم ويَقرع قلوبهم عمَّا تقترفه أيديهم وألسنتهم[٥].

٧- إثبات أنَّ النِّظام الإسلامي راعى الميول والغرائز التي فُطر عليها الإنسان، وهذَّبها ووجهها في الاتجاه الصحيح، ومن مظاهر ذلك إقرار الملكية الفردية، لقوله تعالى:﴿ تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ ﴾ ورسم لها الحدود والضوابط، و الإشارة إلى نوازع فطرة الإنسان نحو أبنائه، وشفقته عليهم، واهتمامه بهم، وخوفه عليهم بعد موته لقوله تعالى:﴿ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ ﴾ وقد شرَّع الله ﷻ نظام الإرث لانسجامه مع الفطرة[٦].

---

[١] تفسير العثيمين، ج٣، ص٣٣٢.

[٢] انظر: التَّفسير الوسيط، الزُّحيلي، ج١، ص١٥٥.

[٣] زهرة التَّفاسير: أبو زهرة، ج٢، ص٩٩٣.

[٤] تفسير الشَّعراوي، ج٢، ص١١٥٩.

[٥] انظر: التَّفسير الوسيط، الزُّحيلي، ج١، ص١٥٥.

[٦] انظر: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص٢٤٣.

٨- حث العباد على التفكر في مخلوقات الله ﷻ وتدبر آياته، واستنباط سننه في الكون، لكي يحسنوا استخدام ما سخَّره لخدمتهم في هذا الوجود[١] لقوله تعالى:﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴾(الجاثية:١٣) ودعوة العباد "للتفكر في عواقب الأعمال ونتائجها، وفى أسبابها وغاياتها"[٢].

إنَّ الإسلام جاء ليصلح حياة الإنسان، ويربطه بحبل الله المتين، ويعصمه من رجس الشياطين، لذلك جعل رضى الله ﷻ مقصداً لكل عمل يقوم به العبد المؤمن، وإنَّ من أحوج الأعمال لصفاء القصد وسلامة النفس الإنفاق في سبيل الله ﷻ؛ لأن ارتباطه بمآرب أخرى يفسد الهدف المرجو منه، لذلك كان واجبًا على المنفقين تقديم أموالهم لنصرة هذا الدين، وابتغاء رضى رب العالمين، حتى ينتفعوا بها يوم الدين.

المطلب السادس: توجيه العباد لتقديم أفضل ما لديهم قربةً لله ﷻ.

قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبۡتُمۡ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلۡخَبِيثَ مِنۡهُ تُنفِقُونَ وَلَسۡتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴾(البقرة:٢٦٧).

أولاً: المعاني اللُّغوية:

﴿ **تَيَمَّمُوا** ﴾ تقصدوا وتعْمَدوا، والمراد تقدموا الرديء من أموالكم للصدقة[٣].

﴿ **تُغْمِضُوا** ﴾ تأخذوه وأنتم كارهون له، "والإغْمَاضُ أَخْذُ الشَّيْء على كراهيته كأنه أَغْمَضَ عَيْنَيْهِ كَرَاهِيَة أن يراه"[٤].

ثانياً: وجوه البلاغة:

الاستعارة التصريحية: في قوله تعالى:﴿ إِلَّآ أَن تُغۡمِضُواْ فِيهِۚ ﴾ حيث" شبَّه التجاوز عن الشَّيء الجدير بالمؤاخذة بغضِّ العين عمَّا يتفادى المرء رؤيته مما يكره"[٥].

---

[١] انظر: تفسير العثيمين، ج٣، ص٣٣٢.

[٢] زهرة التَّفاسير: أبو زهرة، ج٢، ص٩٩٣.

[٣] انظر: غريب القرآن، ابن قتيبة، ج١،ص٧٨.

[٤] تفسير غريب القرآن: الكواري، ج٢، ص٢٦٧.

[٥] إعراب القرآن وبيانه: درويش، ج١، ص٤١٨.

ثالثاً: المناسبة:

بعدما بين أنواع الإنفاق باعتبار حال المُنفِق، وضرب لكل نوع مثلاً، ناسب أن يبين أصناف الإنفاق باعتبار حال المُنفَق، أي المال، وقسَّمه لطيب وخبيث[1].

رابعاً: المعنى العام:

يخاطب الله ﷻ المؤمنين أن أنفقوا من "جيِّد ما تُحصِّلونه بعمَلكم، وممَّا يتيسر لكم إخراجه من الأرض من زروع ومعادن وغيرها، ولا تتعمدوا الإنفاق من ردئ المال وخبيثه، إنكم لن تقبلوا هذا الخبيث لو قُدِّمَ إليكم إلا على إغماضٍ وتساهلٍ صارفين النَّظر عمَّا فيه من خُبثٍ ورداءةٍ، واعلموا أنَّ الله ﷻ غنىٌ عن صدقاتكم، مستحقٌ للحمد بما أرشدكم إليه من خيرٍ وصلاحٍ"[2].

خامساً: سبب النزول:

جاء في سبب نزول الآية: أنَّها نزلت في رجُلٍ من الأنصار كان يأتي بالتَّمر الرَّديء ويعلِّقه في المسجد ليأكل منه الفقراء، ودلَّ على ذلك ما أخرجه الترمذي عن البراء بن عازب ﷺ قال:(**نَزَلَتْ فِينَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، كُنَّا أَصْحَابَ نَخْلٍ فَكَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي مِنْ نَخْلِهِ عَلَى قَدْرِ كَثْرَتِهِ وَقِلَّتِهِ، وَكَانَ الرَّجُلُ يَأْتِي بِالقِنْوِ وَالقِنْوَيْنِ فَيُعَلِّقُهُ فِي المَسْجِدِ، وَكَانَ أَهْلُ الصُّفَّةِ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ، فَكَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا جَاعَ أَتَى القِنْوَ فَضَرَبَهُ بِعَصَاهُ فَيَسْقُطُ مِنَ البُسْرِ وَالتَّمْرِ فَيَأْكُلُ، وَكَانَ نَاسٌ مِمَّنْ لَا يَرْغَبُ فِي الخَيْرِ يَأْتِي الرَّجُلُ بِالقِنْوِ فِيهِ الشِّيصُ وَالحَشَفُ وَبِالقِنْوِ قَدْ انْكَسَرَ فَيُعَلِّقُهُ، فأنزل اللَّه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ قالوا: لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أُهْدِيَ إِلَيْهِ مِثْلُ مَا أَعْطَى، لَمْ يَأْخُذْهُ إِلَّا عَلَى إِغْمَاضٍ أَوْ حَيَاءٍ)**[3].

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- بيان أنّ مفهوم الإيمان يقتضي "الامتثال لأمر الله ﷻ، واجتناب نهيه؛ ووجهه أنَّ الله ﷻ قال: ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ**﴾ فلولا أنَّ للإيمان تأثيراً لكان تصدير الأمر بهذا الوصف لغواً لا فائدة منه"[4].

---

[1] انظر: مفاتيح الغيب، الرَّازي، ج٧، ص٥٢.

[2] المنتخب في تفسير القرآن: لجنَّة علماء الأزهر، ص٦٤.

[3] سنن الترمذي: ك- تفسير القرآن، ب- سورة البقرة، ج٥، ص٢١٨، ح٢٩٨٧، أخرجه الحاكم ح٣١٢٧ وقال: صحيح على شرط البخاري ومسلم، وصححه الألباني في الثمَّر المستطاب، ج٢، ص٨٢٤.

[4] تفسير العثيمين، ج٣، ص٣٤١.

٢- الإشارة إلى مقصد الإنفاق، وذلك بتوجيه الخطاب للذين آمنوا بقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ لأنَّ من مقاصد الإنفاق تعليق قلب المُنفق فيما عند الله ﷻ ويترتب على ذلك تحقق الإيمان في قلبه وزيادته، لذلك كان الأمر بإنفاق أطيب المال محققاً للمقصد إذا ما اقترن بالإخلاص لوجه الله ﷻ [١].

٣- بيان أنَّ الاستهلاك الشرعي لموارد الحياة فيه شكر لله ﷻ وذلك بأن "يقصد المسلم من استهلاكه للسلع والخدمات التقرب إلى الله ﷻ بالعبادة والطَّاعاة والعمل وفق الشَّريعة الإسلامية، إذ يشعر المسلم بتقديم الشُّكر لله ﷻ المُنعم المُتفضِّل الذي سخَّر له نعمه كي ينتفع بخيراتها"[٢].

٤- وجوب زكاة عروض التجارة لقوله تعالى :﴿ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ فكُل سلعة يُتداول بها بقصد كسب المال وزيادته مثل القماش والحديد ونحوه تجب فيه الزكاة، وكذلك الأوراق المالية لأنها تقوم مقام الذهب، ويمكن صرفها فوراً، ومقدار زكاتها رُبع العشر[٣].

٥- بيان الشرط الرابع لقبول الإنفاق متمثلاً بطيب مصدر المال، وكسبه بالحلال[٤]، لقوله تعالى:﴿ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ فلا يصح الإنفاق من مال مغصوب، أو ما كُسب من الرِّبا، أومن بيع ما حرَّم الله ﷻ وبيَّن ذلك ما رواه أبو هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **(أَيُّهَا النَّاس، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾**(المؤمنون: ٥١) وَقَال تعالى:﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾** (البقرة: ١٧٢) **ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟)**[٥].

---

[١] انظر: زهرة التَّفاسير، أبو زهرة، ج٢، ص٩٩٦.

[٢] دراسة تحليلية لرسالة الاقتصاد للإمام النورسي: عبد الستَّار الهيتي، مجلة الأحمدية، ص٨٣.

[٣] انظر: الفقه على المذاهب الأربعة، عبد الرحمن الجزيري، ج١، ص٥٥٠.

[٤] انظر: مفاتيح الغيب، الرَّازي، ج٧، ص٥٣.

[٥] صحيح مسلم: ك- الزكاة، ب- قبول الصَّدقة، ج٣، ص٨٥، ح٢٣٩٣.

٦- وجوب الزكاة في الخارج من الأرض؛ لقوله تعالى:﴿ وَمِمَّآ أَخۡرَجۡنَا لَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ ﴾ وظاهر الآية يفيد بوجوب الزكاة في كل ما خرج من الأرض، وقد فصَّل الفقهاء استناداً إلى أحاديث النبي ﷺ في حكمها، فجعلوا للزروع والثمَّار العشُر لما سُقي بماء المطر والأنهار، ونصف العُشر لِما سُقي بأدوات الرَّي، وكذلك المعدن إذا بلغ النصاب، وفي الركاز[١] الخُمس[٢].

٧- الإشارة إلى أنَّ ما يخرج من الأرض من زروع ونباتات هو حقيقة من فعل الله ﷻ؛ لقوله تعالى:﴿أَخۡرَجۡنَا لَكُم﴾ وأما عمل الإنسان فينحصر في نقل مكان الإنبات من مكان لآخر، فلو لم ينقل البذور من الأشجار لنبتت البذور بجوار أمها وقد أشار الله ﷻ لذلك بقوله: ﴿ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَحۡرُثُونَ * ءَأَنتُمۡ تَزۡرَعُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴾(الواقعة: ٦٣، ٦٤).

٨- توجيه المُنفقين لاختيار أجود ما عندهم من مال قُربةً لله وألَّا يُقدم الرديء أو ما فيه عيب، لأن "تَخيُر المال واصطفائه يدُل على مقدار الصفاء في النية، فمن اختار عند العطاء أجود ماله، كان ذلك دليلا على حسن القصد إن لم يصحب العطاء مَنٌّ أو أذى أو رياء، وإن اتجه إلى غير الجيد من ماله يعطيه، كان ذلك دليلا على ضعف العزيمة، وشح النفس"[٣].

٩- بيان أنَّ كمال التقوى يدفع المؤمن لتقديم أجود ما لديه بنفس طيبة، لينال أعلى الدرجات عند الله ﷻ، وأنَّ البخيل يسعى للعلو في درجات الدنيا ولا يلتفت للآخرة، وذلك ينافي مفهوم التقوى، الذي يعتبر معيار قبول الطاعات كما بين الله ﷻ ذلك بقوله:﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّۘ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۚ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾(المائدة:٢٧) فهابيل قدَّم أفضل ما لديه تقوى لله فتُقُبل منه، وقابيل قدَّم أردأ ما بحوزته فلم يُقبْل منه[٤].

١٠- رفع الحرج عمَّن أنفق من عامة ماله فاختلط بالجيد والرديء دون قصد منه، لأن المنهي عنه تخصيص الرديء بالإنفاق وحجب الأفضل شُحاً وطمعاً، ودلَّ على ذلك تقديم الظرف في قوله:﴿ مِنۡهُ تُنفِقُونَ ﴾ لأن التقديم يفيد التخصيص[٥].

---

[١] الرِّكاز: المال المدفون في الأرض من كنوز الجاهلية، سُبُل السلام، الصنعاني، ج١، ص٥٣٥.

[٢] انظر: فقه السُنَّة، سيد سابق، ج١، ص٣٧٤.

[٣] زهرة التَّفاسير: أبو زهرة، ج٢، ص٩٩٦.

[٤] انظر: نظم الدُرر، البقاعي، ج٤، ص٩٤.

[٥] انظر: فتح القدير، الشوكاني، ج١، ص٣٣٢.

١١- اقرار ما يقتضيه فقه الأولويات بأن "الواجب تحصيل المصالح وتكميلها؛ وتعطيل المفاسد وتقليلها فإذا تعارضت كان تحصيل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما ودفع أعظم المفسدتين مع احتمال أدناها"[١] وأشارت الآية لوجوب تقديم الله ﷻ على حب المال.

١٢- ترسيخ القواعد المثالية في التعامل بين النَّاس؛ من منطلق عامل النَّاس كما تحب أن يعاملوك وذلك بقوله تعالى:﴿ **وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ** ﴾ فكما لا ترضى لنفسك الرديء من الطعام أو السِّلع أو كل ضرر، فلا ترضاه لغيرك، وليُوطِّن كلٌ منا نفسه على قول النبي ﷺ **(لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ)**[٢].

١٣- توبيخ من يفكِّر ويسعى للتصدق من رديء ماله بُخلاً وشُحاً بإعلامه أنَّ الله ﷻ غنيٌ عن ماله وهو عالمٌ بذلك، ولأنَّ إعطاء الرَّديء عادة يكون بعد علم المُعطي؛ لأنَّ الآخذ يكون في أمس الحاجة إليه، فزَدَعهم الله بقوله:﴿ **وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ** ﴾ ليعلموا أنَّ الله ﷻ شرَّع الإنفاق لمصلحتهم، وأنه يستحق الحمد على ما أنعمه عليهم، وسيجازي من أنفق من أجود ماله مخلصاً لله ﷻ خير الجزاء يوم اللقاء[٣].

يقدِّم الجواد منَّا أفضل ما في بيته من الطعام والشراب إكراماً لضيفه، وإذا ما جاءه رجل ذو فضل عليه أو صاحب مكانة في المجتمع تجده يجتهد في إحضار ما طاب ولذ، حتى أنه قد يستدين من أجل إكرام ضيفه العزيز والاعتراف بجميله، وكل ذلك من أجل بشر مثلنا، أفلا يجب أن يكون العطاء أفضل وأسخى من أجل مرضاة من أوجدنا من العدم؟! ومن أجل حفظ النَّفس والعرض وحماية الدِّين والوطن؟! حقاً إنَّ النفس الطيبة تقدم أفضل ما لديها مرضاة لربها، والخبيثة تحتكر الأفضل لنفسها، ومن أحبَّ نفسه أكثر من ربه، لم يلامس الإيمان قلبه.

---

[١] مجموع الفتاوى: ابن تيميَّة، ج٢٨، ص٢٨٤.

[٢] صحيح البخاري: ك- الإيمان، ب- أن يحُب لأخيه ما يُحب لنفسه، ج١، ص١٢، ح١٣.

[٣] انظر: ارشاد العقل السَّليم، أبو السُّعود، ج١، ص٢٦١.

المبحث الثاني: التَّحلي بالفراسة والفطنة في إدراك الحقائق.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: التَّحذير من مصائد الشَّيطان.

المطلب الثاني: بيان اقتضاء الحكمة إسرار الصَّدقة حفظاً لمشاعر الفقراء.

المطلب الثالث: بيان أنَّ الصَّدقة ادخار مضمون الأرباح.

المطلب الرابع: توجيه المُنفقين للبحث والتَّحري عن أصحاب الحاجة .

المطلب الأول: التحذير من مصائد الشيطان.

قال تعالى:﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ * يُؤۡتِي ٱلۡحِكۡمَةَ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُؤۡتَ ٱلۡحِكۡمَةَ فَقَدۡ أُوتِيَ خَيۡرٗا كَثِيرٗاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾(البقرة:٢٦٨، ٢٦٩).

أولاً: المعاني اللُّغوية:

﴿الْفَحْشَاءِ﴾ كُل ما فيه معصية لله تعالى، والمُراد: البُخل والشُح[١].

﴿ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ العقول السَّليمة[٢].

﴿الْحِكْمَةَ﴾ تعني"الفهم الصَّحيح والعلم النافع واتباع المعلوم المؤدي إلى سعادة الدنيا والآخرة"[٣].

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- المجاز: في قوله تعالى:﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ﴾ فالإخبار هنا من الله ﷻ، "والوعد بحصول شيئٍ في المستقبل يكون من جهة المُخبر، فشَّبه إلقاء الشيطان في نفوسهم توقع الفقر بوعد منه بحصوله لا محالة"[٤].

٢- المشاكلة: في قوله تعالى:﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ﴾ وقوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ﴾ فوعدُ الله ﷻ حق، ووعد الشَّيطان من قبيل المجاز، فذكَّره هنا لمقابلة الشيء بمثله في اللفظ واختلافه في المعنى[٥].

ثالثاً: المناسبة:

بعدما أمرهم الله ﷻ بإنفاق أجود أموالهم في سبيله، ورغَّبهم في ذلك بضرب الأمثلة التي تُبين الأجر المضاعف لهذه الصَّدقة إذا قُرنت بالإخلاص لله ﷻ وسلِمت من المنِّ والأذى، وحذَّرهم مما يُبطل أجر الصَّدقة، ناسب أن يكشف لهم أنَّ ما يجدونه في نفوسهم من خوف الفقر، والميل للبخل والشُح، هو من همزات الشياطين، مؤكداً بأنَّ الحكمة تقتضي معصية الشيطان الذي يريد لهم الضلال والكُفر، وطاعة الله ﷻ الذي لا يرضى لهم الكفر ويُقدِّرُ لهم الخير[٦].

---

[١] الكشاف، الزمخشري، ج٣، ص١٣١٥، نظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ج٤، ص٤١٦.

[٢] البحر المحيط: أبو حيَّان، ج٢، ص٦٨٦.

[٣] المرجع السابق: ج٢، ص٣٢٠.

[٤] التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج٣، ص٥٩.

[٥] انظر: المرجع السابق، ج٣، ص٥٩.

[٦] انظر: أيسر التَّفاسير، الجزائري، ج١، ص٢٦١.

رابعاً: المعنى العام:

يحذر الله ﷻ عباده من البُخل وكلِّ ما يمنع من الإنفاق أو يحبط أجره، ببيان المُحرِّك لذلك متمثلاً بالشَّيطان الذي يُخوف النَّاس من الفقر أو يغريهم بالبخل ليمنعهم من أداء الصَّدقة، وكذلك يأمرهم بالمعاصي ومخالفة أمر الله ﷻ؛ ليُحبط أعمالهم، فالواجب عليكم ألا تطيعوه، وأن تفعلوا ما أمرتكم به، لتنالوا غفرانًا لذنوبكم ورزقاً واسعاً، والله ﷻ واسع الفضل، عليمٌ بالنيَّات والأعمال ومن فضله تعالى على عباده أن وهبهم عقلاً وأرشدهم إلى الصواب حتى يسلُكوا دربه، ومن سلك طريق الإنفاق في سبيل الله ﷻ وطاعته، وأخلص عمله لخالقه، فقد حاز الخير كُله وكان اختياره مبنياً على حكمةٍ وهبها الله ﷻ إياه فاستنار عقله بنوره ﷻ[1].

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- كشف حقيقة الصِّراع بين الحق والباطل، ونوازع الخير والشر، ببيان الباعث عليهما، وتذكير بني آدم بالوعد الذي قطعه الشَّيطان على نفسه متحدياً آدم وذريته، وقد بيَّن تعالى ذلك بقوله: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ * ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ﴾(الأعراف:١٦، ١٧) وقال تعالى: ﴿ قَالَ أَرَءَيۡتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِي كَرَّمۡتَ عَلَيَّ لَئِنۡ أَخَّرۡتَنِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَأَحۡتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾(الإسراء:٦٢).

٢- التَّفريق بين الحق والباطل، حيث "لا شُبهةٌ ولا غبشٌ ولا غشاوةٌ، وإنَّما هو الهدى أو الضلال والحقُّ واحدٌ لا يتعدد، فماذا بعد الحقِّ إلا الضَّلال وليعلم كلُّ إنسانٍ أين يسير"[2] كما قال تعالى: ﴿ لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ ﴾(الأنفال: ٤٢).

٣- التَّحذير من طاعة الشَّيطان، ووسوسته للإنسان بالبخل والبُعد عن الإنفاق خشية الفقر، أو نفث روح التكبُر في روع النَّاس لكي يغتروا بإنفاقهم، ويُراؤوا النَّاس، ويمُنون على الفقراء بغناهم، حتى يُحبط أجورهم ويُتبِّر أعمالهم[3].

٤- تبشير المُنفقين في سبيل الله ﷻ بمغفرة ذنوبهم في الآخرة، وفتح أبواب الخير لهم في الدنيا، واستقرار السَّعادة في قلوبهم لما يجدونه من أثر دعاء المُنفَق عليهم لهم[4].

---

[1] انظر: التَّفسير الميسَّر: نُخبة من أساتذة التَّفسير، ص٤٥.

[2] في ظلال القرآن: سيد قطب، ج١، ص١٣١.

[3] انظر: قبس من نور القرآن الكريم، الصَّابوني، ج١، ص٩٣.

[4] انظر: مفاتيح الغيب، الرَّازي، ج٧، ص٥٧.

٥- غلق الأبواب أمام فتن الشَّياطين، ببيان مقاصدهم وأهدافهم، فالله ﷻ شرَّع الإنفاق في سبيله لتحصين المجتمع الإسلامي من الثَّغرات التي يتسلل من خلالها الشَّيطان لإفساده، والشَّيطان يسعى لنسف هذا الحصن حتى ينشر الضغائن ثمَّ الاقتتال وتفتيت عرى الأمَّة وانهيارها[١].

٦- أمر العباد بالتحلِّي بالفطنة والحكمة[٢] في الحكم على الأشياء، وعدم الحكم على الأمور بظاهرها، فالمَكر يقتضي إظهار النَّفع للناس، وإخفاء الضُرِّ السَّاعي لتحقيقه، والحكمة تقتضي كشف الحقيقة قبل وقوع الضرر.

٧- جمع مَرابط الخير في منارة الحكمة، لعموم فضلها في شتى المجالات، فالحكيم يضع الأمور في مواضعها، ويقود السفينة إلى بر النجاة، والأخرق بقراره الخاطئ، يدمرُ بيته، ويهدمُ وطنه[٣].

٨- التأكيد بأن "الحكمة هبةٌ وفضلٌ من الله ﷻ يهبها لمن يشاء من عباده وأوليائه، والحكمة ليست كسبية تحصل بمجرد كسب العبد دون تعليم الأنبياء له طرق تحصيلها، فالعبد لا يكون حكيماً إلا إذا سلك طرق تحصيل الحكمة، ولا يمكن أن يحصل على الحكمة إلا إذا كانت طرقها مستقاة من الكتاب والسنة"[٤]، فوجب على العبد الحكيم شكر الله ﷻ على هذه النعمة، واستخدامها في إرشاد النَّاس للخير، وتعليمهم ما فيه صلاح لدينهم ودنياهم.

٩- بيان أنَّ الحكمة لا تقتصر على تدبير أمور الدنيا، بل تتضمن الموازنة بين أمور الدنيا والآخرة، فالحكيم من سعى لصلاح الدنيا، والفلاح في الآخرة، "فداوى أدواء الدنيا بدواء الآخرة وداوى النفس بدواء الدارين"[٥].

١٠- الإشارة إلى أنَّ الشيطان إذا دعا لفعل خيرٍ لا يكون إلا من قبيل المكر والاستدراج[٦].

١١- تنبيه العباد لنفاسة ما أرشدهم إليه من الإنفاق في سبيله ﷻ، والتَّحلي بالقيم النبيلة في التعامل مع إخوانهم لما في ذلك من أثر عظيم على تعاضُد المجتمع وتماسكه حتى يصبح كالجسد الواحد[٧].

---

[١] انظر: تفسير الشَّعراوي، ج٢، ص١١٦٣.

[٢] الحكمة: معرفة حقائق الأشياء، والإقدام على الأفعال الصائبة، مفاتيح الغيب، الرَّازي، ج٧، ص٥٩.

[٣] انظر: أيسر التَّفاسير، الجزائري، ج١، ص٦٢١.

[٤] مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة: سعيد القحطاني، ص٤٤.

[٥] نظم الدُرر: البقاعي، ج٤، ص٩٤.

[٦] انظر: التَّفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ج٢، ص٣٤٣.

[٧] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج، ص٦٠.

١٢- بيان أنَّ مكانة العقل تظهر في الانتفاع به، وليس وجوده، فمن لم يقده عقله إلى المنفعة والخير، لا يُسمى عاقلاً؛ لأنَّ الله ﷻ كرَّم الإنسان على المخلوقات بامتلاكه العقل فإن عطَّل عقله استوى مع الأنعام، بل وضعه الله ﷻ في مرتبة دونهم بقوله:﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾(الفرقان:٤٤).

١٣- التسليم بأن مشيئته ﷻ تتعلق بحكمته البالغة، فلا يقضي شيئاً إلا لحكمة، ولا يمنع شيئاً إلا لحكمة، ولكنَّ عقولنا لا تدرك ذلك حتى يعلمنا الله ﷻ إياها[١].

إنَّ الصراع بين الإنسان والشَّيطان أُعلن مُنذ خلق آدم، واستطاع أن يُغوي طائفةً من ذريته، فيستدرجُهم للموبقات وفق خطةٍ محكمةٍ، تبدأ بتخذيلهم عن العبادات الفاضلة والإكتفاء بالمفضولة، ثمَّ إثقالهم عن العبادات بالإكثار من المُباحات، ثمَّ يتغلغل لقلوبهم فيمنِّيهم بالصغائر حتى يستملكهم ويقلب موازين الأعمال لديهم فيزين لهم الفواحش ليأتوها، ويقبح الفضائل فيحتقروها، وبعد ذلك يقودهم كما تقاد السَّيارة، فيعدهم بالملك والجاه ليكونوا عباداً له ويصدوا عن سبيل الله ﷻ، ويُقَتِّلوا عباد الله ﷻ، ومعرفة ذلك عين الحكمة التي تدفعنا لسلوك الصراط المستقيم، والإعراض عن سُبل الطاغوت، وهذا أدق وصف لما نراه في واقع الأمَّة اليوم، من ولوغٍ للروبيضات في دماء المتقين، السَّاعين لإعادة أمجاد خالد وصلاح الدين، وإقامة حكم الله ﷻ في أرض جعلهم فيها مستخلفين، ويبشرنا الله ﷻ بالنصر والتمكين لعباده المتقين بقوله :﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾(الأعراف:١٢٨) ويحذِّر من أغواهم الشيطان!، بالعودة لدرب الرحمن قبل فوات الأوان، وتخلي الأصحاب عن الخلان، لقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾(البقرة:١٦٥-١٦٧).

---

[١] انظر: تفسير العثيمين، ج٣، ص٣٥٢.

المطلب الثاني: بيان اقتضاء الحكمة الإسرار بالصَّدقة حفظاً لمشاعر الفقراء.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ * إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(البقرة: ٢٧٠، ٢٧١).

أولاً: المعاني اللُّغوية:

﴿**فنِعِمَّا**﴾ أصلها نِعْمَ مَا، وأدغمت الميم، ويراد بها المدح كقولنا: نِعم الرجل محمداً[١].

﴿ **نَذْرٍ**﴾ ما يوجبه الإنسان على نفسه، ويعقد في ضميره على فعله، من الطاعات تقرباً لله ﷻ بشرط أو بغير شرط[٢].

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- جناس الاشتقاق[٣]: في قوله تعالى:﴿**أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ** ﴾ وقوله تعالى:﴿**نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ** ﴾.

٢- الطباق اللفظي[٤]: قوله تعالى:﴿ **تُبْدُوا** ﴾ و﴿ **تُخْفُوهَا**﴾.

٣- الكناية: في قوله تعالى:﴿**فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ**﴾ المراد "الجزاء عليه، لأن علم الله ﷻ بالكائنات لا يشك فيه السامعون، فأريد لازم معناه"[٥].

ثالثاً: المناسبة:

بعد أنْ رغَّب الله ﷻ عباده بالإنفاق في سبيله ببيان مضاعفة أجره، وحذَّر من الرياء والمن والأذى لإبطاله مقصد الصَّدقة، ودعا إلى إنفاق الأجود من المال قربة لله ﷻ، ناسب أن يبين علمه تعالى بحال المُنفِق والمُنفَق، فإن تحققت فيهما الشروط التي بينها في الآيات السابقة ترتب عليها الأجر العظيم، وإن أخل المنفِق بالشروط فقد ظلم نفسه بحرمانها من أجر الإنفاق، ثمَّ ناسب أن ينفي تأثير صفة الإنفاق على قبول الصَّدقة مادامت خالصة لله ﷻ، مع كون الإسرار بها أفضل حفظا لمشاعر المُنفَق عليهم، مؤكداً اطلاع الله ﷻ على ما أُسر وما أُعلن من الأعمال[٦].

---

[١] انظر: البحر المحيط، أبو حيَّان،ج٢، ص٦٧٥، اللُّباب في علوم الكتاب، ابن عادل،ج٤،ص٤٢٣.

[٢] انظر: لسان العرب، ابن منظور،ج٥، ص٢٠١، تفسير الرَّاغب، ج٥، ص٢٠١.

[٣] صفوة التَّفاسير، الصَّابوني، ج١، ص١٥٦.

[٤] التَّفسير المنير، الزُّحيلي، ج٣، ص٦٦.

[٥] التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج٣، ص٦٦.

[٦] انظر: أيسر التَّفاسير، الجزائري، ج٣، ص٣٩٨.

رابعاً: المعنى العام:

يؤكد الله ﷻ لعباده علمه بكل نفقة ينفقونها وإحاطته بأحوالها وأحوال منفقها، وكذلك النَّذر، فإن كان ذلك مستوفياً للأركان والشروط تقبله الله ﷻ وأجزى فاعله الخير العظيم في الدنيا والآخرة، وإن لم يخلص المنفق النية لله ﷻ فأتبعه بالمن والأذى أو أشرك في نذره مع الله ﷻ، أو قدم الرديء من ماله، فلن يقبل منه[١]، ولن يدفع أحد عنه العذاب يوم القيامة، ثمَّ يخاطب الله ﷻ عباده مطمئناً لهم:"إن تظهروا صدقاتكم خالية من الرياء فذلك محمود لكم مرضي منكم، ممدوح من ربكم، وإن تعطوها الفقراء سراً منعاً لحرجهم وخشية الرياء فذلك خير لكم، والله ﷻ يغفر لكم من ذنوبكم بسبب إخلاصكم في صدقاتكم، والله ﷻ يعلم نياتكم في إعلانكم وإخفائكم"[٢].

خامساً: وجوه القراءات:

﴿ وَيُكَفِّرُ عَنكُم﴾ في قراءتها ثلاثة أوجه[٣]:

أ- قرأ ابن عامر وحفص ﴿**يُكَفِّرُ**﴾ بالياء والرفع .

ب- قرأ نافع وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف ﴿**نُكَفِّرْ**﴾ بالنون وجزم الراء.

ج- قرأ الباقون ﴿**نُكَفِّرُ**﴾ بالنون والرفع.

إنَّ الابتداء بنون العظمة أو ياء الفاعل لا يؤثر على المعنى إذ إنَّها تدُل على الله ﷻ الذي يُكفِّر الذنوب، أما جزم الراء ورفعها ففيه بيان، حيث إنَّ قراءة ﴿**نُكَفِّرْ**﴾ تفيد تخصيص مغفرة الذنوب بإخفاء الصَّدقة، لأنها معطوفة على جواب الشرط الثاني ﴿ **فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ**﴾ وقراءة ﴿**نُكَفِّرُ**﴾ تفيد العموم باعتبارها جملة استئنافية، وعليه يكون التكفير سراً وجهراً[٤].

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- بيان مشروعية النَّذْر[٥] وقد كان مشهوراً قبل الإسلام، فأقره الإسلام وأجازه بدليل عطفه على الإنفاق وهو من أفعال الخير، أما ما جاء في النهي عنه فهو من باب المشقَّة على النفس وخشية عدم القدرة على الوفاء به[٦].

---

[١] انظر: التَّفسير الحديث، دروزة عزَت، ج٦، ص٤٨٤.

[٢] المنتخب في تفسير القرآن الكريم، لجنَّة من علماء الأزهر، ص٦٤.

[٣] انظر: معاني القراءات، الأزهري، ج١، ص٢٢٩.

[٤] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣، ص٦٩، تفسير القرآن بالقراءات العشر، الملَّاحي،ج١، ص٢٤٥.

[٥] النَّذْر: ما يُوجبه الفرد على نفسه من أعمال الخير تقرباً لله ﷻ، لسان العرب، ج٥، ص٢٠١، (قواعد الفقه، البركتي، ص٥٢١).

[٦] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣، ص٦٥.

٢- استشعار رقابة الله ﷻ الدائمة لأفعالنا وأقوالنا، واطلاعه على سرائرنا ومقاصدنا[١].

٣- إزالة الإحجام عن الصَّدقة مخافة الرياء، فبعدما حذرت الآيات السابقة من المنِّ والأذى، وقبَّحت المُرائين، بينت هذه الآية قَبول الصَّدقة العَلنية حتى "لا يمسك المرء عنها إذا لم يجد بداً من ظهورها خشية أن يصيبه الرياء"[٢].

٤- امتداح المنفقين في العلن لقوله تعالى:﴿ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ وزيادة المدح والثناء للمنفقين سراً لقوله تعالى:﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ وذلك لما يترتب عليه من حفظ مشاعر الفقراء في الدنيا[٣]، والمكانة العظيمة لصاحبها يوم القيامة حيث يستظل بظل عرش الله ﷻ كما بين ذلك النبي ﷺ بقوله:(**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: ... وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ، أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ**)[٤].

٥- الإشارة إلى استحباب الصَّدقة على الفقراء سراً، أما الصَّدقة في الجهاد ولبناء مسجد، والمرافق العامة فيستحب الإظهار ودلَّ على ذلك سبب نزول الآية[٥].

٦- حفظ الكرامة الإنسانية، بحماية النفس من الانكسار والذل وحفظ هيبتها أمام النَّاس بالحث على الصَّدقة سراً، وكبح مشاعر التعالي في نفس المتصدق[٦].

٧- تقرير قاعدة الجزاء من جنس العمل، فمن امتنع عن نصرة الضعيف لن يجد من ينصره عند ضعفه، حيث يقول تعالى:﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾؛ "لأنهم لما بخلوا بنصرهم الفقير بأموالهم فإن الله ﷻ يعدمهم النصير في المضائق، ويقسي عليهم قلوب عباده، ويلقي عليهم الكراهية من النَّاس"[٧].

٨- توجيه المُنفقين لإظهار الصدقات إنْ ترتَّب على ذلك منفعة؛ كإثارة النَّاس للإنفاق، وإشعال روح التنافس بينهم في تقديم الخير للناس، بشرط ألا يؤدي لجرح مشاعر الفقراء وكسر قلوبهم[٨].

---

[١] انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص٣١٣.

[٢] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣، ص٦٧.

[٣] انظر: نظم الدُرر، البقاعي، ج٤، ص١٠١.

[٤] صحيح البخاري: ك- الأذان، ب- من جلس في المسجد، ج١، ص١٣٣، ح٦٦٠.

[٥] انظر: التَّفسير المنير، الزُّحيلي، ج٣، ص٧١.

[٦] انظر: التَّفسير القرآني للقران، عبد الكريم الخطيب، ج٢، ص٣٤٥.

[٧] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣، ص٦٦.

[٨] انظر: الأساس في التَّفسير، سعيد حوَّى، ج١، ص٦٢٢.

٩- ذم الممتنعين عن الإنفاق بخلاً وشُحاً، بنعتهم بالظلم في قوله تعالى:﴿ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ لأنهم حرموا أنفسهم من أجر الصَّدقة، الذي يُنميه الله ﷻ لأضعاف مضاعفة فيشعروا يوم القيامة بظلمهم لأنفسهم[١].

١٠- إثبات خُسران الذين لم يتزودوا من دنياهم لآخرتهم، حيث لا تنفعهم شفاعة ولا خلة، وإنما ينفع النَّاس أعمالهم، فإن لم يكن لهم أعمال خير، فقد أوردوا أنفسهم النَّار[٢].

إنَّ الإخلاص مشكاة في النَّفس، وقودها صلة العبد بخالقه، ويزداد حبل الوصال متانةً كلما تزود العبد من الطاعات، والتفكر في عظمة الخالق واستشعار رقابته، ولمَّا كان العبد موقناً بإحاطة الله ﷻ لفعله، وكان لا يبتغي بمعروفه إلا رضى خالقه، استوى في نظره إعلان ما فعله أو إسراره، غير أنه إذا استشعر نفسه موضع المُنفق عليه، عزَّ عليه أن يعلم أحد بأخذه مال الصَّدقة، فاتجه إلى إسرارها حفاظاً على مشاعر الآخرين، وحفاظاً على نفسه من أن يدفعها الهوى للعجب والتعالي على الآخرين.

المطلب الثالث: بيان أنَّ الصَّدقة ادخار مضمون الأرباح.

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾(البقرة:٢٧٢).

أولاً: المفردات اللُّغوية:

﴿ ٱبْتِغَآءَ ﴾ "بُغْيَةً الشيء: طلبه"[٣] والمعنى طلباً لرضى الله ﷻ.

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- الإطناب[٤]: في قوله تعالى:﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ بعد قوله تعالى:﴿يُوَفَّ إِلَيْكُمْ﴾.

٢- تكرار لفظة (تنفقون) ثلاث مرات في الآية لمزيد الاعتناء بمدلوله[٥].

---

[١] انظر:التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣، ص٦٦.

[٢] انظر: الأساس في التَّفسير، سعيد حوَّى، ج١، ص٦٢١.

[٣] انظر: تاج العروس، الزَّبيدي، ج ٣٧، ص١٧٩.

[٤] التَّفسير المنير: الزُّحيلي، ج٣، ص٧٢.

[٥] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣، ص٧٢.

ثالثاً: المناسبة:

بعدما حثت الآيات السابقة المؤمنين على الإنفاق في سبيل الله ﷻ، وبشرتهم بمضاعفة أجورهم ما داموا مخلصين النية لله، وتناولت حال المُنفِق والمُنفَق عليه، ناسب أن تشير هذه الآية إلى حال المُنفَق عليه من حيث الإيمان والكفر، مرسخةً قيم الكرامة الإنسانية، بجواز الإنفاق على فقراء المشركين، وتمليكهم حرية الاعتقاد بعدم إكراههم على الإيمان[١].

رابعاً: المعنى العام:

يخاطب الله ﷻ نبيه ﷺ والمؤمنين من بعده بعدم إكراه النَّاس على اتباع الحق لأنَّ أمر الهدى والضلال مرتبط بإرادة الإنسان المتعلقة بمشيئة الله ﷻ، فلا يحق لأحد إكراه أحد على الإيمان بالتضييق عليه في الرزق، أو الامتناع عن الإنفاق عليه، لأنَّ الإنفاق يجب أنْ يكون خالصاً لله ولا يرتبط بأي هدف آخر، والذي تنفقونه ابتغاء مرضاة الله ﷻ وحده، يردُّ الله ﷻ عليكم فضله في الدنيا بالتوفيق والبركة والسَّعادة، ويجزيكم عليه الأجر المُضاعف يوم القيامة[٢].

خامساً: سبب النزول:

جاء في سبب نزول الآية: أنَّ بعض الصحابة كرهوا أن يتصدَّقوا على أنسابهم من المشركين طمعاً في إسلامهم، فأنزل الله ﷻ الآية يأمرهم بالتصدق عليهم، ودلَّ على ذلك ما رواه سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: **(كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَرْضَخُوا[٣] لِأَنْسَابِهِمْ، وَهُمْ مُشْرِكُونَ، فَنَزَلَتْ ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾** (البقرة: ٢٧٢) **حَتَّى بَلَغَ ﴿وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ قَالَ: فَرَخَّصَ لَهُمْ)**[٤].

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- بيان أنَّ "الهداية بمعنى التوفيق إلى الخير والسعادة والاهتداء إلى الإسلام مردّه إلى الله ﷻ، بما وضع في النفوس من العقول، وما أبانه لهم من سنن وأدلّة ترشدهم إلى الدين الحق"[٥].

٢- تسلية النبي ﷺ وتخفيف ما يَثقُل عليه من همِّ الدَّعوة، وهداية النَّاس للحق[٦].

---

[١] انظر: التَّفسير المنهجي، فضل عباس، ج١، ص٢٠٨.

[٢] انظر: التَّفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ج٢، ص٣٤٦.

[٣] يرضخ له: أعطاه من ماله، والمراد الصدقة، انظر: لسان العرب، ج٣، ص١٩.

[٤] المستدرك على الصحيحين: الحاكم، ك- التَّفسير، ب- من سورة البقرة، ج٢، ص٣١٣، ح٣١٢٨؛ السنن الكبرى، النَّسائي، ج١٠، ص٣٨، ح ١٠٩٨٦؛ قال الذهبي: صحيح على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه، وصححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٦، ص٦٢٨، ح٢٧٦٦.

[٥] التَّفسير المنير: الزُّحيلي، ج٣، ص٧٥.

[٦] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣، ص٦٩.

٣- حصر مهمة الرُسُل عليهم الصلاة والسلام في إرشاد النَّاس إلى منهج الله ﷻ وتقريبه لأفهامهم وإقامة الحجة عليهم بالأدلة والبراهين، وليس عليهم حمل النَّاس وإجبارهم على اتباع منهج الله ﷻ، لأنَّ الدعوة قائمة على الإقناع[١].

٤- الرَّد على منكري وقوع أعمال العباد تحت مشيئة الله ﷻ "كالقدرية الذين يقولون: إنَّ العبد مستقلٌ بعمله، ولا تعلُّق لمشيئة الله ﷻ فيه"[٢] لقوله تعالى:﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ ﴾.

٥- تأكيد فناء أجر الإنفاق المقترن بنفاق، وما لم يكن خالصاً لوجه الله ﷻ لقوله تعالى:﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ ﴾.

٦- ضمان حوزة الأجر العظيم يوم القيامة لمن أنفق في سبيل الله ﷻ والتزم بآداب الإنفاق[٣].

٧- ربط أجر الصَّدقة بحال المُنفِق، دون مراعاة حال المُنفَق عليه[٤].

٨- الإشارة لتعدد منافع الإنفاق في سبيل الله ﷻ في الدنيا، فهو "يصُون المال، ويحصّن الثروة، ويحميكم من أذى الفقراء بالنّهب والسلب والسرقة؛ لأن الجائع يستبيح لنفسه كل شيء"[٥].

٩- نفي الظلم في حق الله ﷻ، لقوله تعالى:﴿وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴾ فالله ﷻ لا يُنقص النَّاس أجورهم، ولكن النَّاس يظلمون أنفسهم باقتراف ما يستوجب إحباط أعمالهم، ومن كمال عدل الله ﷻ إخباره لعباده بما يُفسد الأعمال ويُذهب أجرها، وقد حرم الله ﷻ الظلم على نفسه حيث يقول في الحديث القدسي:(**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا...**)[٦].

١٠- إثبات أنَّ لله ﷻ وجهاً يليق بجلاله من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تعطيل[٧]، لقوله تعالى: ﴿ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ ٱللَّهِۚ ﴾.

---

[١] انظر: تفسير الشَّعراوي، ج٢، ص١١٧٦.

[٢] تفسير العثيمين: ج٣، ص٣٦٣.

[٣] انظر: زهرة التَّفاسير، أبو زهرة، ج٢، ١٠٢٨.

[٤] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣، ص٧٢.

[٥] التَّفسير المنير: الزُّحيلي، ج٣، ص٧٥.

[٦] صحيح مسلم: ك- البِّر والصِّلة، ب- تحريم الظلم، ج٨، ص١٦، ح٦٧٣٧.

[٧] انظر: شرح العقيدة الواسطية، ابن عثيمين، ص٢٩٠.

١١-حماية حقوق الإنسان في المجتمع المسلم، حيث تكفل لجميع أفراد المجتمع بحق الحياة والمأكل والمشرب ونحوه، حتى الذين لا يدينون بدين الإسلام[١] وقد أمرنا الله ﷻ بمعاملتهم بالحسنى ما داموا مُسالمين، فقال تعالى:﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾(الممتحنة:٨).

إنَّ الحق إذا ظهر للنفس واستيقنت به لا بد أن تتبعه، فإن لم تذعن له وتتبناه فاعلم أنَّ قلب صاحبها عليه غشاوة، وإنَّ إكراهه على اتباع الحق يدفعه للعناد فيقسو قلبه، لذلك نهى الله ﷻ عن الإكراه بقوله:﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ ﴾(البقرة:٢٥٦) لأننا بحاجة لأناس تصنعهم الفكرة لا من تقذفهم الأهواء والظروف، لأنَّ صاحب الفكرة يضحي من أجلها، وإذا كانت الفكرة هي نصرة دين الله ﷻ وإظهاره على الدين كله، ليدخل كل بيت في أنحاء المعمورة، تمنى العبد لو أنَّ له مائة نفس تزهق تباعاً في سبيل الله ﷻ، لذلك فالإخلاص نقطة البداية وبدونه لا نصل للنهاية، فلا يصح لمن كان هدفه رضى الله ﷻ أن يقرن به هدفاً آخر.

المطلب الرابع: توجيه المنفقين للبحث والتحري عن أصحاب الحاجة.

قال تعالى:﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾(البقرة:٢٧٣).

أولاً: المعاني اللُّغوية:

﴿ **أُحْصِرُوا** ﴾ مُنعوا وحُبسوا[٢].

﴿**ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ**﴾ سعياً للكسب والتجارة[٣].

﴿ **التَّعفُّفِ** ﴾ ترك الشيء ترفعاً "وعَفَّ عَنِ الشَّيْءِ أَمْسَكَ عَنْهُ، وَتَنَزَّهَ عَنْ طَلَبِهِ"[٤]

﴿ **بِسِيمَاهُمْ**﴾ بعلاماتهم وهي "صُفْرَةُ أَلْوَانِهِمْ من الجُوعِ وَرَثَاثَةُ ثِيَابِهِمْ مِنَ الضُّر"[٥].

﴿ **إِلْحَافًا** ﴾ إلحاحا في الطلب[٦].

---

[١] انظر: تفسير الشَّعراوي، ج٢، ص١١٧٤.

[٢] انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ج١، ص٢٣٩.

[٣] انظر: الكشاف، الزمخشري، ج١، ص٣١٨.

[٤] البحر المحيط: أبو حيَّان، ج٢، ص٦٧٥.

[٥] تفسير غريب القرآن، الكواري، ج٢، ص٢٧٣.

[٦] انظر: غريب القرآن، ابن قتيبة، ج١، ص٩٨.

ثانياً: وجوه البلاغة:

نفي الشيء بإيجابه: في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ "فالمنفيّ في ظاهر الكلام هو الإلحاف في السؤال، لا السؤال نفسه مجازا، والمنفي في باطن الكلام حقيقة السؤال نفسه، إلحافا كان أو غير إلحاف"[١].

ثالثاً: المناسبة:

بعدما بيَّن الله ﷻ في الآيات السَّابقة أحوال المُنفقين "وآفات الصدقات التي تذهب بخيرها بالنسبة لمعطيها من منٍّ وأذى ورياء وقصد إلى الخبيث دون الطيب ينفق منه، ثم بيَّن أنه لَا يصِح أن يكون الكفر أو العصيان سببًا للمنع، حيث يجب العطاء، ناسب أن يبين الصِّفات التي تُظهر المُستحق لمال الصَّدقة"[٢]؛ ليؤكد أنَّ الصَّدقة تقدم على أساس حاجة المُنفَق عليه، لا على أهواء المُنفق.

رابعاً: المعنى العام:

يوجه الله ﷻ المنفقين في سبيله لتقديم أموالهم للفقراء الذين هم أحق النَّاس بها، مبيناً الصفات التي تمكن المُنفق من التعرف عليهم، فهم حبسوا أنفسهم للجهاد في سبيل الله ﷻ، والذود عن حياض الأمَّة، ولا يستطيعون الذهاب لكسب الرزق وجمع المال، لرباطهم على الثغور، ومن الصفات الظاهرة عليهم، لا يُبدون فقرهم، فهم سُعداء كما لو أنهم كانوا أغنياء، وذلك إشارة على صدق صبرهم وتعففهم عن ملذات الدنيا، لكن الإنسان الفطن، يستنتج فقرهم من خلال علامات تظهر عليهم، كرداءة الثياب، وشعثة الشعر، ونحوه، ورغم ذلك لا يطلبون مد يد العون من أحد، وهؤلاء هم أحق النَّاس بالصَّدقة، والله ﷻ عالم بأحوال صدقاتكم وسيجازيكم عليها[٣].

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- بيان صفات مستحقي الزكاة، حتى يستطيع المُنفق تقديمها إلى أحق النَّاس بها[٤].
٢- حث العباد على التحلي الحكمة في إدراك الحقائق، وعدم الحكم على الأشياء بظواهرها[٥].
٣- توجيه المُنفق في سبيل الله ﷻ "أن يتحسّس حاجة المحتاجين، وأن يتعرف على ذوى الحاجة المتسترين الذين يمنعهم الحياء والتعفف عن أن يسألوا الناس[٦].

---

[١] الجدول في إعراب القرآن: صافي، ج٣، ص٦٩.
[٢] زهرة التَّفاسير: أبو زهرة، ج٢، ص١٠٢٩.
[٣] انظر: تفسير السَّعدي، ج١، ص١١٦.
[٤] انظر: التَّفسير الواضح، الحجازي، ج١، ص١٨٧.
[٥] انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص٣١٥.
[٦] التَّفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب، ج٢، ص٣٤٨.

٤- توجيه المنفقين إلى عدم التصدق على من يسأل النَّاس إلحافا وهو قادر على العمل، حتى لا يمتهن التسول، ويعتاد على الكسل، بل الأفضل توفير فرصة عمل له، وتقديم رأس المال اللازم لذلك، حتى يأكل من عمل يده، وهذه الطريقة الأمثل للقضاء على ظاهرة البطالة المتفشية في العالم هذا الزمان.

٥- الثناء على الفقراء، الصابرين على ضيق العيش، المتعففين عن سؤال النَّاس[١].

٦- تربية النَّفس على العفة، والكف عن الطمع والجشع وأخذ أموال النَّاس بغير حق.

٧- ترويض النَّفس على خشونة العيش، حتى لا يفسدها تقلبات الدهر.

٨- حثُّ العباد على الكدِّ والعملِ وألّا يكونوا عالةً على غيرهم، وأرشدنا النبي ﷺ لذلك بقوله:(**لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحْبُلًا، فَيَأْخُذَ حُزْمَةً مِنْ حَطَبٍ، فَيَبِيعَ، فَيَكُفَّ اللَّهُ بِهِ وَجْهَهُ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاس، أُعْطِيَ أَمْ مُنِعَ**)[٢] والأكل من عمل اليد من صفات الأنبياء والمرسلين، وأشار النبي ﷺ لذلك بقوله:(**مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ**)[٣].

٩- الإشارة لأفضلية تقديم الصَّدقة سراً للفقراء المتعففين عن مسألة النَّاس حفظاً لكرامتهم وجبراً لقلوبهم[٤] ودلَّ على ذلك ختام الآية بقوله تعالى:﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾.

١٠- وجوب الإنفاق على المتفرغين للجهاد في سبيل الله ﷻ، وذلك من باب رد الفضل لأهله، لأن ما يبذلونه من جهد ودماء فيه حماية لأرواح وأعراض وأموال جميع أفراد المجتمع، فالإنفاق عليهم من باب المكافأة[٥].

مما لا شك فيه أنَّ حِمل الأمانة عند المخلصين أثقل من الجبال، فترى أحدهم إذا كُلِّف بعمل يبذل أقصى وسعه من أجل إنجاحه، وعند انجازه يبقى ضميره يساوره هل وضعت الأمور في نصابها؟ هل ظلمت أحداً؟، ولعلَّ من أثقل الأمور على النَّفس توزيع أموال الصَّدقة على الوجوه التي تستحقها؛ لأنها تحتاج لبحث وتحري للوصول إلى أحوج النَّاس لها، وتزداد الأمور تعقيداً في مجتمع تحت وطأة الحصار، وتتداعى عليه الأمم من جميع الأقطار، فالمال شحيح، والفقر صريح، والعفيف لا يَبيح، فلمن تَدفع المال؟ تلجأ للفراسة والكياسة حتى تتحقق من إفلاسه، وتعطيه ما يحفظ أنفاسه.

---

[١] انظر: أضواء البيان، الشنقيطي، ج٤، ص٣٠٩.

[٢] صحيح البخاري: ك-المساقاة، ب- بيع الحطب، ج٣، ص١١٣، ح٢٣٧٣.

[٣] المرجع السَّابق: ك-البيوع، ب- كسب الرجل، ج٣، ص٥٧، ح٢٠٧٢.

[٤] انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص٣١٥.

[٥] انظر: تفسير المنار، محمد رشيد، ج٣، ص٧٤.

المبحث الثالث: التَّحذير من النِّظام الرَّبوي لإهلاكه الأنفس والأموال.

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: تربية النَّفس على الكرم واتقاء الشُّح الدافع للربا.

المطلب الثاني: تحريم الرِّبا وردع من يتعامل به.

المطلب الثالث: بيان أثر كل من الصَّدقة والرِّبا على الفرد والمجتمع.

المطلب الرابع: تحديد سبيل الخلاص من الرِّبا وإعلان الحرب على المعاندين.

المطلب الخامس: غلق الأبواب أمام المُرابين بالصَّبر على المُعسِرين.

المطلب السادس: تقوية الوازع الدِّيني باستحضار النَّفس لحسابها يوم القيامة.

المطلب الأول: تربية النفس على الكرم واتقاء الشح الدافع للرِّبا.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴾(البقرة:٢٧٤).

أولاً: وجوه البلاغة:

الطباق[١]: في قوله تعالى:﴿ بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ وقوله: ﴿ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ ﴾.

ثانياً: المناسبة:

بعدما بين الله ﷻ في الآية السابقة أفضل من تُصرَف إليه النَّفقة، ناسب أن يبين هنا أفضل وجوه الإنفاق، وبما أنَّ هذه الآية خاتمة لموضوع الإنفاق في سبيل الله ﷻ فلابد أن يوجز فيها مضمون ما تناولته الآيات السَّابقة، وقد حثت الآية على الإنفاق، وأكدت على إخلاص النية لله ﷻ، وقبول صدقة السر والعلن، مع أفضلية الإسرار، ثمَّ ختمت بضمان مضاعفة الأجر لمن أدى الصَّدقة مستوفية لشروطها[٢].

اختتمت الآية بنفي الخوف والحزن عن المنفقين، فهم في أمن وأمان واستقرار نفسي، وهذا يمثل الوجه المقابل لما يتضمنه مطلع الآية التالية التي تتحدث عن اضطراب المرابين وتخبطهم وقلقهم، ففي هذه الآية ترغيب في الإنفاق، والتالية ترهيب من الرِّبا.

ثالثاً: المعنى العام:

يمتدح الله ﷻ الذين يتصدقون من مالهم من أجل مرضاته، ويحرصون على ذلك في جميع الأزمنة، ولا يضيرهم إعلان الصَّدقة أو إسرارها، لقوة إيمانهم وصفاء نفوسهم، ولقد أثابهم الله ﷻ على ذلك بالأجر الجزيل بمضاعفة أموالهم ووضع البركة فيها في الدنيا، ورضوان الله ﷻ يوم القيامة، فلا يصيبهم الخوف من العذاب، أو الحزن على ما فاتهم من الأعمال الصالحة، فهم في أمن وأمان في الدنيا والآخرة[٣].

---

[١] التَّفسير المنير: الزُّحيلي، ج٣، ص٧٢.

[٢] انظر: مفاتيح الغيب، الرَّازي، ج٧، ص٧١.

[٣] انظر: التَّفسير المنهجي، فضل عباس، ج١، ص٢١٠.

رابعاً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- إجمال ما بينته الآيات السَّابقة، من حثٍ على الإنفاق في كل وقت، وأنواعه، ونتائجه.

٢- الثناء على الذين "ينفقون أموالهم في سبيل الله ﷻ سواء كان ليلاً، أو نهاراً، أوسراً، أو جهاراً"[١].

٣- تربية نفوس العباد على الفضائل، حتى تنبت في قلوبهم مَلَكةٌ تحجبهم عن الرذائل.

٤- بيان أنَّ "صدقة السِّر أفضل؛ لأنه قدم اللَّيل على النهار، والسر على العلانية في الذكر"[٢].

٥- بناء أسس التكافل الاجتماعي بين المسلمين، على مبدأ الانتفاع برزق الله ﷻ الذي ءاتاهم[٣].

٦- الإشارة إلى كثرة ثواب المُنفقين، لأن الله ﷻ "أضاف ثوابهم إلى نفسه في قوله:﴿ **فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ** ﴾ والثواب عند العظيم يكون عظيماً"[٤].

٧- بيان أنَّ الإنفاق سبب لشرح الصَّدر وإزالة الهم لقوله تعالى:﴿ **وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾ وهو نقيض الرِّبا الذي يجلب ضيق النفس وضنك العيش[٥].

يرى الباحث أنَّ النظام الاقتصادي الإسلامي يقوم على العدل في توزيع مقدَّرات الأمَّة وثرواتها، والأصل في قوانين الحياة تكامل الأفراد، فكل واحد يعمل في مجال يختلف عن الآخر، وعليه فالأصل أنَّ كل فرد له عمل يقتات منه، ولكنَّ سنة الله ﷻ اقتضت تفاوت النَّاس في شتى مناحي الحياة، فجاء النظام الاقتصادي الإلهي مراعياً لهذه الحقيقة بتشريع الإنفاق في سبيل الله ﷻ لسد هذه الثغرة الناتجة عن اختلاف أحوال النَّاس والأمم فليس في كل زمان تكون الأمَّة في قوة ومنعه، وسنة التدافع تقتضي الاقتتال وينتج عن ذلك فقدان بعض العائلات لمن يعولهم، وقد يقود الصراع إلى إضعاف الأمَّة وسطو الأعداء على مقدراتها، فيؤدي ذلك إلى فقر طائفة من أبنائها، ومن هنا تتضح الحكمة في تشريع الإنفاق، فهو دعوة للتكافل والتعاضد من أجل حماية أبناء الأمَّة من الهلاك، واستعادة نهضة الدولة الإسلامية، وصونها من الاندثار، وحث القرآن على الإنفاق، وتعويد النفس عليه وقت الرخاء، لتهرع إليه وقت الشِّدة، ورتب الله ﷻ عليه الأجر الأخروي، لأنَّ النفس البشرية تحب العوض عمَّا تقدمه، فربطها بالأجر الإلهي؛ لتسمو روحها ولتبقى حلقة الوصل بين الدنيا والآخرة.

---

[١] تفسير العثيمين: ج٣، ص٣٧٣.

[٢] اللباب في علوم الكتاب: ابن عادل، ج٤، ص٤٤٦.

[٣] انظر: تفسير الشَّعراوي، ج٢، ص ١١٩٠.

[٤] تفسير العثيمين: ج٣، ص٣٧٣.

[٥] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣، ص٧٨.

المطلب الثاني: تحريم الرِّبا وردع من يتعامل به.

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾(البقرة:٢٧٥).

أولاً: المعاني اللُّغوية:

﴿ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ الزيادة[١]، وفي الشرع "الزيادة على الدَّيْن مُقَابل الأجل"[٢].

﴿ يَتَخَبَّطُهُ﴾ يصرعه ويضرب به الأرض على غير استواء منه[٣].

﴿ الْمَسِّ ﴾ الجنون "وأصله من المسّ باليد كأن الشيطان يمسُّ الإنسان فيحصل له الجنون"[٤].

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- التشبيه التمثيلي: حيث شبه آكلي الرِّبا في حياتهم الدنيا، وعند بعثهم من قبورهم، بمن أصابه مسّ فاختل طبعه، وصار يتهافت في مشيته، ويترنح ترنح الشارب السكران ثمَّ يهوي مكباً على وجهه من سوء الطالع وقبح المنقلب، وشناعة المصير[٥].

٢- المجاز: في قوله تعالى:﴿يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ فالمراد بالأكل ابتلاع الطعام، وأطلق هنا على الانتفاع بالرِّبا، للدلالة على شدة طمع من يُقدم عليه[٦].

٣- التشبيه المقلوب: في قوله تعالى:﴿إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ وهو "أعلى مراتب التشبيه حيث يجعل المشبّه مكان المشبّه به والأصل في الآية أن يقال: الرِّبا مثل البيع، ولكنه بلغ من اعتقادهم في حل الرِّبا أن جعلوه أصلاً يقاس عليه فشبهوا به البيع"[٧].

٤- الطباق[٨]: في قوله تعالى:﴿ وَأَحَلَّ ﴾ و ﴿وَحَرَّمَ ﴾.

---

[١] مختار الصِّحاح: الرَّازي، ص١١٧.

[٢] الرِّبا أضراره وآثاره: سعيد القحطاني، ص٧.

[٣] انظر: ارشاد العقل السَّليم، أبو السُّعود، ج١، ص٢٦٦.

[٤] صفوة التَّفاسير: الصَّابوني، ج١، ص١٥٧.

[٥] انظر: إعراب القرآن وبيانه، درويش، ج١، ص٤٢٩.

[٦] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣، ص٧٩.

[٧] صفوة التَّفاسير: الصَّابوني، ج١، ص١٥٩.

[٨] التَّفسير المنير: الزُّحيلي، ج٣، ص٨٣.

ثالثاً: المعنى العام:

يوبخ الله ﷻ الذين يتعاملون بالرِّبا بتشبيههم في سعيهم وتصرفهم، وسائر أحوالهم وما هم فيه من اضطراب وخلل، بالذي أفسد الشيطان عقله فأصبح يتعثر من الجنون الذى أصابه، "لأنهم يزعمون أن البيع مثل الرِّبا فى أن كلا منهما فيه معاوضة، وكسب فيجب أن يكون كلاهما حلالا، وقد رد الله ﷻ عليهم زعمهم فبين لهم أن التحليل والتحريم ليس من شأنهم، وأن التماثل الذى زعموه ليس صادقاً، والله ﷻ قد أحل البيع وحرم الرِّبا، فمن جاءه أمر ربه بتحريم الرِّبا واهتدى به، فله ما أخذه من الرِّبا قبل تحريمه، وأمره موكول إلى عفو الله ﷻ ومن عاد إلى التعامل بالرِّبا باستحلاله بعد تحريمه، فأولئك يلازمون النَّار خالدين فيها"[١].

رابعاً: المناسبة:

تناولت الآيات السَّابقة وصف الأنفس الطيبة التي يملأها الجود وتحري مرضاة الله ﷻ، فتخرج من مالها تقرباً لله ﷻ، وتثبيتاً على الإيمان، أما هذه الآية فعرضت الوجه الآخر الذي يمثل النَّفس الخبيثة، التي يأكلها الطمع والجشع، وتلهث خلف لعاع الدنياً فتدفع صاحبها لأكل أموال النَّاس بالباطل، من خلال الرِّبا[٢].

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- إبراز الوجه القبيح للرِّبا، "بعرضه عرضاً منفِّراً، يكشف عمَّا في عملية الرِّبا من قبح وشناعة، ومن جفافٍ في القلب وشرٍ في المجتمع، وفسادٍ في الأرض وهلاك للعباد"[٣].

٢- إثبات صرع الشيطان للإنسان، إذ كيف يضرب الله ﷻ مثلاً بأمر غير متحقق، وما دام المثل يُضرب لتقريب الأفهام، فلا بد أن يكون من واقع الإنسان، وقد رأينا حالات الصرع العصبي التي أثبتها الطب الحديث، وتخبط المصروع بالأرض، فلا غرابة في سيطرة الشيطان على الجهاز العصبي للممسوس، وصرعه[٤].

٣- تجريم وسائل الابتزاز التي يتسلط بها الأقوياء على الضعفاء، والأغنياء على الفقراء[٥].

---

[١] المنتخب في تفسير القرآن: نخبة من أساتذة التَّفسير، ص٤٧.

[٢] انظر: التَّفسير المنير، الزُّحيلي، ج٣، ص٨٥.

[٣] في ظلال القرآن: سيد قطب، ج١، ٣١٨.

[٤] انظر: تفسير الرَّاغب، الرَّاغب الأصفهاني، ج١، ص٥٨٠، نظم الدُرر، البقاعي، ج٤، ص١٢٠، زهرة التَّفاسير، أبو زهرة، ج٢، ص١٠٤٣.

[٥] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣، ص٧٩.

٤- إرشاد العباد إلى تجنب الحكم على الأمور بظاهرها، والنّظر إلى أوجه التشابه والاختلاف معاً، فوجه الشَّبه بين البيع والرِّبا زيادة المال، والذين حكموا بأن البيع مثل الرِّبا كما ذكره الله تعالى:﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ نظروا إلى وجه الشبه بينهما فقط، ولم يتطرَّقوا لأوجه الاختلاف وعلَّته، "فقياسهم فاسد؛ لأن البيع عوض ومعوض لا غبن فيه، والربا فيه التغابن وأكل المال البطل، لأن الزيادة لا مقابل لها من جنسها، بخلاف البيع، فإن الثمن مقابل بالمثمن"[١] ثمَّ جاء حكم الله ﷻ الذي أحاط بتفاصيل العقدين بقوله تعالى: ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾.

٥- كشف حقيقة الأنفس الخبيثة، التي تلبس الحق بالباطل، وتدلس على النَّاس، من أجل تحقيق أطماعها، وإشباع شهواتها.

٦- بيان أنَّ غضب الله ﷻ لا ينحصر على المُتعامل بالرِّبا، بل يمتد لكل من استفاد من الرِّبا وهو عالم بذلك لقوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾، وفي ذلك إشارة لكل من يتعامل به، أو ينتفع من أثره[٢]، ودلَّ على ذلك ما رُوي عَنْ جَابِرٍ ﷺ، قَالَ: **(لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ آكِلَ الرِّبا، وَمُؤْكِلَهُ، وَكَاتِبَهُ، وَشَاهِدَيْهِ، وَقَالَ: هُمْ سَوَاءٌ)**[٣]

٧- توجيه الدعاة إلى استخدام الأساليب التربوية التي تتناسب مع طبيعة المخاطَب، حيث جاء خطاب الله ﷻ للمُرابين، مرعباً لحسهم، مزلزلاً لكيانهم؛ ليخرجهم عن المألوف بقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ فهذه الصورة معهودة للناس، وهذه الصورة توصل الرسالة متضمنة لجميع جوانب التأثير، لتردع المُرابي عن فعله[٤].

٨- قيام النظام الاقتصادي الإسلامي على العدل والمساواة[٥].

٩- الموازنة بين حاجات الفرد، ولوازم المجتمع، وحقوق الدولة، لأنَّ الرِّبا "إذَا فشا في النَّاس أفضى إلى انقطاع منافع الخلق لأن مصلحة العالم لا تنتظم إلا بالتجارة والصناعة والعمارة، كما أنه يفضي إلى انقطاع المعروف بين النَّاس"[٦].

---

[١] البحر المحيط: ابو حيَّان، ج٢، ص٧٠٨.

[٢] انظر: بحر العلوم، السمرقندي، ج١، ص١٨٣.

[٣] صحيح مسلم: ك-المساقاة، ب- لعن آكل الرِّبا، ج٥، ص٥٠. ح٤١٧٦.

[٤] انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص٣١٨.

[٥] انظر: تفسير الشَّعراوي، ج٢، ص١١٩٢.

[٦] التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج٣، ص٨٦.

١٠- بيان أن التشريع خاص بالله ﷻ وحده، فهو المحلل والمحرم، وعلى العباد الالتزام بأمره[١].

١١- وضع العلاج الأنسب لمن أراد الإقلاع عن الرِّبا، باستعادة رأس المال، وترك ما زاد عليه.

١٢- حماية الضعفاء من الوقوع فريسة في أيدي الظالمين، سواء كانوا أفراداً أو جماعات أو دول.

١٣- تسليم العباد لأمر الله ﷻ والانقياد له، لأنه الأعلم بما يصلح لهم في كل زمان، كيف لا وهو خالقهم وخالق الكون الذي يعيشون فيه، وعالمٌ بكل ما فيه[٢].

١٤- بيان أنَّ التعامل الربوي يفسد الأخلاق، كما يفسد الشيطان الجهاز العصبي للممسوس، فينعكس هذا التعامل على شعور الفرد تجاه أخيه، بما يبثه من سموم الطمع والجشع والحقد، كما ويقود إلى وضع رؤوس الأموال في أقذر المشاريع المتنافية مع الأخلاق الإسلامية لضمان الربح[٣].

١٥- تعليق قلوب التائبين عن الرِّبا بحبل الله ﷻ، حيث يقول تعالى:﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ فعلق الله تعالى أمر العفو عما اقترفوه من الرِّبا بمشيئته حتى يبقى في رجاء دائم لعفو الله ﷻ [٤].

١٦- تهديد من أغراه طول الأمد، وحلم الله ﷻ عليه، فعاد لاستحلال الرِّبا وإغراء النَّاس به، بالخلود في نار جهنم، وانقطاع حبل النجاة له يوم القيامة[٥] لقوله تعالى:﴿ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾(الجن:٢٣).

١٧- الإشارة إلى أن "المعاند لإرادة الله ﷻ، والمستحل لما حرم الله ﷻ إذ يحكم بالحل، وقد حكم سبحانه بالتحريم كافر؛ ولذا حكم الله ﷻ بأنه خالد في النَّار، ولا يخلد في النَّار مؤمن"[٦].

١٨- تحذير العباد من الذين يخادعون النَّاس ويسمون الأشياء بغير مسمياتها، لتغيير أحكامها، كما يحدث في زماننا من تسمية الرِّبا بالفائدة، والفحش بالفن، وأتوا بمن يُفتي للناس بحل ذلك، حتى يفتنوهم بهذه الأعمال.

١٩- إظهار الترابط والتلازم بين عناصر المنهج الإسلامي، كالعبادات والمعاملات والأخلاق[٧].

---

[١] انظر: تفسير العثيمين، ج٣، ص٣٧٧.

[٢] انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص٣١٨.

[٣] المرجع السَّابق: سيد قطب، ج١، ص٣٢٢.

[٤] انظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ج٤، ص٤٥٦.

[٥] مفاتيح الغيب: الرَّازي، ج٧، ص٧٩.

[٦] زهرة التَّفاسير: ابو زهرة، ج٢، ص١٠٤٩.

[٧] انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص٣٢٠.

بعدما شرَّع الله ﷻ الإنفاق سداً لحاجة الأفراد والجماعات، ليحفظ الدين والدولة والنفس، حصَّن الله ﷻ أبناء الأمَّة من الوسائل المهلكة كالرِّبا، لعلمه ﷻ بالمصير الذي يقود إليه، وجهل العباد بما تؤول إليه أمورهم به، فالله ﷻ لا يُحرم شيء إلا لضرر جسيم يلحقه بالبشرية، فالواجب علينا أن نذعن لأمر الله ﷻ لأنه الأعلم بما يصلح لنا، ولقد جاء الخطاب في أعلى درجات التقبيح لآكل الرِّبا، بوصفه بالجنون، ولقد صدق الله ﷻ، فالمُرابي ليس له عقل تراه يتخيل كل ما حوله مالاً، وفي نومه يرى ما يؤرقه، حتى عند الطعام لا يجد له لذة لأنَّ العقل مغيب في خزائن المال، فأصبح عبداً للمال، ولقد أشار النبي ﷺ لذلك بقوله:**(تعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ...)**[1].

المطلب الثالث: بيان أثر كل من الصَّدقة والرِّبا على الفرد والمجتمع.

قال تعالى:﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ * إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(البقرة: ٢٧٦، ٢٧٧).

أولاً: المعاني اللُّغوية:

﴿ **يمْحَقُ** ﴾ يُذهب بركته[2]، "المَحْق أَن يَذْهَبَ الشَّيْءُ كُلُّهُ حَتَّى لَا يُرَى مِنْهُ شَيْءٌ"[3].

﴿ **وَيُرْبِي** ﴾ يزيد ويُضاعف ويُبارك[4].

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- الطِّباق[5]: في قوله تعالى: ﴿ **يَمْحَقُ**﴾ و﴿ **وَيُرْبِي**﴾.

٢- تجنيس التغايُر: في قوله تعالى:﴿ **ٱلرِّبَوٰاْ**﴾ و﴿ **وَيُرْبِى**﴾ لأنَّ أحدهما اسم والآخر فعل[6].

٣- صيغة المُبالغة: في قوله تعالى:﴿**كَفَّارٍ أَثِيمٍ**﴾ صيغة فعّال وفعيل للمبالغة، أي عظيم الكفر شديد الإثمّ[7].

---

[1] صحيح البخاري: ك- الجهاد والسِّير، ب- الحراسة، ج٤، ص٣٤، ح٢٨٨٥.

[2] لسان العرب: ابن منظور، ج١٠، ص٣٣٨.

[3] المرجع السابق: ج١٠، ص٣٣٨.

[4] الكشاف: الزمخشري، ج١، ص٣٢١.

[5] اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ج٤، ص٤٥٦.

[6] المرجع السابق: ج٤، ص٤٥٦.

[7] انظر: صفوة التَّفاسير، الصَّابوني، ج١، ص١٥٩.

ثالثاً: المناسبة:

تتجلى مناسبة الآية لما سبقها، في كون "الداعي إلى فعل الرِّبا، تحصيل الزيادة، والصَّارف عن الصدقات الاحتراز عن نقص الخيرات فبيَّن الله ﷻ ها هنا أنَّ الرِّبا وإن كان زيادةً، فهو نقصانٌ في الحقيقة، وأن الصَّدقة وإن كانت نقصاً في الصورة، فهي زيادةٌ في المعنى"[١].

ثمَّ بين تعالى مصير المتقين المنفقين في سبيله، ترغيباً للعباد في سلوك طريقهم، وتحذيراً من الاتجاه المعاكس المتمثل بالرِّبا.

رابعاً: المعنى العام:

تحذير رباني للذين يتعاملون بالرِّبا، أو تحدثهم أنفسهم بذلك، بعرض المصير المحتوم لأموالهم وحالهم أمام أعينهم، حتى يرتدعوا عنه، مرغباً إيَّاهم بما يطفئ نيران أطماعهم الدَّافعة للرَّبا، بالحرص على الصَّدقات، فإن لم يلتزموا بأمر الله ﷻ واستحلُّوا الرِّبا، فمصيرهم الخلود في النَّار مع الكفَّار، وإن اقترفوه دون استحلاله فيستحقون العذاب الشديد على ما اقترفوه من الإثمَّ، ثمَّ تأتي البشارة الإلهية لمن آمن وعمل صالحاً، وأقام الصلاة على الوجه الذي تقام به وآتى الزكاة بأن له أجره، وافٍ عند ربه يتسلمه يوم يلقاه فلا يصيبه حزن في دنياه وآخرته[٢].

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- تأكيد خسارة المُرابين، ومن شايعهم في الدنيا في جواب حياتهم المتعددة، وإفلاسهم يوم القيامة[٣].

٢- تبشير المُنفقين في سبيل الله ﷻ بنماء مالهم في الدنيا، ووضع البركة فيه، وحمايته من الهلاك، ودفع السوء والأمراض عنهم، ومضاعفة حسناتهم يوم القيامة[٤].

٣- إثبات نجاح النظام الاقتصادي الإسلامي القائم على الاعتماد على النفس، وفشل الأنظمة الموازية لقيامها على الظُّلم[٥].

٤- الإقرار بخيبة المرابين، وبحتمية خسارتهم، إما بنزع البركة من مالهم فلا يتمتعون به، ولا يشعرون بالسعادة في نعيمه، أو بأخذهم بغتة فينقلب غناهم الفاحش إلى فقر مطبق[٦].

---

[١] اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ج٤، ص٤٥٦.

[٢] انظر: أيسر التَّفاسير، الجزائري، ج١، ص٢٦٩.

[٣] انظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ج٤، ص٤٥٧.

[٤] المرجع السابق: ج٤، ص٤٥٧.

[٥] انظر: التَّفسير المنير، الزُّحيلي، ج٣، ص٩٩.

[٦] انظر: في ظلال القرآن: سيد قطب، ج١، ص٣٢٢.

٥- إثبات أصالة النظام الاقتصادي الإسلامي، من خلال عرض نتائجه الطيبة على الفرد والمجتمع، والوقوف على فساد الأنظمة الاقتصادية الأخرى المُدمرة لسعادة الفرد، وترابط المجتمع[١].

٦- الإشارة لتكامل النِّظام الاقتصادي الإسلامي، "فهو حين يحرم التعامل الربوي يقيم نظمه كلها على أساس الاستغناء عن الحاجة إليه وينظم جوانب الحياة الاجتماعية بحيث تنتفي منها الحاجة إلى هذا النوع من التعامل، بدون مساس بالنمو الاقتصادي والاجتماعي والإنساني المطرد"[٢].

٧- إرشاد العباد إلى تجنب الحكم على الأمور بظاهرها، فينبغي دراسة جميع جوانب القضية قبل إصدار الحكم فيها، فالرِّبا ظاهره الزيادة في المال، والزكاة إنقاص للمال، ولكن ذلك في المنظور القريب الضيق، أمَّا على المدى البعيد فتنقلب الصورة، لتؤدي الزكاة إلى نماء المال، ويؤول الرِّبا بالمال للمحق والسحق[٣].

٨- حث العباد إلى توخي عاقبة الأمور، وعدم الانخداع بمقدمات الأحداث، لأن العبرة بخواتيمها.

٩- سد أبواب الطَّمع أمام المرابين، بإثبات خسارتهم في جوانب الحياة المتعددة[٤].

١٠- إثبات المحبَّة في حق الله ﷻ، لقوله تعالى:﴿**وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ**﴾ ودلَّ على ذلك ما جاء في الحديث القدسي عن النبي ﷺ قال: إنَّ اللَّهَ ﷻ قَالَ:(**مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ...**)[٥].

١١- ترسيخ المعنى المراد في نفوس العباد بذكر المتضادين -الصدقات والرِّبا- وبيان أثر التعامل بهما[٦].

١٢- ترغيب العباد في أداء الأعمال الصَّالحة، وذلك يتضمن إبعادهم عن الأعمال الطَّالحة وفي مقدمتها الرِّبا.

١٣- تحذير المسلمين من التشبُّه بالكافرين، وذلك بالقيام بأعمالهم أو أقوالهم أو التَّحلي بصفاتهم التي نهى الله ﷻ عنها، لأنَّه بذلك يخسر محبة الله ﷻ كما أشار الله ﷻ لذلك بقوله:﴿ **وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ** ﴾ فالكفر هو استحلال الرِّبا، والإثمُ الإتيان به[٧].

---

[١] انظر: البحر المحيط، أبو حيَّان، ج٤، ص٤٤٩.

[٢] في ظلال القرآن: سيد قطب، ج١، ص٣٢٢.

[٣] انظر: مفاتيح الغيب، الرَّازي، ج٧، ص٧٩.

[٤] انظر: تفسير العثيمين، ج٣، ص٣٧٩.

[٥] صحيح البخاري: ك- الرقائق، ب- التواضع، ج٨، ص١٠٥، ح٦٥٠٢.

[٦] انظر: تفسير الراغب، ج١، ص٥٨١.

[٧] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣، ص٩١.

١٤- الإشارة إلى أنَّ كل ما في الكون ملك لله ﷻ، وأنَّ الإنسان مستخلف في الأرض ولا يملك فيها إلا عمله، ودل على ذلك قوله تعالى:﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ فكلمة أجر "تقتضي أنه لا يوجد مخلوق يملك سلعة، إنما كلنا مستأجرون، لماذا؟ لأننا نشغل المخ المخلوق لله ﷻ، بالطاقة المخلوقة لله ﷻ، في المادة المخلوقة لله ﷻ، فماذا تملك أنت أيها الإنسان إلا عملك، وما دمت لا تملك إلا عملك فلك أجره"[١].

١٥- إرشاد العباد إلى كيفية التفريق والتمييز بين الحلال والحرام، والنَّافع والضَّار، بالبحث عن العلِّة، وتحليل النتيجة[٢].

١٦- بيان "أهمية إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وتصدُّرها أركان الإسلام"[٣].

١٧- طمأنة القائمين بأي عمل صالح بحفظ أجورهم عند الله ﷻ، وعدم اشتراط القيام بجميع الأعمال لقبول أحدها ودلَّ على ذلك قوله تعالى:﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾؛ لأنَّ الإيمان يقتضي القيام بالعمل الصالح، ولكن قد لا يتمكن العبد من القيام به لموته بعد إيمانه مباشرة، وكذلك حال الصلاة، أما الزكاة فقد لا يملك المال اللازم لها، ولذلك يجزي الله ﷻ العبد على كل عمل صالح[٤].

١٨- إرشاد العباد إلى ما يعالج نفوسهم من البخل وحب المال الباعث على الرِّبا، وذلك بتعويد النفس على الإنفاق لتحوز ملكة الكرم، والمواظبة على الصلاة التي تقوي إيمان العبد فتنهاه عن الفحشاء لقوله تعالى:﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾(العنكبوت:٤٥).

١٩- الإشارة إلى أنَّ قيام العبد بالأعمال الصالحة يحقق له الأمن في الدنيا والآخرة لقوله تعالى: ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ وإنما يتحقق هذا المقصد "بالاستجابة لنداء الله ﷻ وأمره، والتَّنفيذ لدعوته وفرائضه، من أجل تحقيق المهمة الاستخلافية وهي عمارة الأرض"[٥] ويشترط لتحقيق ذلك كمال الإيمان بالله ﷻ، والامتناع عن الظُّلم الذي من أصنافه الرِّبا، وقد

---

[١] تفسير الشَّعراوي: ج٢، ص١١٩٩.

[٢] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣، ص٨٥.

[٣] تفسير العثيمين: ج٣، ص٣٨١.

[٤] انظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ج٤، ص٤٥٩.

[٥] دراسة تحليلية لرسالة الاقتصاد للإمام النورسي: عبد الستَّار الهيتي، مجلة الأحمدية، ص٨٢.

وعد الله ﷻ عباده ذلك بقوله:﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾(الأنعام:٨٢).

إنَّ الناظر لحال العالم اليوم وقد استولى النظام الربوي على مقدراته، وأصبحت قرارات الدول مرهونة في أيدي فئة قليلة من رجال الأعمال، وملاك المال، حتى عمَّ البلاد الفقر وانتشر الفساد، وانهدمت الأخلاق والقيم، واشتعلت العداوة والبغضاء بين النَّاس، وأصبح الرجلُ يبيع دينه من أجل حفنة من المال، فحلَّ عليهم غضب الله ﷻ، فأمحق أموالهم، وزلزل أركانهم، وما كان الانهيار الاقتصادي الذي ضرب العالم في الأعوام السابقة إلا محقاً من الله ﷻ لهذا المال الربوي، ويعتقد الباحث أنَّ الانهيار القادم سيكون أشدَّ وأعتى بعد أن طغى المُرابون في الأرض وأكثروا فيها الفساد، وسخَّروا هذه الأموال في معاداة أولياء الله ﷻ، ففتحوا على أنفسهم جبهتين مع الله ﷻ، حرباً لإصرارهم على الرِّبا، وأخرى لمعاداتهم أولياء الله ﷻ، الذين لا يكلون ولا يملون في الدِّفاع عن دين الله ﷻ، وتطبيق شرعه، فيبادرون بتطبيق النظام الاقتصادي على أنفسهم، ليجذبوا أبناء الأمَّة نحوه، وتراهم يجودوا بأغلى ما يملكون من أموال، ومن شدة إخلاصهم لله ﷻ لا يُعرف فضلهم إلا بعد وفاتهم.

المطلب الرابع: تحديد سبيل الخلاص من الرِّبا وإعلان الحرب على المعاندين.

قال تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ * فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾(البقرة:٢٧٨، ٢٧٩).

أولاً: المعاني اللُّغوية:

﴿ذَرُوا﴾ دعوا واتركوا[١].

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- التنكير للتهويل:في قوله تعالى:﴿فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ﴾ أي: بنوع عظيم من الحرب لا قبل لكم فيها[٢].

٢- الجناس النَّاقص[٣]: في قوله تعالى:﴿لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾.

---

[١] انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج٤، ص٣٠٤.

[٢] انظر: التَّفسير المنير، الزُّحيلي، ج٣، ص٨٣.

[٣] صفوة التَّفاسير: الصَّابوني، ج١، ص١٥٩.

ثالثاً: المناسبة:

تناولت الآيات السابقة زجر العباد عن التعامل بالرِّبا، وتطرقت لحال المُقترضين من الرِّبا، ثمَّ بينت مصير مال الرِّبا، فناسب ذلك عرض الطرف الثالث للعملية الربوية وهم المُقرِضون، وبما أنهم الجانب الأخطر، ناسب ارتفاع نبرة التهديد تجاههم بإعلان الحرب عليهم لردعهم عن الرِّبا، ووضع العلاج الأمثل ببتر المال لقسمين، أحدهما رأس المال فيأخذونه كاملاً وهو حلال لهم، والآخر محرم عليهم وهو الزيادة التي يقتضيها الرِّبا[١].

رابعاً: المعنى العام:

يخاطب الله ﷻ عباده مبيناً أنَّ الإيمان لا يتحقق في النفوس إلا بطاعة أمره، ثمَّ جاء الأمر الإلهي بترك الرِّبا، والغاء العقود السارية القائمة عليه، ليتحقق فيكم الإيمان، فإن لم تستجيبوا لأمر الله ﷻ فأنتم خارجون عن الإيمان، وأنزلتم أنفسكم منزلة الويلات بما ستجدونه من ضيق في قلوبكم، وفناء لأموالكم، وإن رجعتم إلى الله ﷻ فلكم ما أقرضتموه للناس كاملاً بدون زيادة عليه، ولا نقصان، حتى يتحقق العدل، وينقشع الظلم[٢].

خامساً: القراءات:

في قوله تعالى:﴿ **فَأْذَنُواْ**﴾ قراءتان:

١- قرأ عاصم في رواية أبي بكر، وحمزة ﴿**فَآذِنُوا**﴾ بالمد وكسر الذال، والمعنى: فأعلموا غيركم أنَّ كل من لم يترك الرِّبا فقد أعلن الله ﷻ' عليه الحرب، وهي أشمل وأعم؛ لأن من يُعلم غيره بشيء من المُسَلَّم علمه به.

٢- وقرأ الجمهور: بالألف المقصورة وفتح الذال ﴿**فَأْذَنُوا**﴾ والمعنى: فأيقنُوا بحرب من الله ﷻ [٣].

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- قرع أذان العباد ليتهيؤوا للخطاب، ولتتيقظ أشواق نفوسهم، لما سيأمرهم به الله ﷻ، وليكن حافزاً "للهمم والعزائم إلى بلوغ هذه الغاية المسعدة، فقد جاءت دعوة الذين آمنوا إلى ترك هذا المنكر، في وقتها المناسب، لتتلقاها النُّفوس، وهي في نشوة أشواقها إلى رضوان الله ﷻ"[٤]، ولتتحفز هممهم وعزائمهم في العمل على تطبيق أمره تعالى، حتى ينالوا رضاه.

---

[١] انظر: التَّفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ج٢، ص٣٥٩.

[٢] انظر: التَّفسير المنهجي، فضل عباس، ج١، ص٢١٨.

[٣] انظر: معاني القراءات، الأزهري، ج١، ص٢٣٢.

[٤] التَّفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب، ج٢، ص٣٦٠.

٢- بيان أنَّ تقوى الله ﷻ تمثل الحصن الحصين من المعاصي، لأنها تردع النَّفس عن فعلها دلَّ على ذلك تصدر الخطاب بالأمر به[١] في قوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾.

٣- النهي عن كل أشكال الظلم، ومنه الرِّبا؛ لأنَّ فيه "التغابن وأكل المال بالباطل، لأن الزيادة لا مقابل لها من جنسها، بخلاف البيع، فإن الثَّمن مقابل بالمثمَّن"[٢]، وفيه تبادل للمنفعة.

٤- النهي عن تنفيذ العقود المحرمة، ولزوم نقضها، وذلك بأخذ رأس المال[٣] وترك الزوائد، وفي البيوع الفاسدة العودة إلى ما قبل العقد ورد النماء المتصل والمنفصل[٤].

٥- الإشارة لانتفاء الإيمان عمَّن يتعامل بالرِّبا[٥]، لقوله تعالى:﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

٦- إعلان الحرب على المُصرين على الرِّبا، "ومن حارب اللهُ ﷻ فإن اللهَ ﷻ غالبه، وهو مهزوم لَا محالة، وإن الله ﷻ سيعاقبه على عظيم ما ارتكب"[٦] وانتقام الله ﷻ من المُرابين يطال جميع نواحي حياتهم، فما "شاع الربا في قوم إلا عمّهم الفقر ونزلت عليهم الآفات وحبسوا القطر ومنعوا من الخير وقانا الله شره"[٧] وقد حذرهم الله ﷻ من ذلك بقوله:﴿ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾(المدثر: ٣١).

٧- محاربة ظاهرة الفقر من خلال العدل في توزيع ثروات الأمَّة، "بمعنى ألا يكون المال متداولا بين فئة تستأثر به دون غيرها سواء على مستوى أفراد المجتمع أو دول العالم"[٨] وقد أشار الله ﷻ لذلك بقوله: ﴿ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ﴾ (الحشر: ٧) فالرِّبا يؤدي لتكدس الأموال في أيدي الأغنياء، وعلى المدى البعيد يقسم النَّاس لطبقتين، فئة قليلة تتكدس في أيديها الأموال، والقطاع الأعظم يعاني الفقر المطبق، وهذا قمة الظلم الذي حاربه الإسلام.

٨- وضع حدٍّ لمن يظلمون النَّاس، ويمتصون دماءهم وأموالهم، بتمكين المظلومين من استرداد حقوقهم، وفتح آفاق الإيمان في وجوه الظالمين ليمحو نوره ظلام الظلم في قلوبهم[٩].

---

[١] انظر: تفسير العثيمين، ج٣، ص٣٨٣.

[٢] البحر المحيط، ابو حيَّان، ج٢، ص٧٠٨.

[٣] رأس المال: أصله، (تاج العروس، ج١٦، ص١٠٤).

[٤] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣، ص٩٥، المعاني البديعة، جمال الدين الريمي، ج١، ص٤٥٦.

[٥] انظر: زهرة التَّفاسير، ابو زهرة، ج٢، ص١٠٥٦.

[٦] المرجع السابق: ج٢، ص١٠٥٨.

[٧] التَّفسير الواضح: الحجازي، ج١، ص١٩٤.

[٨] الإسلام والتوازن الاقتصادي: محمد الفنجرى، ص٢٥.

[٩] انظر: تفسير الشَّعراوي، ج٢، ص١٢٠٤.

٩- الإشارة لتوازن النظام الاقتصادي الإسلامي، فقد وازن بين حق الملكية الفردية، وملكية الدولة، ووضع ضوابط كليهما[١].

مما لا شك فيه أنَّ الله ﷻ لم ينزل داء إلا وأنزل معه دواء، وهنا يبين الله ﷻ لنا الخلاص من براثن الرِّبا الذي تفشَّى في عالمنا بمسميات ما أنزل الله بها من سلطان، فعمَّ الفقر، وانتشر الظلم، وتفشَّت الأمراض الجسدية والنَّفسية، وأضحت البشرية تتلاطم كأمواج البحر، وترى عوام النَّاس قد أسلموا رقابهم لجشع المُرابين، والسَّبيل الأوحد للخلاص من ذلك العودة إلى نهج الله ﷻ، متمثلاً بإيجاد البديل الحسن المرتكز على قاعدة الإنفاق في سبيل الله ﷻ، والدَّين المُباح وعلى وُلاة الأمَّة بمشاركة أغنيائها أن يقوموا بإنشاء صندوق مركزي توجه إليه أموال الزكاة والصدقات ثمَّ تقسَّم هذه الأموال لثلاثة أقسام، أولها للفقراء والمُحتاجين، وثانيها للبطالة والمُعسرين، وآخرها يُستثمَّر في مشاريع تجارية يغلب الظن على تحقيق الرِّبح من خلالها، وبعد ذلك يُوجه علماء الأمَّة النَّاس إلى فسخ عقود الرِّبا، وإعادة رأس المال لصاحبه، وبذلك لا يجد المُرابون من يُعطونهم، فتغلق أبواب الرِّبا في وجوههم، ليعودوا إلى ما شرَّعه الله ﷻ رغم أنوفهم.

المطلب الخامس: غلق الأبواب أمام المرابين بالصبر على المعسرين.

قال تعالى:﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(البقرة:٢٨٠).

أولاً: المعاني اللُّغوية:

﴿ نَظِـرَةٌ ﴾ الانتظار والإمهال[٢]

﴿ مَيْسَرَةٍ ﴾ نقيض عُسرة، وتعني متسعاً من العيش[٣].

ثانياً: المناسبة:

بعدما وضع الله ﷻ التشريع الأنسب للخلاص من الرِّبا بعودة الحقوق لأصحابها كاملة، بفسخ عقد الرِّبا وتحوله لعقد دين حسن، وتعلق رأس المال الذي دفعه الدائن للمدين في ذمة المدين مجرداً من الزيادة، ناسب أن يبين حال المدين، وأمر الدائن بالصبر على المدين حتى يتمكن من السَّداد، وإثارة مشاعر الرحمة تجاه المُعسرين بإسقاط جزء من الدَّين أو كله عنهم.

---

[١] انظر: الأساس في التَّفسير، سعيد حوَّى، ج١، ص٦٣٥.

[٢] العين: الفراهيدي، ج٨، ص٦١٥.

[٣] المرجع السابق: ج١، ص٣٢٦.

ثالثاً: المعنى العام:

يدعو الله ﷻ عباده للإحسان لبعضهم بإمهال صاحب العسرة حتى انقضاء أجل الدَّين فإن لم يتمكن من السداد وكان صاحب فقر مطبق، فتفضلكم عليه بالتنازل عن الدَّين أو بعضه خير لكم عند الله ﷻ إن كنتم من أهل العلم والفهم لخطاب الله ﷻ وإن وُجد ذو عسرة فأعطوه وأمهلوه عند انقضاء أجل الدين إلى وقت ميسرته، وتصدقكم عليه بالتنازل عن الدين أو بعضه خير لكم إن كنتم من أهل العلم والفهم لخطاب الله ﷻ الدَّاعي إلى الرحمة[١].

رابعاً: وجوه القراءات:

في قوله تعالى:﴿ **وَأَنْ تَصَدَّقُوا** ﴾ قراءتان:

١- قرأ عاصم بتخفيف الصاد:﴿**تَصَدَّقُوا**﴾وهي تفيد الأمر بالتصدُق، ولو بالقليل؛ لأن القليل مع القليل كثير، والصَّدقة المرادة هنا عفو الدَّائن عن المَدين في جزء من ماله أو كُله[٢].

٢- وقرأ الجمهور بتشديدها﴿ **تَصَّدَّقُوا** ﴾ وهي تفيد الأمر بالإكثار من الصَّدقة[٣].

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- حث الدائنين بالصبر على المدينين المُعسرين حتى يتمكنوا من السداد[٤].

٢- غلق الأبواب أمام المُراوغين في أداء الدَّين، وأشار إلى ذلك بقوله تعالى:﴿**ذُو عُسْرَةٍ** ﴾؛ لأنَّ كلمة ذو بمعنى صاحب وتدل على ملازمة العُسرة له، فيظهر عليه الفاقة حقيقة، وليس من يمتهنون التعذر بعدم الاستطاعة وهم قادرون على السَّداد[٥] وقد وصف النبي ﷺ من يفعل ذلك بأنه ظالم حيث يقول :**(مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ...)**[٦].

٣- ثبوت حق الدائن في مطالبة المدين برأس ماله[٧].

٤- إنعام الله ﷻ من فضله في الدنيا والآخرة على من يسَّر على النَّاس وقضى عنهم حوائج الدنيا لقوله تعالى:﴿ **وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡ** ﴾ فكلمة خير تشير إلى الإنعام في الدنيا والأجر والمثوبة يوم القيامة[٨] ودلَّ على ذلك قول النبي ﷺ: **(مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ**

---

[١] انظر: المُنتخب في تفسير القرآن، لجنة من علماء الأزهر، ص٦٧.

[٢] انظر: مفاتيح الغيب، الرَّازي، ج٧، ص٨٧؛ ؛ تفسير القرآن بالقراءات العشر، الملَّاحي،ج١، ص٢٤٨.

[٣] انظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ج٢، ص٢٣٦.

[٤] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور،ج٣، ص٩٦.

[٥] انظر: زهرة التَّفاسير، أبو زهرة، ج٢، ص١٠٦٠.

[٦] صحيح البخاري: ك- الحوالات، ب- الحوالة، ج٣، ص٩٤، ح٢٢٨٧.

[٧] انظر: التَّفسير المنير، الزُّحيلي، ج٣، ص١٠١.

[٨] انظر: المرجع السابق، ج٣، ص٩٠.

الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ...)[1].

٥- ترسيخ قواعد التراحم والتآزر وقت الشِّدة في نفوس المسلمين، لأنَّ ذلك يعزز عوامل صمود الأمَّة في وجه الأعداء وقت الشِّدة والبلاء[2]، وقد ضرب أهل فلسطين أروع الأمثلة في ذلك.

٦- الإشارة لمقتضى الحكمة الإلهية في تمايز النَّاس بين غني وفقير، حتى تستقيم حياة البشرية، وذلك من رحمة الله ﷻ علينا حتى ينتفع بعضنا ببعض[3] كما قال تعالى:﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾(الزخرف:٣٢).

٧- إظهار تكامل النظام الإسلامي، "فهو حين يُحرم التعامل الربوي يقيم نظمه كلها على أساس الاستغناء عن الحاجة إليه، وينظم جوانب الحياة الاجتماعية بحيث تنتفي منها الحاجة إلى هذا النَّوع من التعامل، بدون مساس بالنمو الاقتصادي والاجتماعي والإنساني المطَّرد"[4].

٨- الإشارة إلى أهمية العلم، لأنه يقود العباد لفعل الخير[5]، لقوله تعالى:﴿ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

إنَّ الدين الإسلامي ليس شعاراً أو أذكاراً، ولا عبادات وابتهالات، بل هو نظام حياة، وقد أنزله الله ﷻ لتستقيم الحياة الإنسانية بأسرها، فهو يوازن بين متطلبات الجسد والروح، ولمَّا كانت النَّفس البشرية تتقلب في سُنن هذا الكون، من خير وشر، وضيق وفرج، وفقر وغنى، أرشدنا الله ﷻ إلى تحسس أحوال بعضنا، واستشعار ما يُعانيه غيرنا، لعلنَّا يوماً نلقاه فتكون نفوسُنا مهيأة إليه، فنُقدم لغيرنا، ما وددنا أن يُقَّدم إلينا في تلك اللحظات، فنساعد المحتاجين ونعفو عن المخطئين، وننصر المستضعفين.

---

[1] صحيح مسلم: ك- الذكر، ب- فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، ج٤، ص٢٠٧٤، ح٢٦٩٩.

[2] انظر: التَّفسير الوسيط، الزُّحيلي، ج١، ص١٦٦٠.

[3] انظر: تفسير العثيمين، ج٣، ص٣٩٢.

[4] الأساس في التَّفسير، سعيد حوَّى، ج١، ص٦٤٠.

[5] انظر: تفسير العثيمين، ج٣، ص٣٩٣.

المطلب السادس: تقوية الوازع الديني باستحضار النفس لحسابها يوم القيامة.

قال تعالى:﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾(البقرة: ٢٨١).

أولاً: وجوه البلاغة:

التنكير للتفخيم والتهويل[١] في قوله تعالى:﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا﴾.

ثانياً: المناسبة:

بعدما وضعت الآيات السابقة تصوراً شاملاً للنظام الاقتصادي الإسلامي، القائم على العدل، وحذرت من النظام الربوي القائم على الظلم وأكل أموال النَّاس بالباطل، ناسب أن يختم الآيات بما يحيي ضمير العباد، بتقديم الموعظة الدافعة لتحري الحق، فإن "صادفت قلبا سليما، ونفسا مهيأة للخير، عدلت بها عن هذا المورد الوبيل، وساقتها إلى موارد البر والخير، والتعفف والصبر وإلّا فلا دواء لهذا الداء إلّا ما أعد الله ﷻ لأهله من عذاب السعير"[٢].

ثالثاً: المعنى العام:

يخاطب الله ﷻ النَّاس محذراً إياهم من التعامل بالرِّبا وبكل ما حرمه عليهم، أن "احذروا يوم القيامة الذي تردون فيه إلى الله ﷻ فيعرض عليكم أعمالكم ويحاسبكم عليها فيجازي كل واحد منكم بما عمل من خير أو شر دون أن يناله ظلم"[٣].

رابعاً: وجوه القراءات:

في قوله تعالى:﴿ تُرۡجَعُونَ فِيهِ﴾ قراءتان:

١- قرأ "أبو عمرو ويعقوب ﴿تَرْجِعُونَ﴾ بفتح التاء"[٤]، حيث أضاف الفعل للمخاطَبين، وبذلك تشير إلى حال المؤمنين الراغبين في لقاء الله ﷻ والرجوع إليه[٥].

٢- قرأ "الجمهور ﴿تُرْجَعُونَ﴾ بضم التاء حيث أضاف الفعل لمن يُرجع المخاطَبين"[٦]، وبذلك تشير إلى حال الكافرين والمنافقين فهم لا يرغبون في الرُجوع فيُرجعون مُرغمين[٧].

---

[١] صفوة التَّفاسير، الصَّابوني، ج١، ص١٥٩.

[٢] التَّفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ج٢، ص٣٧٧.

[٣] التَّفسير المُيسَّر: نخبة من علماء التَّفسير، ص٤٧.

[٤] النشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ج٢، ص٢٠٨

[٥] انظر: تفسير القرآن بالقراءات العشر، الملَّاحي، ج١، ص٢٥٠.

[٦] النشر في القراءات العشر: ابن الجزري، ج٢، ص٢٠٨

[٧] انظر: تفسير القرآن بالقراءات العشر، الملَّاحي، ج١، ص٢٥٠.

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- التَّذكير بيوم الوقوف بين يدي الله ﷻ "للتَّرهيب من ارتكاب ما نهى عنه والتَّرغيب في فعل ما أمر به أو ندب إليه؛ لأنَّ في ترك المنهيات سلامةً من آثامها، وفي فعل المطلوبات استكثاراً من ثوابها"[١].

٢- تصحيح تصور الإنسان لهذه الحياة، فقد كان عند الله ﷻ، واستخلفه في الأرض، ليُطبِّق شريعته وحدد له وقتاً معلوماً تنتهي فيه مهمة الاستخلاف؛ ليعود المُلك لمالكه الحق، ويحاسَب كلُ فرد على أدائه لهذه المهمة، ودلَّ على ذلك قوله تعالى:﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ﴾ فالرُجوع يكون لمَوطنٍ كان مستقراً فيه[٢].

٣- ردع النُّفوس عن الوقوع في الرِّبا بتذكريهم بيومٍ سيتركون فيه كل الأموال ويذهبون إلى الله ﷻ بأعمالهم، فليتركوا اللهث خلف الزَّائل، وليجتهدوا في حَوزة الباقي[٣].

٤- الاستدلال على قدرة الله ﷻ من خلال البعث بعد الموت، وإعادة خلق الإنسان بعد أن أصبح هباءً منبثاً، فقوله تعالى:﴿ تُرۡجَعُونَ﴾ فعل ولا بدَّ لكل فعلٍ من فاعلٍ[٤]، والفاعل هو الله ﷻ، ودلَّ على ذلك قوله ﷻ: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٞ * قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ﴾(يس:٧٨، ٧٩).

٥- التَّمييز بين الغايات والأهداف والوسائل في الحياة، فالغاية هي إرضاء الله ﷻ، والأهداف من أجل تحقيق الغاية مُتعددة، ومنها الزَّكاة والصَّدقة والجهاد، والمال وسيلةً لتحقيق هذه الأهداف.

٦- التَّحذير من امتلاك المال لقلب الإنسان، فيصبح مشغوفاً في جمعه، لِما في ذلك من نتائج كارثيةٍ على المبادئ والقيم وترابط المجتمع[٥].

إنَّه الرَّبط بين أعباء الدنيا، وطموح الآخرة، وشِعاره أننا في اختبارٍ، وتحت المنظار، وما تزرعه فحصاده مردودٌ عليك، لك الخيار إن أردت النَّجاة فعليك بفعل الخير، وهجر الشَّر، وإلَّا فلا تلومنَّ إلَّا نفسك، فأنت مخيَّرٌ في عملك غير مُجبرٍ عليه، وإذا اكتمل هذا التصوُّر في ذهن العبد، فلن يُقدم على ما حرَّمه الله ﷻ وفي مقدمته الرِّبا، وبه يصلح حال الفرد والأسرة والمجتمع، وتقوى الأمَّة، لتُحقق الغاية من الوجود البشري على هذه الأرض.

---

[١] التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج٣، ص٩٧.

[٢] انظر: الأساس في التَّفسير، سعيد حوَّى، ج١، ص٦٣٤.

[٣] انظر: التَّفسير المنير، الزُّحيلي، ج٣، ص١٠٢.

[٤] انظر: تفسير العثيمين، ج٣، ص٣٩٨.

[٥] انظر: الأساس في التَّفسير، سعيد حوَّى، ج١، ص٦٣٦.

الفصل الثالث

التَّفسير التَّحليلي لمقاصد سورة البقرة (٢٨٢ – ٢٨٦) وأهدافها.

غلق الآفاق أمام وسائل الانحراف عن سبيل الله ﷻ.

ويتكون من مبحثين:

المبحث الأول: وضع الضمانات للمعاملات الإسلامية.

المبحث الثاني: بيان التَّصور الإيماني لأفراد الأمَّة المستحقة للخلافة.

المبحث الأول: وضع الضمانات للمعاملات الإسلامية.

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: الأمر بتوثيق العقود حفظاً للحقوق، ودرءاً للمفاسد.

المطلب الثاني: حماية حقوق الضُّعفاء.

المطلب الثالث: قطع الرَّيبة بتعيين شاهدين.

المطلب الرابع: رفع الحرج عن توثيق المعاملات المتداولة.

المطلب الخامس: بيان مشروعية الرهن.

المطلب الأول: الأمر بتوثيق العقود حفظاً للحقوق ودرءاً للمفاسد.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِۢبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِۢبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ ...﴾(البقرة:٢٨٢).

أولاً: المعاني اللُّغوية:

﴿ **وَلْيُمْلِلِ** ﴾ "يُلقي على الكاتب ما يكتبه"[١]

﴿ **يَـــأْبَ** ﴾ يمتنع[٢].

﴿ **يَبْخَسْ** ﴾ يُنقص ويُقلل[٣].

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- الإطناب : في قوله تعالى:﴿**تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ**﴾ فكلمة (دين) أطنب في ذكرها زيادة في البيان، حتى يُزيل الإيهام عمَّا سواه من المعاملات المعنوية[٤].

٢- الجناس[٥]: في قوله تعالى: ﴿**تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ** ﴾.

٣- الاستعارة: في قوله تعالى:﴿**بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى**﴾ استعار لفظة مسمى التي تشير في الحقيقة إلى المميز باسم يميزه عما يشابهه في جنسه أو نوعه، للدلالة على المعين المحدود من الأزمنة عند النَّاس[٦].

ثالثاً: المناسبة:

لمَّا حثَّ الله ﷻ عباده على الصَّدقات وحرَّم الرِّبا، ودعا إلى العفو على المُعسر، والتَصدُّق عليه بإسقاط الدَّين، الأمر الذي قد يتبادر إلى الذِّهن أنَّ المال لا شأن له ولا قيمة في الحياة، فجاءت هذه الآية لتعطي للمال حقَّه، وترفع من شأنه؛ لأنه قوام الحياة، فأباحت التَّعامل بالدَّين المؤجل، وبيَّنت طريق توثيقه، وحفظه، بالكتابة والشَّهادة، وطريق تنميته بالتِّجارة، ففي الصَّدقة

---

[١] التفسير المنهجي: فضل عباس، ج١، ص٢٢١.

[٢] تفسير غريب القرآن: الكواري،ج٢، ص٢٨٢.

[٣] العين: الفراهيدي، ج٤، ص٢٠٣.

[٤] انظر: الجدول في إعراب القرآن، صافي، ج٣، ص٩٢.

[٥] التفسير المنير: الزحيلي، ج٣، ص١٠٥.

[٦] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣، ص٩٩.

والقرض الحسن تراحم وتعاون، وفي الرِّبا قسوةٌ وطغيانٌ، وفي أحكام التَّعامل بالدَّين المؤجل والتِّجارة الحاضرة غايةَ الحكمةِ والمصلحةِ والعدل[1].

رابعاً: المعنى العام:

يا من اتَّصفتم بالإيمان إذا تعاملتم بالدّين المؤجل في الذمَّة بيعاً أو سلماً أو قرضاً، كبيع شيء بثمن مؤجل، أو بيع سلعةٍ مؤجلةٍ إلى أجلٍ مسمى مع بيان الجنس والنوع والقدْر، بثمنٍ معجلٍ وهو المُسمى بالسَّلَم أو السَّلَف، أو قرض مبلغاً من المال، فاكتبوا ما يدل على هذا التعامل، مع بيان الأجل بالأيام، أو بالأشهر، أو بالسنين، وعلى الكاتب أن يكون عادلاً في كتابته، ولا يمتنع عن الكتابة، شكراً لله ﷻ الذى علمه ما لم يكن يعلم، فليكتب ذلك الدَّين حسب اعتراف المَدِين وعلى المَدِين أنْ يخشى ربَّه فلا ينقص من الدَّين شيئاً[2].

خامساً: وجوه الإعراب:

الاختلاف في متعلق الجار والمجرور في قوله تعالى:﴿ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ﴾ على قولين[3]:

١- متعلق بقوله تعالى: ﴿ أَن يَكْتُبَ ﴾ وعليه فالمعنى: النَّهي عن الامتناع عن الكتابة على الوجه الذي شرَّعه الله ﷻ، فلا يكون فيها شروط لا يجيزها الشِّرع، أو إجحاف بحق أحد.

٢- متعلق بقوله تعالى: ﴿ فَلْيَكْتُبْ ﴾ ويكون المعنى: النَّهي عن الامتناع عن الكتابة مطلقاً، أي لا يجوز لمن دُعِي لكتابة الدَّين أنْ يمتنع عن أداء الكتابة؛ لأنه سيصبح كمن كتم علماً ولم يَنفع النَّاس به.

ويرى الباحث أنَّه بالجمع بين معنى الوجهين يَظهر ارتباط حكم الكتابة بمضمون المكتوب، فمن عُرض عليه كتابة دَيْن، وكان العقد تضمَّن الإنصاف والعدل والنَّفع للمُتعاقدين وللمجتمع، وجبت عليه الكتابة، وإن أعرض ولم يجد الكاتبان أفضل منه فهو آثم، أمَّا إن احتوى العقد على شروط تخالف الشَّرع، أو بها ثغرات قد تضر بأحد المُتعاقدين، فعليه تقديم النُّصح بإزالة ما فيه الضَّرر، فإن لم ينصع أحد المُتعاقدين لذلك، فوجب عليه عدم الكتابة.

---

[1] انظر: التفسير الواضح، الحجازي، ج١، ص ١٩٥، التفسير المنير، الزحيلي، ج٣، ص١٠٧.

[2] انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج٣، ص١٠٧، المنتخب في تفسير القرآن، لجنة من علماء الأزهر، ص٦٨.

[3] انظر: الكشاف، الزمخشري، ج١، ص٣٢٥، زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج٢، ص١٠٦٩.

لطيفة:

تعتبر آية الدَّين "أطول آية في القرآن الكريم، وكلماتها مائة وثلاثون، وقد اشتملت على أربعة عشر حكماً"[١] يتعلق بصون الأموال، وهذا يدل على أنَّ المال ليس مذموماً عند الله ﷻ وأنَّ "الإسلام معني باقتصاديات الأمَّة، وأنه دِينٌ ودولةٌ وحياةٌ ونظام مجتمعٍ، وليس دِين رهبنةٍ وفقرٍ، وانعزالٍ عن الحياة، فتنظيم التَّعامل بين النَّاس، وتِبيان طريق حفظ الحقوق، وتعاطي التِّجارة وتنمية المال، يدل على أنَّ الإسلام دينُ عملٍ وجهدٍ وكفاحٍ، وحرصٍ على الكسب والرِّبح من أوجه الحلال"[٢].

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- الإشارة لقاعدة لا إكراه في الدِّين، وذلك باستهلال الآية بقوله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فالإيمان هو حيثية الحكم التالي، ومن لم يؤمن بالله ﷻ فهو غير مكلفٍ بهذا الخطاب؛ لأنَّ الذي يُقبل على الإيمان مُلزَمٌ بتوابعه، ومن لم يُقبل فهو حرٌ في اختياره[٣].

٢- إظهار البلاغة والإعجاز القرآني من خلال تجلي "الدقة العجيبة في الصياغة القانونية، حتى ما يبدل لفظ بلفظ، ولا تقدم فقرة عن موضعها أو تؤخر، وحيث لا تطغى هذه الدقة المطلقة في الصياغة القانونية على جمال التعبير وطلاوته، وحيث يُربط التشريع بالوجدان الديني ربطاً لطيف المدخل عميق الإيحاء قوي التأثير"[٤].

٣- فتح الآفاق أمام السَّاعين للكدِّ والعمل، "لأن المقتدر على تنمية المال قد يعوزه المال فيضطر إلى التداين ليُظهر مواهبه في التجارة أو الصناعة أو الزراعة"[٥].

٤- رفع الحرج عن الخِلَّان بإلزامهم بكتابة الدَّين، فيشعر كلاهما أنَّ الكتابة فيها طاعة لأمر الله ﷻ فتذعن أنفسهم لذلك، ولا يختلج في نفس المَدين شيئٌ على أخيه الدَّائن[٦].

٥- الإشارة إلى عدم اقتصار الإسلام على العبادات، بل نظَّم جميع جوانب الحياة، وشرَّع ضوابط للمعاملات بين العباد، فلا ينبغي لمسلم أن يعتزل النَّاس معتكفاً في محرابه، بل عليه أن يوازن بين واجبه نحو الخالق، والتزاماته تجاه الخلق[٧].

---

[١] غرائب التفسير: الكرماني، ج١، ص١٠٧.

[٢] التفسير المنير: الزحيلي، ج٣، ص١٠٧.

[٣] انظر: تفسير الشِّعراوي، ج٢، ص١٢١٢.

[٤] في ظلال القرآن: سيد قطب، ج١، ص٣٣٤.

[٥] التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج٣، ص٩٨.

[٦] انظر: تفسير الشِّعراوي، ج٢، ص١٢١٣.

[٧] انظر: زهرة التَّفاسير، أبو زهرة، ج١، ص١٠٦٧.

٦- تحريم امتناع الكاتب عن الكتابة إذا لم يوجد مُسوغ شرعي لذلك، وتوقف ثبوت الحق عليها وكان الأكفأ لها في نظر المتعاقدين[١]، حيث نهى الله ﷻ عن الإعراض عنها بقوله تعالى:﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ﴾ وأكد ذلك بالأمر بها بقوله:﴿فَلْيَكْتُبْ﴾.

٧- الحفاظ على نظام الحياة الاقتصادية في المجتمع، ببناء الثقة بين المُتعاملين، لأنَّ من "يقترض ويسدد، يثق فيه كل النَّاس، ويرونه أميناً مخلصاً، فيعطونه ويُعطون غيره، أمَّا الذي لم يؤد دينه فهو في دائرة تحمل الوزر المضاعف، لأنه ضيّق باب القرض الحسن"[٢]، لأنَّ النَّاس لن يُعطوه وقد لا يُعطون غيره، وبذلك يختلُّ النِّظام الاقتصادي في المجتمع.

٨- تذكير العباد بنعم الله ﷻ عليهم؛ ليستشعروا فضله عليهم ويلزموا ما أمرهم[٣].

٩- حماية المدين من الغبن، بتمليكه الإملاء كما قال تعالى: ﴿ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ ﴾ وفي ذلك إقرار منه بالدين، وحماية له من تسلط الدائن، فلو أملى الدائن، "فزاد في الدين، أو قرب الأجل، أو ذكر شروطاً معينة في مصلحته، والمدين في موقف ضعيف قد لا يملك معه إعلان المعارضة رغبةً في إتمام الصفقة لحاجته إليها، فيقع عليه الغُبن"[٤].

١٠- توجيه العباد لأخذ الحِيْطَة وسدِّ الذَّرائع في معاملاتهم، وتجنُّب الغفلة حتى لا يقعوا في فخ الخداع، حيث وضعت الآية حصناً منيعاً مانعاً لقراصنة الظُّلم والاحتيال[٥].

١١- بيان وجوب "حضور كل من الدَّائن، والمدين عند كتابة الدَّين؛ لقوله تعالى:﴿ بَّيْنَكُمْ﴾ ولا تتحقق البينية إلا بحضورهما"[٦].

١٢- بيان حفظ الإسلام للمال، وسعيه لتنميته، ولكن بشرط ألَّا يصطدم ذلك بقواعد الأخلاق، ويتجاوز حريات الآخرين وحقوقهم[٧].

١٣- توجيه المُتعاملين "لتعيين الآجال للديون؛ لئلا يقعوا في الخصومات، والتداعي في المُرادات"[٨].

---

[١] انظر: تفسير العثيمين: ج٣، ص٤١١.

[٢] تفسير الشَّعراوي: ج٢، ص١٢١٤.

[٣] انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج١، ص٢٧٥.

[٤] في ظلال القرآن: سيد قطب، ج١، ص٣٣٥.

[٥] انظر: المرجع السَّابق، ج١، ص٣٣٤.

[٦] تفسير العثيمين: ج٣، ص٤١٠.

[٧] انظر: التفسير الواضح، الحجازي، ج١، ص١٩٦.

[٨] التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج٣، ص٩٩.

١٤- بيان وجوب كتابة الدَّين إنْ غلب على الظَّن إلحاق الضَّرر، فقد "تطرأ عوارض من موت أو غيره، فشرع الله ﷻ الكتابة والإشهاد لحفظ المال وضبط الواقع"[١].

١٥- استحباب كتابة الدَّين إن غلب على الظَّن عدم ترتُّب الضَّرر على المتعاقدين[٢].

١٦- إحياء الضَّمير في نفوس العباد باستشعار رقابة الله ﷻ لأعمالهم، وأشار لذلك قوله تعالى:﴿ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾؛ وذلك الأصل في إثبات الحقوق، ولكن شُرعت الكتابة خشية خراب الذمم، وضعف الضمير، فتُأكل حقوق النَّاس.

١٧- بيان مشروعية بيع السَلَم، ويشترط فيه تحديد زمن السَّداد[٣]، ودلَّ على ذلك ما رُوي عن ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أنه قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ وَهُمْ يُسْلِفُونَ بِالتَّمْرِ السَّنَتَيْنِ وَالثَّلاَثَ، فَقَالَ: **(مَنْ أَسْلَفَ فِي شَيْءٍ، فَفِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ، وَوَزْنٍ مَعْلُومٍ، إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ)**[٤].

لقد عُنيت شريعة الإسلام بغلق الآفاق أمام كل ضلال، وشحذ الهمم نحو نوافذ الخير، وقد أسهبت كثيراً في ضبط وتقويم المعاملات بين النَّاس، على قاعدة لا ضرر ولا ضرار، ولذلك جاء الأمر الرَّباني بتوثيق العقود والعهود، لضمان حقوق العباد، ويسير المجتمع في نظام محكم، يعرف كل فرد فيه ماله، وما عليه، ليسود السِّلم الاجتماعي، الذي يُعد اللبنة الأولى لنهضة الأمَّة، وصمام قوتها، ولينعكس هذا النظم على جميع جوانب الحياة، لتسمو الأمَّة صوب أستاذية العالم.

المطلب الثاني: حماية حقوق الضعفاء.

قال تعالى: ﴿ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ... ﴾(البقرة:٢٨٢).

أولاً: المعاني اللُّغوية:

﴿ **سَفِيهًا** ﴾ ضَعِيف الْعقل ولا يُحسن التصرف في المال[٥].

---

[١] التفسير المُنير: الزحيلي، ج٣، ص١١٨.

[٢] انظر: المرجع السابق، ج٣، ص١١٩.

[٣] بيع السَلَم: بيع شيء موصوف في الذمة، يتقدم فيه رأس المال، ويتأخر المثمن لأجل؛ الفقه الإسلامي وأدلته، الزحيلي، ج٥، ص٣٦٠٣.

[٤] صحيح البخاري: ك- السَلَم، ب- السَلَم في وزن معلوم، ج٣، ص٨٥، ح٢٢٤٠.

[٥] انظر: ياقوتة الصراط، الباوَرْدي، ص١٨٣، التفسير المنهجي، فضل عباس،ج١، ص٢٢١.

ثانياً: المناسبة:

بعدما بين أنَّ الإملاء يكون من الطرف الأضعف هو المَدين، ناسب أن يُراعي الأحوال التي قد يكون عليها وتُعجزه عن الإملاء، أو لا يُحسن التصرف فيكون غير مبالٍ بما يقول.

ثالثاً: المعنى العام:

فإن عجز المدين عن الإملاء بأن كان "ناقص العقل مبذراً، أو كان صبياً، أو شيخاً هرماً أي لا يستطيع الإملاء بنفسه لعيٍّ أو خرسٍ، أو عُجْمة فليملل قيِّمه، أو وكيله بالعدل من غير نقصٍ أو زيادة"[١].

رابعاً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- اشتراط تحقق العدالة في الولي، وذلك باختيار "ذي الصِّلة بمن عليه الحقِّ الذي يُهمه أمره، وألا يَضيع حقه، سواء أكان النَّصير ولياً بالمعنى الشرعي، أو قيماً أقامه القاضي المختص، أم كان وكيلاً أقامه صاحب الشَّأن معبرًا عن إرادته، مصورًا لما يعتزم عليه"[٢].

٢- الإشارة لجواز الإنابة والوكالة في المعاملات المالية[٣] لقوله تعالى:﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ﴾.

٣- بيان الأحوال التي تعتري الإنسان فتؤدي إلى نقص أهليته، وتحول بينه وبين إجراء المعاملات المالية، متمثلةً بالضعف العقلي الباعث على إساءة التَّصرف في إدارة الأمور المالية، والضَّعف الجسدي كالعمى، والخرس، والمرض الذي يُعيق العقل عن الوصول للحقائق[٤].

إنَّ مثالية النظام الإسلامي، تتمثل في واقعيته وانسجامه مع الفطرة، فكما خلق الله ﷻ النَّاس متفاوتين في القُدرات والمُقدَّرات، أنزل منهجاً يُراعي هذه الفروق، ويَجبُر نقاط الضَّعف، ليحولها لمصادر قوة، فهو لم يهضم حقوق الضُّعفاء، وحدَّ حدوداً للأقوياء، لتتظافر الجهود، وتتكامل الأعمال، وليحتبك نسيج الأمَّة، فتعلو على سائر الأمم، ولتنتشر أطياف الإيمان في ربوع الكون.

---

[١] صفوة التفاسير: الصَّابوني، ج١، ص١٦١.

[٢] زهرة التفاسير: أبو زهرة، ج٢، ص١٠٧٠.

[٣] أيسر التَّفاسير: الجزائري، ج١، ص٢٧٥.

[٤] انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج٣، ص١٠٩.

المطلب الثالث: قطع الرَّيبة بتعيين شاهدين.

قال تعالى: ﴿ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ... ﴾(البقرة:٢٨٢).

أولاً: المعاني اللُّغوية:

﴿ **تَسْأَمُوا** ﴾ تملُوا أو تضجروا[١].

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- الجناس[٢]: في قوله تعالى:﴿ **وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ** ﴾.

٢- الطباق[٣]: في قوله تعالى:﴿ **صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا** ﴾ وقوله تعالى:﴿ **أَن تَضِلَّ** ﴾ و﴿ **فَتُذَكِّرَ** ﴾.

٣- المجاز: في قوله تعالى: ﴿ **صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا** ﴾ والمراد حقيراً أو جليلاً[٤].

ثالثاً: المناسبة:

لمَّا أمر الله ﷻ عباده المؤمنين بتوثيق الديون بينهم بالكتابة، ناسب أن يزيد التوثيق بأمره بإحضار شاهدين مسلمين عدلين، حتى لا يدع مجالاً للرَّيب بين المتعاقدين[٥].

رابعاً: المعنى العام:

يخاطب الله ﷻ طرفي عقد الدَّين أن يطلبوا شهادة رجلين مؤمنين عادلين على ما تعاقدوا عليه؛ لأنَّ الإشهاد يزيد من توثيق المعاملات، فإذا لم تتمكنوا من إحضار رجلين للشهادة، فيصح أن تُحضروا رجُلاً وامرأتين ممن ترضون شهادتهما تقومان مقام الرجل في الشهادة، والعلة في إحضار اثنتين أنَّ النِّساء بطبعهنَّ ضعاف ولا ينشغلن في مجال المُعاملات، وذاكرتهن آيلة للنسيان، فإذا نسيت إحداهما ذكرتها الأخرى، ولا ينبغي للشُّهود الامتناع عن الشَّهادة إذا دعوا اليها، حتى يؤدوها عند الحاجة إليها، ولا تملوا وتتقاعسوا عن كتابة الديون كبرت أم صغرت؛ لأنَّ الكتابة

---

[١] انظر: البحر المحيط، أبو حيّان، ج٢، ص٧٢١.

[٢] التفسير المنير: الزحيلي، ج٣، ص١٠٥.

[٣] صفوة التفاسير: الصابوني، ج١، ص١٦٢.

[٤] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣، ص١١٤.

[٥] انظر: نظم الدُرر، البقاعي، ج٤، ص١٥٣.

أدعى إلى حفظ الحقوق وعدم التنازع، وهذا ما شرَّعه الله ﷻ لكم، وهو الأعلم بما فيه الصلاح لكم، حتى لا يختلج في صدوركم الشك[1].

خامساً: القراءات:

﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ في قراءتها ثلاثة أوجه[2]:

١- قرأ حمزة بكسر همزة ﴿**إِنْ**﴾ على وجه الشرط، وتشديد الكاف وضم الراء﴿ **فَتُذَكِّرُ**﴾ ويكون المعنى: حتى إن ضلت إحداهما ذكرتها الأخرى، وتشديد الكاف يدل على الكثرة.

٢- قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب بفتح همزة ﴿**أَنْ**﴾ وتسكين الذال وتخفيف الكاف ﴿**فَتُذْكِرَ**﴾.

٣- قرأ الجمهور بفتح همزة ﴿**أَنْ**﴾ وتشديد الكاف وفتح الراء﴿ **فَتُذَكِّرَ**﴾.

وقراءة الجمهور بخُلف عن حمزة، أفادت بيان العلة في اتخاذ شاهدتين، والمعنى: خشية أنْ تَضلَّ إحداهما فتُذكرُها الأخرى، حيث إنَّ النِّساء بفطرتهنَّ يضعفنَ، وقد يتراجعن في هذه المواقف فحدد شاهدتين لتتعاضد شهادتهن فترتقي لشهادة الرَّجل الواحد، ليضمن الحقوق لأصحابها.

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- اشتراط أن يكون الشاهد مسلماً لقوله تعالى: ﴿مِن رِّجَالِكُمْ﴾ فلا تصح شهادة غير المُسلم، ولمَّا كانت الآية استفتحت بخطاب المؤمنين، دلت على وجوب تحقق الإيمان في الشَّاهدين[3].

٢- دفع الضرر وجلب الاستقرار النفسي للمتعاملين ولأفراد المجتمع، لأنَّ ضمان الحق بالكتابة والشهود يشعر النفس بالطمأنينة عليه، فلا تنشغل بعواقب هذا العقد، وتسعى للكسب والعمل، أما إن لم يُوثق الدَّين وظهر للدائن غدر المدين، فإنَّ ذلك سيؤدي للنزاع بينهما، وسينعكس على البيئة المحيطة بهما[4].

٣- وضع ضوابط لقبول الشَّهادة، فليس كل من تقدم للشهادة تقبل شهادته، وأشار لذلك بقوله: ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾ أي ممن يتقبل أهل الإيمان شهادته بأن يكون "حُرّاً بالغاً، مسلماً عدلاً، عالماً بما شهد به؛ ولا يجر بتلك الشَّهادة منفعة إلى نفسه، ولا يدفع بها مضرَّة عن نفسه، ولا يكون معروفاً بكثرة الغلطِ، ولا بترك المُروءةِ، ولا يكُونُ بينه وبين من يشهد عليه عداوة"[5].

---

[1] انظر: التفسير المنهجي، فضل عباس، ج١، ص٢٢٣.

[2] انظر: معاني القراءات، الأزهري، ج١، ص٢٣٥، تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر، الملّاحي، ج١، ص٢٥٢، أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن، المنيراوي، ج١، ص١٤٦.

[3] انظر: نظم الدُرر، البقاعي، ج٤، ص١٥٣.

[4] انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ج٧، ص٩٧.

[5] اللباب في علوم الكتاب: ابن عادل، ج٤، ص٤٨٩.

٤- بيان الحكمة من أمر الله ﷻ عباده بكتابة الدَّين، والإشهاد عليه بقوله تعالى: ﴿وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ﴾ حتى لا يختلج في صدور أحد المتعاقدين الشّك وتترسب في نفسه الضغائن والأحقاد[١].

٥- التَّوكيد بأنَّ المرأة أقدر على إقناع المرأة والتأثير عليها من الرَّجل[٢].

٦- إظهار الحكمة الإلهية في تفضيل الرِّجال على النِّساء، فالرَّجل أرجح عقلاً وأقدر على ضبط انفعالاته، بينما المرأة يغلب عليها الجانب العاطفي، "لأنَّ وظيفة الأمومة العضوية البيولوجية تستدعي مقابلاً نفسياً في المرأة وأن تكون المرأة شديدة الاستجابة الوجدانية الانفعالية، بينما الشهادة على التعاقد في مثل هذه المعاملات في حاجة إلى تجرد كبير من الانفعال، ووقوف عند الوقائع بلا تأثر ولا إيحاء"[٣].

٧- بيان أنَّ شهادة المرأتين المسلمتين العادلتين، تسدُّ محل شهادة الرَّجل الواحد فقط، ولا بدَّ من وجود رجل في الشهادة، فلا يصح شهادة أربع نساء بدل الرجلين[٤].

٨- تأكيد وجوب الاستجابة للشهادة في حق من دعي إليها، والإقرار بها عند الحاجة إليها لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾(البقرة:٢٨٣)؛ لأنَّ "بالشهادة العادلة تتضح الحقوق ويُمنع الظلم والجور"[٥].

٩- ترسيخ مبدأ "كتابة الديون والعزم على ذلك، ولو كان الدين صغيراً تافهاً"[٦] لما فيه من غلق لأبواب النزاع، وحفظاً للحقوق.

١٠- زيادة الاحتياط بتعيين شاهدين، لاستبعاد تواطئهما على الزور؛ لأنَّ شهادة الواحد فيها مظنة خضوعه للظالم، وتحريفه للشهادة[٧].

١١- التيسير على العباد في المعاملات المالية، حيث أوجد بديلاً للشاهدين إن تعذر إحضار رجلين، بالاكتفاء برجل واستقدام امرأتين فيهما صفات الصَّلاح حيث يقول تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ﴾.

---

[١] انظر: التفسير المنهجي، فضل عباس، ج١، ص٢٢٣.

[٢] انظر: الأساس في التفسير، سعيد حوى، ج١، ص٦٥٨.

[٣] في ظلال القرآن: سيد قطب، ج١، ص٣٣٦.

[٤] انظر: فتح القدير، الشوكاني، ج١، ص٣٤٦.

[٥] التفسير الواضح: الحجازي، ج١، ص١٩٧.

[٦] أيسر التَّفاسير: الجزائري، ج١، ص٢٧٥.

[٧] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣، ص١٠٨.

إنَّ الأخذ بالأسباب حتمٌ لازمٌ لكل منتسب لشريعة الإسلام، والحيطة والحذر المرتكز الأول لذلك، فوجب على كل عبد أن يضع صوب عينيه ذلك عند قيامه بأي عمل، وإجراء أي معاملة، وأن يدرك بأنه وحده من يتحمل نتائج هذا العمل، لذلك جاءت الشهادة على العقود والمواثيق لترفع منسوب الثقة، ولتحدَّ من ثغرات الخداع، فتنشر الطمأنينة في نفوس المتعاقدين، مما ينعكس على الروابط الاجتماعية بين أفراد الأمَّة، ويشعر كل واحد منهم بمسئوليته تجاه نفسه، وإخوانه، ودينه، ولتتعاضد جهود الأفراد لتنهض بالأمَّة.

المطلب الرابع: رفع الحرج عن توثيق المعاملات المتداولة.

قال تعالى: ﴿... إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَاۗ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌۚ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(البقرة:٢٨٢).

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿تُدِيرُونَهَا﴾ "تَتَعَاطَوْنَهَا يَدًا بِيَدٍ"[١].

﴿ يُضَآرَّ ﴾ ضد النَّفع، والمُراد انقاص شيء من حقه[٢].

﴿ فُسُوقٌ﴾ فسق: تطلق على الرُّطَبَةُ إذا خَرَجَتْ عَنْ قِشْرتهَا، والمراد: الخروج عن الصواب[٣].

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- تكرار لفظ الجلالة "لإدخال الروعة وتربية المهابة في النُّفوس"[٤].

٢- الجناس[٥]: في قوله تعالى:﴿**ويُعَلِّمُكُمُ**﴾ وقوله:﴿**عَلِيمٌ**﴾.

ثالثاً: المناسبة:

بعدما أمر الله ﷻ عباده بتوثيق الحقوق المالية بينهم بالكتابة والإشهاد، ناسب أن يرفع الحرج عنهم فيما يشُق عليهم من كتابة البيوع المتداولة؛ لكثرتها وتحقق الهدف الذي أراده الله ﷻ من الكتابة، وكما بين ما يجب على الكُتَّاب والشُهود، من العدل وعدم الإعراض عن الكتابة والشَّهادة، ناسب أن يبين ما حقهم في الحماية والرعاية ليوازن بين الحقوق والواجبات[٦].

---

[١] فتح القدير: الشوكاني، ج١، ص٣٤٧.

[٢] انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج٤، ص٤٨٢.

[٣] انظر: مختار الصحاح، الرازي، ج١، ص٢٣٩.

[٤] صفوة التفاسير: الصابوني، ج١، ص١٦٢.

[٥] التفسير المنير: الزحيلي، ج٣، ص١٠٤.

[٦] انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص٣٣٧.

رابعاً: المعنى العام:

بعدما أمر الله ﷻ عباده بتوثيق الدُّيون والمعاملات المالية، بينهم استثنى من ذلك البيع والشِّراء المتداول لأنَّ فيه أخذ السِّلعة ودفع ثمنها في الحال، فانتفت الحاجة للكتابة، ولكن يُستحب الإشهاد منعاً للنِّزاع، ولا يحق للمتعاقدين إلحاق الضَّرر بالكاتب أو الشُّهود، ثم يحذر الله ﷻ عباده أن يفعلوا ما نهاهم عنه، وأن يخرجوا عن طاعته حتى لا يُحل عليهم عذابه، ويأمرهم بالتزام التَّقوى والخوف من الله ﷻ حتى ينجوا من المهالك، ويُعلمهم الله ﷻ ما يُصلح دنياهم وآخرتهم، والله ﷻ لا يَخفى عليه شيء من أمور العباد، وسيجازيهم على كل أفعالهم[١].

خامساً: القراءات:

١- في قوله تعالى: ﴿**تِجَارَةً حَاضِرَةً**﴾ قرأ عاصم بالنَّصب، وقرأ الجمهور على الرفع ﴿**تِجَارَةٌ حَاضِرَةٌ**﴾ ولا اختلاف في المعنى بين القراءتين[٢]، وإنَّما الاختلاف في الإعراب على وجهين:

أ- اعتبار (تكون) ناقصة والتقدير: أن تكون المعاملةُ تجارةً حاضرةً.

ب-اعتبار (تكون) تامة والتقدير: أن تقع تجارةٌ حاضرةٌ[٣].

٢- في قوله تعالى: ﴿**يُضَارَّ**﴾ قرأ أبو جعفر بتسكين الراء ﴿**يُضَارْ**﴾ وقرأ الجمهور وأبو جعفر بخُلفه بتشديد الراء[٤]، وقراءة التشديد تحتمل وجهين[٥]:

أ- أن يكون أصله (يُضَارِرْ)، بكسر الرَّاء الأولى، فيكون الكاتب والشهيد هما الفاعلان للضِّرار، وقد "نُهِيا عن مُضَارَّةِ المكتوبِ له والمشهودِ له، نُهِيَ الكاتبُ عن زيادةِ حرفٍ يُبْطل به حقاً أو نقصانِه، ونُهِيَ الشاهدُ عن كتمِ الشهادةِ"[٦].

ب- أن يكون أصله (يُضَارَرْ) بفتح الراء الأولى، فيكون الكاتب والشَّهيد مفعول بهما الضَرَر بإجبارهم على الكتابة والشَّهادة ونحوه.

---

[١] انظر: التفسير الميسَّر، نخبة من أساتذة التفسير، ص٤٨.

[٢] انظر: معاني القراءات، الأزهري، ج١، ص٢٣٤.

[٣] انظر: تفسير القرآن بالقراءات العشر، المَّلاحي، ج١، ص٢٥٥.

[٤] المُيسِّر في القراءات العشر: محمد خاروف، ج١، ص٤٨.

[٥] انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ج٧، ص٩٩.

[٦] الدُر المصون: السَّمين الحلبي، ج٢، ص٦٧٥.

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- استثناء البيع المتداول من الكتابة والشَّهادة، حيث يقول تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾ "وفي ذلك إشارة إلى فورية التَّسليم والقبض، وتبادل البضاعة وثمنها بين البائع والمشترى"[١]، وقد شُرِّعت الكتابة لضمان الحقوق، وتحقق ذلك بالتَّقابض.

٢- تشجيع المسلمين على الكتابة والإشهاد، بحفظ حقوق القائمين عليها، وترتُّب الأجر والثواب على إقامة العدل فيها[٢].

٣- رفع الضَّرر عن طرفي التَّوثيق، والحفاظ على مصالحهما "ولذلك أخذت القوانين الوضعية من القرآن الكريم هذا المبدأ، فهي إن استدعت شاهدا من مكان ليشهد في قضية فإنّها تقوم له بالنفقة ذهابا وبالنفقة إيابا، وإن اقتضى الأمر أن يبيت فله حق المبيت، وذلك حتى لا يضار، وهو يؤدي الشَّهادة، وحتى لا يتعطل الشَّاهد عن عمله، أو يصرف من جيبه"[٣].

٤- ردع كل من يسعى لأكل حقوق الآخرين، بنعته بالفسق، حتى يمتنع عن الوسائل المؤدية لذلك؛ كإكراه الكاتب أن يكتب ما فيه تحريف لبعض الوقائع، والتَّلاعب بالألفاظ لمخادعة الطرف الآخر، وكإجبار أحد الشُّهود على الامتناع عن الشَّهادة أو تغيير أقواله من خلال ترغيبه بمنفعة أو ترهيبه من مغرم[٤].

٥- بيان أنَّ الإشهاد "ينبغي أن يكون حين التبايع؛ بمعنى أنه لا يتقدم، ولا يتأخر، لقوله تعالى: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾؛ لأنَّ العقد لم يتم إذا كان الإشهاد قبله، وإذا كان بعده فربَّما يكون المبيع قد تغيَّر"[٥].

٦- أمر العباد بتقوى الله ﷻ لأن فيها ملاك الخير كله، وعصمةً للنَّفس من الوقوع في الظُّلم وأكل أموال النَّاس بالباطل، وإقامةً للعدل بين الخلق.

٧- رفع الحرج والمشقَّة عن التُّجار بعدم إلزامهم بكتابة ما يديرونه بينهم من البيع والشِّراء، لكثرته فلو أمرهم بالكتابة لشقَّ عليهم، ولتحقق الهدف من الكتابة بدونها[٦].

٨- توجيه ولاة أمور المسلمين لتعيين كتَّاب وشهود عُدول موثوقين بين النَّاس، متفرغين لتوثيق الحقوق وإنجاز المعاملات للحدِّ من بواعث النِّزاع بين أفراد الأمَّة[٧].

---

[١] التَّفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب، ج٢، ص٣٨٣.

[٢] انظر: التَّفسير المنهجي، فضل عباس، ج١، ص٢٢٤.

[٣] تفسير الشَّعراوي: ج٢، ص١٢١٨.

[٤] انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج٣، ص١١٣.

[٥] تفسير العثيمين: ج٣، ص٤٢٠.

[٦] انظر: التفسير المنهجي، فضل عباس، ج١، ص٢٢٤.

[٧] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٣، ص٣٩٨.

٩- دعوة العباد لتقوى الله ﷻ وتذكيرهم بأنه "المتفضِّل عليهم، وهو الذي يُعلِّمهم ويرشدهم، وأنَّ تقواه تفتح قلوبهم للمعرفة وتهيئ أرواحهم للتعليم، ليقوموا بحق هذا الإنعام بالطاعة والإذعان"[١].

١٠- إثبات أنَّ الأصل في الإنسان الجهل، والله ﷻ امتنَّ عليه بتعليمه ما يحتاج إليه من علمه الواسع ودلَّ على ذلك قوله تعالى:﴿وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ والمراد: "يعلمكم ما يكون إرشاداً، أو احتياطاً في أمر الدُّنيا، كما يعلِّمكم ما يكون إرشاداً في أمر الدِّين"[٢] وإنَّ علم الإنسان يتحقق بعد جهله بما اكتسبه، بدليل قوله تعالى:﴿ وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴾(النَّحل:٧٨).

١١- الإشارة لضرورة تقييد العلم بالكتابة؛ليستفيد منه العبد عند نسيانه، ولتنعم به الأجيال التالية، فالكثير من العلوم قد اندثرت لعدم كتابتها، وما زلنا ننتفع بما كتبه العلماء السَّابقون[٣].

١٢- وعْد العباد الذين اتقوا ربهم بأن يجعل الله ﷻ في قلوبهم نوراً يفهمون به ما يُلقى إليهم من العلوم، ويميزون به بين الحق والباطل[٤]، وإعمال عقولهم على أكمل وجه ليحفظوا ما تعلموا، وإمدادهم بالطاقة ليعملوا بما فهموا، والتحذير من معصية الله ﷻ لإطفائها نور العلم والمعرفة، وأشار لذلك الإمام الشافعي في ديوانه حيث يقول:

شَكَوْتُ إِلَى وَكِيعٍ سُـوءَ حِفْظِي *** فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي

وَقَـالَ اعْلَـمْ بِأَنَّ الْعِلْـمَ فَضْـلٌ *** وَفَضْـلُ اللَّهِ لَا يُؤْتَاهُ عَاصِـي[٥]

مما لا شك فيه أنَّ الثِّقة بين أفراد الأمَّة هي الرَّكيزة الأولى لقيام العلاقات والمعاملات بينهم، وعندما أمر الله ﷻ بكتابة الدَّين والإشهاد عليه أراد زيادة الثقة لا الطَّعن فيها، لأنَّ الإنسان معرضٌ لآفة النَّسيان، فإذا لم تُكتب المعاملة وحدث قصورٌ في أحد جوانبها نتيجة نسيان تفاصيل ما اتُّفق عليه، أدَّى ذلك لحدوث النِّزاع، وضياع الثِّقة بين المتعاقدين، وكذلك لو كان نفرٌ قليلٌ ذو ذمةٍ واسعةٍ، واعتادوا الاحتيال على النَّاس، ولم تكن هناك كتابة للعقود، لتوقَّفت المعاملات بين النَّاس خشية ضياع الحقوق، ولذلك كانت الكتابة حمايةً للحقوق، وبناءً للثِّقة، وفي ذلك ضمانٌ لدوران الحياة، وتطوُّرها، وواجب كل فرد الاستجابة لهذا النداء؛ ليكون سبباً لنهضة المجتمع، وارتقاء الأمَّة.

---

[١] في ظلال القرآن: سيد قطب، ج١، ص٣٣٧.

[٢] اللباب في علوم الكتاب: ابن عادل، ج٤، ٥٠٦.

[٣] انظر: روض الأخيار، الأماسي، ص٤٦.

[٤] انظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ج٣، ص٤٠٦.

[٥] ديوان الشَّافعي، محمد بن إدريس، قافية الصاد، ص٧٠.

المطلب الخامس: بيان مشروعية الرَّهن.

قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا۟ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ۖ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾(البقرة:٢٨٣).

أولاً: المعاني اللُّغوية:

﴿ رِهَانٌ﴾ جمع رهن، وهو سلعةٌ يقارب ثمنها قدر الدَّين، تُدفع للدَّائن توثيقاً للدَّين حتى سداده[١].

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- الاستعارة: في قوله تعالى:﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ حيث "شبَّه تمكنهم من السَّفر بتمكن الراكب من مركوبه"[٢].

٢- المبالغة في التحذير "بالجمع بين لفظ الجلالة والوصف بالربوبية"[٣] في قوله تعالى: ﴿وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾.

ثالثاً: المناسبة:

بعدما أمر الله ﷻ عباده بتوثيق الدَّين بكتابته، وشهادة رجلين من المسلمين العدول، ثمَّ يسَّر على المُتعاقدين عند العجز عن إيجاد رجلين، ببيان جواز شهادة رجلٍ وامرأتين، ناسب أن يُيَسرَ على العباد في حال السَّفر وعدم التَّمكن من الكتابة والإشهاد؛ بوضع رهينةٍ من مال المَدِين في يد الدَّائن حتى وقت السَّداد[٤].

رابعاً: المعنى العام:

يبين الله ﷻ لعباده كيفية توثيق ديونهم حال السَّفر، وعند عدم التمكن من الكتابة، من خلال ضمان الدَّين برهنٍ يأخذه الدَّائن من المدين، "وإذا أودع أحدكم عند آخر وديعة تكون أمانة عنده، وقد اعتمد على أمانته، فليؤد المُؤتَمَن الأمانة عند طلبها، وليتق عقوبة الله ﷻ له إن خان الأمانة، أو غشَّ في الشَّهادة، ولا تكتموا الشَّهادة عند طلبها، ومن يكتُمها فهو آثمٌ خبيثُ القلب، والله ﷻ بما تعملون عليم، سيجزيكم عليه بحسب ما تستحقون"[٥].

---

[١] انظر: المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ص٣٦٨، صفوة التفاسير، الصابوني، ج١، ص١٦٠.

[٢] الجدول في إعراب القرآن: صافي، ج٣، ص٩٥.

[٣] التفسير المنير: الزحيلي، ج٣، ص١٠٥.

[٤] انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج١، ص٢٧٧.

[٥] المنتخب في تفسير القرآن: لجنة من علماء الأزهر، ص٦٨.

خامساً: وجوه الإعراب:

في إعراب ﴿ آثِمٌ ﴾ أربعة أوجه[١]:

١- خبر إنَّ، ويكون المعنى أنَّ الله ﷻ يُخبر عمن يكتم الشَّهادة بأنه آثم.

٢- مبتدأ وعلى ذلك يكون (قلبه) فاعل وسدَّ مسدَّ خبر المبتدأ، وجملة (آثم قلبه) في محل رفع خبر إنَّ والمعنى: أنَّ من يكتم الشهادة يأثم قلبه.

٣- خبر مقدَّم للمبتدأ المؤخَّر (قلبه) والتَّقدير (قلبه آثم) وقدَّم القلب لأنه أهم أعضاء الجسم.

٤- قلبه بدل من آثم، وفيه بيان لتخصيص لمحل الإثم وهو القلب.

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- بيان مشروعية الرَّهن[٢] ودلَّ على ذلك الأمر به في قوله تعالى:﴿ فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ وكما أنَّ النبي ﷺ تعامل به حيث جاء عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها **(أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اشْتَرَى طَعَامًا مِنْ يَهُودِيٍّ إِلَى أَجَلٍ، فَرَهَنَهُ دِرْعَهُ)**[٣].

٢- حفظ حق الدَّائن، وذلك بأن "يُقدّم المَدِين ليد الدَّائن رهناً يضمن دينه، وبذلك لا يكون هناك سبيلٌ للمدين أن يُماطل أو يُنكر، فإن ماطل أو أنكر كان في يد الدائن ما يفي بدينه، وهو الرَّهن المقبوض"[٤].

٣- النَّهي عن كتمان الشَّهادة، وبيان أنَّها من الكبائر لترتب العقوبة الخاصَّة بها في قوله تعالى:﴿ فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾ومن أثم قلبه فسدت جوارحه، وقادته أعماله للهلاك في الدَّارين[٥].

٤- التَّحذير من خيانة الأمانة، ونقضان العهد بعدم الوفاء بالدَّين من المَدِين في حال بادره الدَّائن بالائتمان على ماله دون ارتهان[٦].

٥- الإشارة لوجوب الحفاظ على المرهون وعدم استخدامه أو اتلافه؛ لأنه في مقام أمانة وجب الحفاظ عليها لقوله تعالى:﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ﴾ فالمُرتَهِن مُلزم بالحفاظ على المرهُون لأنَّ "مصلحته أنْ يبقى الرَّهن سالماً كي يستوفي حقه منه إذا تعذّر على الراهن وفاء الدَّيْن، ولذا كان حفظه عليه ومن واجبه لأنه من مصلحته،

---

[١] انظر: أثر اختلاف الإعراب في التفسير، المنيراوي، ج١، ص١٤١.

[٢] الرهن: جعل عين مَال وَثِيقَة بدين يَسْتَوْفِي مِنْهَا عِنْد تعذر اسْتِيفَائه مِمَّن عَلَيْهِ، تحرير ألفاظ التنبيه، النووي، ص١٩٣.

[٣] صحيح البخاري: ك- البيوع، ب- شراء الطعام إلى أجل، ج٣، ص٧٧، ح٢٢٠٠.

[٤] التفسير القرآني للقرآن: الخطيب، ج٢، ص٣٨٥.

[٥] انظر: تفسير العثيمين، ج٣، ص٤٣١.

[٦] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣، ص١٢٢.

ولأنه تحت يده ورعايته، وكَلَ مَن كانت له يد على شئ كان عليه حفظه ورعايته، وعليه أن يحفظه بنفسه حسب العُرف والعادة، لأنه هو العاقد الملتزم بالحفظ بمقتضى العقد"[١].

٦- حرص الشارع على "قضاء المصالح وتوفير الحاجات بشكل يخلو من الغش والخديعة والتضليل"[٢].

٧- استجاشة "ضمائر المؤمنين للأمانة والوفاء بدافع من تقوى الله ﷻ، فهذا هو الضمان الأخير لتنفيذ التشريع كله، ولرد الأموال والرهائن إلى أصحابها، والمحافظة الكاملة عليها"[٣].

٨- بيان جواز الرَّهن في السَّفر والحضر؛ لأنَّ "تعليقه هنا على حال السَّفر ليس تعليقاً بمعنى التَّقييد بل هو تعليقٌ بمعنى الفرض والتقدير، إذا لم يوجد الشَّاهد في السَّفر، فلا مفهوم للشرط لوروده مورد بيان حالة خاصة، لا للاحتراز، ولا تعتبر مفاهيم القيود إلا إذا سيقت مساق الاحتراز"[٤] وعلى ذلك لو رهن المدين متاعاً في أيدي الدَّائن في الحضر صح عقد الدين.

٩- قذف المهابة من الله ﷻ في روع السَّامع، وأشار لذلك بقوله تعالى:﴿ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ﴾ حيث جمع بين لفظ الجلالة والوصف بالربوبية؛ ليردع كل نفسٍ تفكر في خيانة الأمانة التي أمر الله ﷻ بأدائها[٥].

١٠- إظهار الإعجاز القرآني في صياغة الآيات، والإيحاء، والتَّوجيه، "فالغرض الدَّقيق يُحرِّفه لفظاً واحداً، ولا ينوب فيه لفظٌ عن لفظٍ، ولولا الإعجاز لما تحققت الدِّقة التَّشريعية المُطْلَقة، والجمال الفنِّي المُطلق على هذا النَّحو الفريد"[٦].

بعدما نهى الله ﷻ عن الرِّبا، وأمر بالتَّيسير على المُعسرين، فأباح الدَّين، وأمر بكتابته والإشهاد عليه حفظاً للحقوق، وبناء للثِّقة بين المُتعاقدين، أجاز الرَّهن وحدَّد ضوابطه، ليكون البديل للمكاتبة في حال تعذرها، وبذلك يُغلق المجال أمام أيِّ ثغرةٍ قد تؤدي للنِّزاع وضياع الحقوق، وبذلك يتضح حرص النِّظام الإسلامي على استمرار المعاملات المالية ونضجها بما يضمن حقوق المتعاملين، ويَفي بحاجات الفرد والمجتمع، دون إلحاق الضَّرر بأحدٍ، وبهذا النِّظام الاقتصادي القائم على التَّكافل، تُحصِّن الأمَّة أبناءها من الوقوع ضحيةً الابتزاز المالي من قبل الأعداء، حتى لا يكونوا عوناً لهم على هدمها.

---

[١] الفقه المنهجي: مُصطفى الخِنْ، مُصطفى البُغا، علي الشّرْبجي، ج٧، ص١٢٥.

[٢] بناء المجتمع الإسلامي: نبيل السمالوطي، ص٢٣٤.

[٣] في ظلال القرآن: سيد قطب، ج١، ص٣٣٧.

[٤] التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج٣، ص١٢١.

[٥] انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج٣، ص١٠٥.

[٦] الأساس في التفسير: سعيد حوَّى، ج١، ص٦٦٤.

المبحث الثاني: بيان التصوُّر الإيماني لأفراد الأمَّة المستحقَّة للخلافة.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تنمية الرَّقابة الوجدانية الضامن الأسمى للمعاملات الإسلامية.

المطلب الثاني: ربط الإيمان بالله ﷻ ورسله عليهم الصلاة والسلام بالالتزام التَّام بأوامره.

المطلب الثالث: حث النفس على بذل كل طاقة لإظهار دين الله ﷻ.

المطلب الرابع: طلب العون من الله ﷻ على تطبيق شريعته.

المطلب الأول: تنمية الرقابة الوجدانية الضامن الأسمى للمعاملات الإسلامية.

قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾(البقرة: ٢٨٤).

أولاً: المعاني اللُّغوية:

﴿ **تُبْدُوا** ﴾ "تُظهروا"[١].

ثانياً: وجوه البلاغة:

الطباق[٢]: في قوله تعالى:﴿ **تُبْدُواْ**﴾ و ﴿ **تُخْفُوهُ**﴾ وقوله تعالى:﴿ **فَيَغْفِرُ**﴾ و ﴿ **وَيُعَذِّبُ**﴾.

ثالثاً: المناسبة:

بعدما قدَّم في الآيات السَّابقة الكثير من الأحكام المتعلِّقة بأفعال العباد، وبين عِلمه تعالى بها، ناسَب أنْ يُدلِّل على ذلك بما تقتضيه البراهين العقلية، فبين أنَّ له ما في السَّموات والأرض، وهو وحده خالقها ومكونها ومبدع ما فيها، وذلك يقتضي علمه بكل دقائقها وإحاطته بكل جزئياتها[٣].

رابعاً: المعنى العام:

يخاطب الله ﷻ عباده بما يوقظ وجدانهم ويحيي ضمائرهم، فيخبرهم بملكه للسموات والأرض وما فيهما، وعلمه بما تظهره جوارحهم، وما تُكنه صدورهم، وأنَّه مجازيهم على ذلك إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وكل ذلك خاضعٌ لمشيئة الله ﷻ وقدرته[٤].

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- إثبات ملكيَّة جميع ما في الكون لله ﷻ، وأنَّ ما وهبه الله ﷻ للإنسان من ملكيَّةٍ فهو لم يعطها إيَّاهم "إلا عَرَضَاً يؤخذ منهم، فإما أنْ يزولوا عنه فيموتوا، وإما أنْ يزولَ عنهم فيؤخذ منهم عن بيع أو هبة أو غصب أو نهب"[٥].

---

[١] البحر المحيط: أبو حيَّان، ج٢، ص٦٨٨.

[٢] صفوة التفاسير: الصابوني، ج١، ١٦٤.

[٣] انظر: مفاتيح الغيب: الرازي، ج٧، ص١٠٣.

[٤] انظر: التفسير الواضح، الحجازي، ج١، ص٢٠٠.

[٥] تفسير الشَّعراوي: ج٢، ص١٢٣١.

٢- إثبات عجز الإنسان أمام قدرة الله ﷻ، فمهما "ظنَّ الإنسان بقوَّته وقدرته، فتراه مبهوتاً عاجزاً مشدوهاً أمام المخلوقات الكونيَّة العُظمى، لا يستطيع الإحاطة بها، أو إيجاد مثلها، أو التَّأثير فيها إيجاداً وإعداماً، أو تغييراً وتبديلاً لمسيرتها وحركتها"[١].

٣- قرع قلوب الطُّغاة والمتجبِّرين بتذكريهم بحتميَّة زوال مُلكهم وسُلطانهم، ووقوفهم أمام الله ﷻ ومحاسبتهم على ما اقترفت أيديهم، وأَلِفَته قلوبهم[٢].

٤- بيان "محاسبة العبد على ما "يخفي في نفسه من الشَّك، والشِّرك، والنِّفاق، وغير ذلك من بغض أولياء الله ﷻ وحب لأعدائه، ومؤاخذته بذلك"[٣].

٥- مطالبة العباد "باستدامة المراقبة، واستصحاب المحاسبة، لئلا يغفلوا عن حفظ حركات الظاهر، وضبط خطرات الباطن"[٤].

٦- رفع الحرج عمَّا يجول في خاطر العبد من وساوس، وحديث النَّفس مالم يصل لدرجة العزم[٥] والإصرار على الفعل، ودلَّ على ذلك ما رواه أبو هريرة ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال: **(إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ، أَوْ تَكَلَّمْ بِهِ)**[٦].

٧- التَّحذير من كتمان الشهادة ببيان اطِّلاع الله ﷻ على ما في نُفوس العباد ومحاسبته لهم[٧].

٨- "تقويم الإنسان لنفسه وجوارحه لتتم العبادة بالشكل السَّليم والصَّحيح، ومن أجل تحقيق المهمة التَّعبدية التي أنيطت بالمسلم في حياته"[٨].

٩- إثبات الحساب يوم القيامة، وفي ذلك رد على من أنكره كالمعتزلة والروافض[٩].

١٠- تصحيح تصور الإنسان تجاه خالقه والكون الذي يحيى فيه، وذلك باليقين أنَّ الله ﷻ واضع قوانين الكون، وأنَّ الإنسان بصفته جزءاً من هذا الوجود وجب عليه الانصياع لشرع الله ﷻ والخضوع لحكمه[١٠].

---

[١] التفسير الوسيط: الزحيلي، ج١، ص١١٦.

[٢] انظر: تفسير الشَّعراوي، ج٢، ص١٢٣١.

[٣] أيسر التفاسير: الجزائري، ج١، ص٢٧٨.

[٤] روح البيان: اسماعيل حقي، ج١، ص٤٤٥.

[٥] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣، ص١٣١.

[٦] صحيح مسلم: ك- الإيمان، ب- تجاوز الله ﷻ عن حديث النَّفس، ج١، ص١١٦، ح٢٠٢.

[٧] انظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، أبو الطيب، ج٢، ص١٥٧.

[٨] دراسة تحليلية لرسالة الإقتصاد للإمام النورسي: عبد الستَّار الهيتي، مجلة الأحمدية، ص٨٢.

[٩] انظر: روح البيان، اسماعيل حقي، ج١، ص٤٤٤.

[١٠] انظر: الأساس في التفسير، سعيد حوى، ج١، ص٦٦٩.

وبذلك يظهر مدى الارتباط والتَّكامل بين مفردات وقواعد التَّشريع الإسلامي، وانسجامه مع الواقع، فبعدما وضع الضَّمانات القانونية، رسَّخ الضمانات الوجدانية، ليقطع الطَّريق على أولياء الطَّاغوت الذين يتلاعبون في الألفاظ، ويُجيِّرون الثَّغرات لأهوائهم.

المطلب الثاني: ربط الإيمان بالله ﷻ ورسله عليهم الصلاة والسلام بالالتزام التام بأوامره.

قال تعالى:﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾(البقرة:٢٨٥).

أولاً: وجوه البلاغة:

١- جناس الاشتقاق[١]: في قوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ﴾ وقوله:﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ﴾.

٢- الإطناب[٢]: في قوله تعالى:﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ لبيان إيمانهم بجميع الرسل دون التفريق بينهم في الإيمان.

٣- الإيجاز بالحذف: في قوله تعالى:﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ﴾ أي آمنوا بالله ورسله[٣].

ثانياً: المناسبة:

بعدما عرضت السُّورة مرتكزات الإيمان وبيَّنت لوازمه والأحكام الرَّبانية الواجب على العبد الانصياع لها، ناسب أنْ تُرسِّخ خاتمتها مفهوم الإيمان الصادق والتجرد التام لله ﷻ، وهو السبيل الذي سلكه جميع الأنبياء السابقين والسائرين على نهجهم إلى يوم الدين[٤].

ثالثاً: المعنى العام:

صدَّق محمد ﷺ وأيقن بالذي أنزله الله ﷻ عليه من الكتاب والحكمة، وكذلك من اتبعه بالإيمان بربوبية الخالق وألوهيته وأسمائه وصفاته، ووجود الملائكة، وجميع الكتب السَّماوية التي أنزلها الله ﷻ على رُسُله، دون تفريقٍ في الإيمان بين أحدٍ من الكتبِ السماوية أو الرُسلِ عليهم الصلاة والسلام، ثم قال محمد ﷺ والمؤمنون به "سمعنا القول سماعَ وعيٍ وقبولٍ، وأطعنا ما أُمرنا به طاعة إذعانٍ وانقيادٍ، معتقدين أنَّ كلَّ أمرٍ ونهيٍّ إنَّما هو لخيري الدنيا والآخرة، ونسأل الله ﷻ دائما أن يغفر لنا خطايانا، وإليه المرجع والمآب"[٥].

---

[١] صفوة التفاسير: الصابوني، ج١، ص١٦٤.

[٢] المرجع السابق: ج١، ص١٦٤.

[٣] انظر: التفسير المنير، الزُّحيلي، ج٣، ص١٣١.

[٤] انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص٣٣٩.

[٥] التفسير الوسيط: الزُّحيلي، ج١، ص١٦٩.

رابعاً: وجوه القراءات:

١- في قوله تعالى: ﴿ وَكُتُبِهِۦ﴾ قراءتان:

أ- قرأ حمزة والكسائي على الإفراد ﴿وَكِتَابِهِ﴾ ومعنى هذه القراءة على وجهين:

- أنَّ المُراد القرآن الكريم.
- أنَّ المقصود بالكتاب اسم جنس يَعُم جميع الكتب السَّماوية.

ب- قرأ الجمهور ﴿وَكُتُبِهِ﴾ جمعاً، بمعنى جميع الكتب السماوية[١].

٢- في قوله تعالى:﴿ نُفَرِّقُ﴾ قراءتان:

أ- قرأ يعقوب بالياء ﴿لَا يُفَرِّقُ﴾ حيث يعود الضمير على ﴿كُلٌّ آمَنَ﴾ والتقدير: وكلٌّ لَا يُفَرِّقُ بين أحد من رسُله.

ب- قرأ الجمهور بالنون ﴿نُفَرِّقُ﴾ على إضمار القول، والتقدير: وقالوا: لا نُفرق بين أحد من رسُله[٢].

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- تقرير خمس من أركان الإيمان، أربعة منها ظاهرةً في قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ والإيمان باليوم الآخر أُشير إليه في قوله تعالى:﴿ وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾.

٢- بيان التَّرابط والتَّلازم بين أركان الإيمان، فهو كلٌ لا يتجزأ، والإيمان بالله ﷻ لا يكون إلا على الأسس التي بينها الله ﷻ لعباده، وبيانها يتحقق بوحي الله ﷻ لمن يشاء منهم بواسطة الملائكة، ولمَّا كانت الكتب السَّماوية هي السبيل لمعرفة الله ﷻ ومنبع الإيمان الحق، استوجب ذلك الإيمان بكل ما فيها، وهذا يقتضي الإيمان بمُنزلها من السَّماء لأهل الأرض وهم الملائكة، وناشِرها بين أهل الأرض وهم الرُسل[٣].

٣- إثبات "علوُّ الله ﷻ لأنَّ النُزول لا يكون إلا من أعلى"[٤] لقوله تعالى: ﴿بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾.

٤- وجوب الإيمان بجميع الملائكة، والرُسل والكتب السَّماوية كما بيَّنهم الله ﷻ في كتابه، ومن أنكر أحدهم فقد خرج من بوتقة الإيمان إلى حضيرة الشِّرك؛ لأنَّ التَّفريق المَنفِيُّ في

---

[١] انظر: تفسير القرآن بالقراءات العشر، الملَّاحي، ج١، ص٢٦٣.

[٢] انظر: معاني القراءات، الأزهري، ج١، ص٢٣٨.

[٣] انظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ج٤، ص٥٢٦.

[٤] تفسير العثيمين: ج٣، ص٤٤٧.

قوله تعالى:﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ هو التفريق في الإيمان، وليس التَّفاضل في الدَّرجات، التي أقرها الله ﷻ في قوله:﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾(البقرة:٢٥٣)[١].

٥- النَّهي عن المجادلة في الحقِّ بعد بيانه، ولزوم الإذعان له وتحمُّل النَّتائج المترتِّبة على ذلك.

٦- بيان وجوب "طاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ والتَّسليم والرِّضا بما شَرَع الله ﷻ ورسوله ﷺ وحُرْمَة ردَّ شيءٍ من ذلك"[٢].

٧- بيان شمولية دعوة الإسلام وتميُّزها عن دعوة الأنبياء السَّابقين، فإيمان أمَّة الإسلام "إيماناً عاماً وشاملاً، يشمل جميع الرُّسل التي أُرسلت، والكتب التي أُنزلت على جميع الأمم التي خلت"[٣].

٨- توجيه الدُّعاةُ بأن يبدأوا بإصلاح أنفسهم قبل الدَّعوة لإصلاح المجتمع، لأنَّ فاقد الشَّيء لا يُعطيه، وحتى يكونوا قدوةً حسنةً ويتأسَّى بهم النَّاس ونفهم ذلك من قوله تعالى:﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ لتقديم ذكر إيمان الرَّسول على إيمان أتباعه، فبعدما تستقر الفكرة في الفكر والوجدان، ندعوا لها الخِلَّان[٤].

٩- تكريم المؤمنين بجمعهم بالوصف مع خير الخلق أجمعين محمد ﷺ[٥].

١٠- ترسيخ الإيمان بالغيبيات في نفوس العباد، والخروج من دائرة المحسوسات، وذلك وفق الحقائق التي بينها الله ﷻ في كتابه وسُنَّة رسوله ﷺ لِيُغلق أبوبَ الخُرافات والخُزعبلات[٦].

١١- التَّعريض لحال "أهل الكتاب، وخاصةً اليهود، الذين فرّقوا دين الله ﷻ، فآمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعضه، وعزلوا رسل الله عليهم الصلاة والسلام بعضهم عن بعض، كما عزلوا أنفسهم عن المجتمع الإنساني كله"[٧].

١٢- الإيمان بأنَّ القرآن الكريم كلام الله ﷻ لقوله تعالى:﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ فالمُنزَّل هو الوحي، "والكلام وصف لا يقوم إلا بمتكلم، ولا يمكن أن يقوم بنفسه، وعلى هذا يكون في الآية دليل على أن القرآن كلام الله ﷻ"[٨].

---

[١] انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج٢، ص١٠٨٨.

[٢] أيسر التفاسير، الجزائري، ج١، ص٢٨١.

[٣] الوسطية في القرآن الكريم: علي الصَّلابي، ص٧١.

[٤] انظر: تفسير الشَّعراوي، ج٢، ص١٢٣٨.

[٥] انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص٣٤٠.

[٦] انظر: المرجع السابق، ج١، ص٣٤٠.

[٧] التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب، ج٢، ص٣٨٨.

[٨] تفسير العثيمين: ج٣، ص٤٤٧.

١٣- الإشارة إلى وقوع التَّقصير من العباد، وجبر ذلك لا يكون إلا بالتَّوبة، وطلب المغفرة من الله ﷻ[١] ودلَّ على ذلك ما رواه أنس بن مالك عن النبيﷺ قَالَ: **(كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ)**[٢].

١٤- بيان حاجة كل العباد لمغفرة الله ﷻ، لإدراج طلب المغفرة في الدعاء، طمعاً في محو الخطايا والزَّلات، وذلك لا يتحقق إلا برحمة الله ﷻ التي هي بوابة النَّجاة التي يقصدها جميع الخلائق بما فيهم الرُسل، كيف لا وقد صَّرح بذلك خير المرسلين بقوله:(**سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ أَحَدًا عَمَلُهُ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِرَحْمَةٍ)**[٣].

إنَّ النَّاظر لحال الأمَّة الإسلامية اليوم يجد التفرُّق والتَّشرذُم، ومن ثمَّ الضَّعف والوهن، ولو سألتَ أيَّ مسلمٍ في شتَّى بقاع الأرض، هل تودُّ لو أنَّ المسلمين مجتمعون على كلمةٍ واحدةٍ؟ لبادرك بالإجابةِ دون تفكير! نَعَم، ولكن يُريد وحدة المسلمين على الفكرةِ التي يحملها، والنَّهج الذي يميل إليه هواه، لا على الصَّراط المستقيم الذي خطّه الله ﷻ في كتابه العظيم، وأرشدتنا إليه سُنَّة نبيه الكريم، إذنْ: لا وحدةً للأمةِ الإسلاميةِ إلَّا على العقيدة السَّليمة، والتَّصور الصَّحيح للنَّفس والحياة والوجود، ولقد بيَّنت الآيات أنَّ الحبل الذي جمع كل الأنبياء على اختلاف أنسابهم وأعراقهم وأزمانهم، هو حبل الله ﷻ الأوحد، وهو الكفيل بصهر تلك الجماعات المتفرِّقة، المتنازعة، في بوتقةٍ واحدةٍ وتحت لواءٍ واحدٍ، ألا وهو لواءُ الحقِّ المُنعقد في عُروة حبلِ الله ﷻ المتين، الذي لا يعتريه انفصامٌ، ولا بترٌ، فعلى كل فردٍ مسلمٍ، وجماعةٍ تَحسِبُ نفسها على الإسلام أنْ تُنقِّي عقيدتها من كلِّ شائبة زَرعها أعداءُ الإسلام في فكرِ أبنائها، وانسلاخها من كل ملذَّات الدُّنيا التي تحول دون الرُّجوع إلى الحقِّ، ثمَّ تقديم مقصد عزَّة الإسلام على هدف التَّفرُّد بالحكم، ومن ثمَّ سنجد وحدة، وعزة، وقوة المسلمين ماثلةً أمامنا وسَيَدخل النَّاس في دين الله ﷻ أفواجاً.

---

[١] انظر: تفسير السَّعدي، ج١، ص١٢٠.

[٢] سنن الدارمي: ك- الرقائق، ب- التوبة، ج٣، ص١٧٩٣، ح٢٧٦٩، حسَّنه الألباني، صحيح الجامع، ج٢، ص٨٣١، ح٤٥١٢.

[٣] صحيح مسلم: ك- صفة القيامة، ب- لن يدخل أحد الجنَّة بعمله، ج٤، ص٢١٧١، ح٢٨١٨.

المطلب الثالث: حث النفس على بذل كل طاقة لإظهار دين الله ﷻ.

قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ... ﴾(البقرة:٢٨٦).

أولاً: المعاني اللُّغوية:

﴿ يُكَلِّفُ ﴾ يُلزم النفس بما فيه من عنت ومشقة[١].

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- تقديم الجار والمجرور على الفعل في قوله تعالى:﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ وذلك يفيد انحصار مردود الفعل على الفاعل[٢].

٢- الطِّباق المعنوي: في قوله تعالى:﴿ كَسَبَتْ ﴾ ﴿ ٱكْتَسَبَتْ ﴾ لأن: "لها، إشارة إلى ما يحصل به نفع، وعليها إشارة إلى ما يحصل به ضرر"[٣].

ثالثاً: المعنى العام:

يؤكد الله ﷻ بأنه العالِم بمدى الطاقة الكامنة في عباده، وأن عدله يقتضي أن يكلفهم من الأعمال ما يتناسب مع طاقاتهم، فمن أنجز ما كُلِّف به نال خيراً، ومن فرَّط فيه نال شراً[٤].

رابعاً: سبب النزول:

جاء في سبب نزول الآية أنَّه لمَّا أثقل على الصَّحابة ما تضمَّنه قوله تعالى: ﴿ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾(البقرة:٢٨٤) طلبوا من النَّبي ﷺ أنْ يسأل الله ﷻ أن يخفِّف عنهم فأنزل الله ﷻ الآية، ويدل على ذلك ما رواه أبو هريرة ﷺ قَالَ:(**لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ ﷺ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللهِ، كُلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ، الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ ﷺ :أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ....)**[٥].

---

[١] انظر: تفسير غريب القرآن، الكواري، ج٢، ص٢٨٦.

[٢] انظر: فتح القدير، الشَّوكاني، ج١، ص٣٥٣.

[٣] البحر المحيط: أبو حيَّان، ج٢، ص٧٦٧.

[٤] جامع البيان: الطبري، ج٦، ص١٣١.

[٥] سبق تخريجه: ص١٥.

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف.

١- رفع الحرج عن العباد رحمةً بهم، وذلك بما تقتضيه مصلحة العباد والموازنة بين الضَّرورات والحاجات[١].

٢- بيان واقعية الشَّريعة الإسلامية، وانسجامها مع فطرة الإنسان، وإنصافها للنَّفس البشرية بتكليفها بما في حدود طاقتها[٢].

٣- تقرير مبدأ "المسئولية الشَّخصية، فكل عبدٍ مسؤول عن أفعاله، وسيسأل عنها أمام الله ﷻ"[٣] كما بيَّن ذلك تعالى بقوله:﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾(المدثر:٣٨).

٤- الإشارة لسعة رحمة الله ﷻ، ولُطفه بعباده إذ لو كلَّفهم بما هو خارجٌ عن طاقتهم لحكم عليهم جميعاً بالهلاك، ولكن الله سلَّم[٤]، ونستشعر رحمة الله ﷻ بنا عندما نستمع لقوله تعالى:﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(البقرة:٢٢٠) فلو أراد الله أن يشق علينا، لألزمنا بما يثقل علينا عدلاً، لكنه أمرنا بالمستطاع رحمةً.

٥- إثبات محدوديَّة الطاقة الإنسانية، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا وُسْعَهَا﴾ "فالإنسان له طاقة محدودة في كل شيء: في العلم، والفهم، والحفظ"[٥] وتتفاوت مستويات هذه الطَّاقة بين بني الإنسان.

٦- استجاشة همَّة المؤمن وعزيمته للقيام بالتكاليف الموكلة إليه، بعد علمه أنها داخلة ضمن طاقته ومقدوره، فينفُض الضَّعف عن نفسه، وتدفعه بواعث الهمَّة لأداء الأعمال بأقصى طاقة لديه، وبذلك يتجدد ضخ الدماء في عروق الأمَّة[٦].

إنَّ الله ﷻ مايز بين البشر، فجعل بعضهم مختلفاً عن الآخر في القدرات العقلية والجسدية، والميول، والاتِّجاهات، والصِّفات، وعلى قيادة الجماعة الإسلامية السَّاعية لإقامة الخلافة الإسلامية أنْ تستفيد من جميع الطَّاقات البشرية لأبناء الأمَّة الإسلامية، وأنْ تُحسن توظيفها لتحقِّق أعلى درجات الاستفادة، وذلك بتنويع مجالات العمل أمام الأفراد، وترك الخيار للفرد أنْ يختار المجال الذي يُبدع فيه، مع التَّوجيه المنضبط، ومن ثمَّ صقل مهاراتهم وتنميتها، وبلورة كل ذلك في سياق خطة محكمة تضمن وصول الأمَّة إلى نهضتها في أسرعِ وقت، وأدقِّ نظام، وأرسى قرار.

---

[١] انظر أيسر التفاسير، الجزائري، ج١، ص٢٨١.

[٢] انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ج٢، ص٣٨٩.

[٣] التفسير المنير: الزحيلي، ج٣، ص١٣٨.

[٤] انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ج٢، ص٣٩٠.

[٥] تفسير العثيمين: ج٣، ص٤٥٦.

[٦] انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص٣٤٤.

المطلب الرابع: طلب العون من الله ﷻ على تطبيق شريعته.

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾(البقرة:٢٨٦).

أولاً: المعاني اللُّغوية:

﴿ **إِصْرًا** ﴾ عبئاً ثقيلاً[١].

﴿ **مَوْلَانَا** ﴾ وليُنا ومالك أمورنا[٢].

ثانياً: المناسبة:

بعدما بين الله ﷻ في سورة البقرة صفات المؤمنين المستحقين لحمل أمانة الاستخلاف في الأرض، وحذَّرهم من سلوك سبيل من كان قبلهم؛ ممن خان الأمانة التي كلفهم الله ﷻ بها، وبعدما شرَّع القوانين والأحكام والتَّكاليف الرَّبانية الواجب الالتزام بها من قبل أفراد الأمَّة، وقيام النُّظم الحاكمة لهم على أصولها، ناسب أن يختم السُّورة بهذا التضرُّع الخالص لله ﷻ من قبل أفراد الجماعة السَّاعية لإعادة حكم الله ﷻ للأرض، ليوفقهم في أداء واجبهم على الوجه الذي يرتضيه، ليكتمل اطار السُّورة فيرسم صورةً مشرقةً ناصعةً لكل من أراد تحقيق غاية الوجود، بالتزام ما خطَّته من حدود، فينطلق بعزم الأسود، ليفك ما في الأمَّة من قيود، ثم يسأل الله ﷻ المدد بما عنده من جنود.

ثالثاً: المعنى العام:

يناجي المؤمنون ربَّهم قائلين "ربنا لا تعاقبنا إن نسينا شيئًا مما افترضته علينا، أو أخطأنا في فِعْل شيء نهيتنا عن فعله، ربَّنا ولا تكلفنا من الأعمال الشَّاقة ما كلفته مَن قبلنا من العصاة عقوبةً لهم، ربنا ولا تُحَمِّلْنَا ما لا نستطيعه من التَّكاليف والمصائب، وامحُ ذنوبنا، واستر عيوبنا، وأحسن إلينا، أنت مالك أمرنا ومدبره، فانصرنا على مَن جحدوا دينك وأنكروا وحدانيتك، وكذَّبوا نبيك محمدًا ﷺ، واجعل العاقبة لنا عليهم في الدنيا والآخرة"[٣].

---

[١] انظر: التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين، ج١، ص١١٧.

[٢] انظر: غريب القرآن، الدينوري، ص١٠٠.

[٣] التفسير الميسر: نخبة من أساتذة التفسير، ص٤٩.

رابعاً: فضل الآية:

١- من قرأهما في ليلة كفتاه، حيث قال رسول الله ﷺ: **(الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ)**[١].

٢- نزلت من كنز تحت العرش حيث قَالَ عَبْدُ اللهِ بن مسعودﷺ:**(خَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ أُنْزِلَتْ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ)**[٢].

٣- فُتحت لها أبواب السَّماء عند نزولها، ودلَّ على ذلك ما رواه ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ، قَالَ: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ ﷺ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: **(هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلَّا الْيَوْمَ، فَسَلَّمَ، وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَةُ الْكِتَابِ، وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ)**[٣].

٤- لم يُعطَهَا أحدٌ من الأنبياء قبل رسول الله ﷺ ودلَّ على ذلك ما ورد عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍﷺ قَالَ: **(... قَالَ فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلَاثًا أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا)**[٤].

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- تعليق قلوب العباد بالله ﷻ، بكمال تضرُّعهم إليه، والحاحهم بالدُّعاء، راجين منه أن يُعينهم على أداء ما كلَّفهم به[٥].

٢- تثبيت أفئدة المؤمنين باستشعارهم استجابة الله ﷻ لدعائهم، فتُقرَّ أعينهم وتُخبت قلوبهم، فيوقنوا بنصر الله ﷻ لهم، بعد علمهم بأنَّ جنود الله ﷻ التي لا يعلمها إلا هو تقاتل في صفهم دفاعاً عن دين الله ﷻ ونصرة للحق[٦]، كما بين الله ﷻ ذلك بقوله:﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(الأنفال: ٩، ١٠).

---

[١] صحيح مسلم: ك- صلاة المسافرين، ب- فضل الفاتحة، ج١، ص٥٥٤، ح٨٠٧.

[٢] سنن النسائي: ك- فضائل القرآن، ب-الآيتان من آخر البقرة، ج٧، ص٢٦١، ح٧٩٦٩؛ صححه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة، ج٣، ص٤٧١، ح١٤٨٢.

[٣] صحيح مسلم: ك-صلاة المسافرين، ب- فضل الفاتحة، ج١، ص٥٥٤، ح٨٠٦.

[٤] المرجع السابق: ك-الإيمان، ب- ذكر سدرة المنتهى، ج١، ص١٠٩، ح٤٤٩.

[٥] انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص٣٤٠.

[٦] انظر: المرجع السابق، ج١، ص٣٤٠.

٣- إظهار ضعف الإنسان وحاجته إلى خالقه.

٤- الإقرار بعدل الله ﷻ فيما يكلفه للإنسان من أعمالٍ وواجبات، سواء كانت مما ترتضيه النَّفس أو تكرهه، ومما يشقُّ عليها، أو يُسعدها، وأنه تعالى "له أن يفعل فوق ذلك فيكلف بما ليس في الوسع، لأنه المالك التام المِلك، والمَلِك المنفرد بالمُلك"[١].

٥- طلب العفو عن جوانب التقصير في أداء الواجبات، وقد حدد الدعاء أسباب هذا التقصير متمثلاً في[٢]:

- النِّسيان: وهو خارج عن إرادة الإنسان، وطلبوا العفو عنه بقولهم:﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ وقد تكفل الله ﷻ بالعفو عنه، كما بيَّن ذلك رسول الله ﷺ بقوله: **(إِنَّ اللَّهَ قَدْ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ)**[٣].
- الخطأ غير العمد: وأُشير إليه بقولهم: ﴿أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ وهو مما يعفو الله ﷻ عنه.
- الخطأ العمد: وهو مما يُحاسَب عليه ويتطلَّب التَّوبة والاستغفار والنَّدم حتى يُعفى عنه ويُمحى أثره، وأُشير إلى هذا الجانب بقولهم:﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ﴾ والعفو يفيد امتناع العذاب الجسدي، أما المغفرة ففيها مسح الذنب من صحائف الأعمال، وبذلك ينجو من العذاب النَّفسي.

٦- طلب العون من الله ﷻ على أداء أوامره، وتيسير سُبل القيام بها على الوجه الذي يرتضيه، كما دلَّ على ذلك قولهم:﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾، وأن يكون المنطلَق في الأداء والحساب مُرتكِز على رحمةِ الله ﷻ التي وسِعَت كل شيء، وإلا فلا مناص من الهلاك، لذلك جاء في دعائهم بعد طلب العفو والمغفرة، طلب الرَّحمة ليَثبُت لهم من الله ﷻ التوفيق في الدنيا والفلاح في الآخرة[٤].

٧- بيان آداب الدُّعاء والخطاب مع الله ﷻ، لِمَا تتضمنه من سببٍ لقَبُول الدُّعاء، ولمَّا كان هذا الدُّعاء جامعاً مانعاً، يُحاز بقبوله خير الدنيا والآخرة[٥]، وقد أمر النبي ﷺ بالدعاء به كل ليلة في قوله:**(الآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ، مَنْ قَرَأَهُمَا فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ)**[٦].

---

[١] نظم الدُرر: البقاعي، ج٤، ص١٨٥.

[٢] انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، ج١، ص١٧٠١.

[٣] صحيح ابن حبان: ك- الطلاق، ب-طلاق المكروه والنَّاسي، ج١، ص٦٥٩، ح٢٠٤٣.

[٤] انظر: نظم الدُرر، البقاعي، ج٤، ص١٩٠؛ تفسير العثيمين، ج٣، ص٤٥٩.

[٥] انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، ج١، ص١٧٠.

[٦] صحيح البخاري: ك- المغازي، ب- شهود الملائكة بدراً، ج٥، ص٨٤، ح٤٠٠٨.

٨- بيان أفضلية أمة محمد ﷺ على سائر الأمم برفع الإصْر الذي حُمِّل على الأمم السَّابقة، وأنها حُمِّلت من التَّكاليف أقل ممن سبق، ويظهر ذلك في قوله تعالى:﴿ وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ فلقد كان الله ﷻ يشدِّد على السَّابقين لجحودهم الحق، ولسوء أدبهم مع الله ﷻ، ومجادلة أنبيائهم، كما حدث مع بني إسرائيل[١].

٩- نقض عرى الولاء لغير الله ﷻ، فوحده مالكنا ومسيِّر أمورنا، ومتحكمٌ في أحوالنا، ولا يجوز إشراك أحدٍ معه في ذلك، ولذلك خُتم الدُّعاء بقولهم: ﴿أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وبذلك حرر الإسلام البشر من عبودية بعضهم لبعض، فلا يخضعون لسلطان الطغاة والجبارين والظالمين[٢].

١٠- بيان غاية العباد من الدُّعاء والتَّضرع لله ﷻ متمثلة في "إصلاح أمرهم، واستقامة طريقهم وأن يكونوا آخر الأمر أهلا لهداية النَّاس إلى الله ﷻ، وأن يصبحوا جبهةً عاملةً لنصرة الحقِّ، وجنداً مقاتلاً في سبيل الله ﷻ، وبهذا تقوى جبهة الإيمان، وتضمُر أو تزُول دولة الكفر"[٣].

إنَّ القوة الحقيقية التي لا يغلبها غالبٌ، ولا تُزلزلها المِحن، ولا يوهنها الدَّهر، هي قوةُ الحقِّ المُستمد منَ الله ﷻ، وإذا ما انقطع أصحاب الحق عن حبل الله ﷻ دبت بهم النَّوازل فأوهنتهم، وتمالأت عليهم القواصم فقهقرتهم، فالواجب على الفئةِ المؤمنةِ صاحبةِ المشروع الإسلامي أن تُقوي علاقتها بالله ﷻ، وألا تَحيد عن سبيله مهما كانت الأهوال، ولْيكن شعارُها: أنْ تَمُوتَ على الحقِّ، خيرٌ ألف مرةٍ منْ الحياة تحتَ حُكمِ الباطل، ولقد قالها الدكتور عبد العزيز الرنتيسي مدويةً وهو قابعٌ في سجون الظالمين:

فالمـــوتُ أهـونُ من غبارِ مذلةٍ **** فلـرُبَّ ذلّ دام مـــا بقـــي الزَّمـــن
أفمـــن يذوق الموت كأساً واحداً **** يحلـوا كمـا الترياقُ أوصـــابَ البدن
أمـــن يعيش العمـر ميتاً يشتهي **** طعـم البلى فيُـــردَّ كـــلا لا ولـــن
قـم واصنع التاريخ واسلل غيظه **** قـــد لطَّـخ التاريخ صـناع الـــوثن
واق الشدائد تـرق أسـباب العلا **** وارباً بنفســك أن تســـربل بالحـــزن [٤]

---

[١] انظر: تفسير العثيمين، ج٣، ص٤٥٩.
[٢] انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص٣٤٦.
[٣] زهرة التفاسير: أبو زهرة، ج٢، ص٣٩٢.
[٤] ديوان حديث النَّفس: عبد العزيز الرنتيسي، ص٨٨.

وأنْ تُلحَّ على الله ﷻ بأن ينصُرها على عشَّاق الباطل، بعد أنْ تستنفذ كل طاقتها في مجابهته، وأنْ تحرص على استنزافه، وألَّا تستسلم مهما كانت الخطوب، لعلَّ النَّصر لا يكون على أيدي أبناء هذا الجيل، لحكمةٍ عظيمةٍ يُخفيها الله ﷻ، فعلى كلِ فردٍ منَ الطائفةِ المنصورة بإذن الله ﷻ أنْ يُدركَ بأنَّ واجبه أنْ يخطَّ طريق النَّصر للأجيال القادمة، وألَّا ينْتظر وقت تحقيق الهدف، بل يَنظُر ماذا قدَّم من أجل تحقيقه، وإذا ضاقت به الدُّروب واشتدَّت به الكروب، فاليستذكر الغاية الذَّاتية المتمثِّلة بحوزة رضى الله ﷻ ولينظر هل ما هو عليه يُرضي ربَّه أم لا؟ وعندما يجد الإجابة: نعم، تطمئن نفسه، ويستشعر بأنه لبِنةً في الهرم السَّاعي لتحقيق الغاية الجماعية التي تعمل الطائفة المنصورة بكل طاقاتها وكوادرها من أجل الظفر به، متمثلاً بإقامة الخلافة الإسلامية في كل بقاع الأرض، على المنهج الذي أنزله الله ﷻ على عباده كي يُطبِّقوه، عندها سيجد في نفسه إيماناً وطاقةً وقوةً لو وُزعت على أهل الأرض لكفتهم.

وبعد ختام تفسير سورة البقرة، ومُداومة التأمل في آياتها، وبعدما أكرم الله ﷻ الباحث بحفظها منذ الصِّغر، وأنعم عليَّ بتفسير أعظم آياتها في هذه الرسالة، أمعن الباحث النَّظر والتفكُّر في آياتها مراراً وتكراراً، لأجيب عن كثير من الأسئلة التي ما فتئت تراودُني، لماذا سورة البقرة أطول سورة في القرآن؟ ولماذا يهرب الشيطان من البيت التي تقرأ فيه؟ ولماذا اقترنت بسورة آل عمران بكثير من الفضائل؟ وبعد استحضار مجمل آيات السُّورة عند تحليل بعض الآيات في هذه الرسالة، والربط بينها هدى الله ﷻ الباحث للإجابة عن هذه الأسئلة على النحو الآتي:

أولاً: محور سورة آل عمران يدور حول استخلاف الإنسان في الأرض، وتحديد الله ﷻ السبيل والمنهج لقيامه بهذه المهمة، وعرض النتائج الإيجابية لمن التزم بهذا السَّبيل، والتحذير من النتائج العكسية لمن حاد عنه، ولمَّا كان جمعُ النَّاس على الإيمان بالله ﷻ واقامة شرعه فيهم أعظم مقاصد القرآن الكريم، ناسب أن تكون سورة البقرة التي تناولت هذا المقصد بتوسُّع وشمول، وبناء التصور الكامل له، أطول سور القرآن الكريم.

ثانياً: إنَّ الشيطان أخذ على عاتقه حرف الإنسان عن الغاية التي خُلق من أجلها؛ وهي عمارة الأرض، وعبادة الله ﷻ، فتراه يتفنن في دفعه للإفساد في الأرض، ويُزَين له آلهة أخرى؛ ليعبدها من دون الله ﷻ، ولمَّا كانت سورة البقرة محبطةً لغاية الشيطان، ومرسِّخةً لغاية الله ﷻ، وكاشفةً للحقيقة الكاملة أمام الإنسان، ومنيرة صدره بمعرفة ربِّه، مبصِّرةً إياه بمكر الشَّيطان وسُبل استدراجه لبني آدم ليُخرجهم من الجنَّة كما أخرج أبويهم، لم يكُن للشيطان سبيلٌ يتسلل من خلاله ليوسوس للإنسان، ولم يتحمل النُّور الإلهي يُنير قلب القارئ، خاصةً عندما يقرأ آية الكُرسي التي تقذف في قلبه شعوراً بعظمة ربه.

ثالثاً: محور سورة البقرة يدور حول إقامة الخلافة، ومحور سورة آل عمران يُرسخ لاستمرار الخلافة ويعرض عوامل بقائها، ويكشف أساليب الأعداء في تقويضها، وهدمها من الدَّاخل والخارج، إذن: فالسورتان يكمل بعضهما بعضاً، فنحن لا نضيع جهدنا ونقدم دماءنا من أجل قيام الخلافة أياماً معدودة، بل نسعى لبقائها دهوراً وأحقاباً، وهذا سر تلاحم السورتين، والله تعالى أعلم.

ويرى الباحث أنَّ أي خطة لإقامة الخلافة الإسلامية لا بدَّ أن تقوم على ثلاثة مرتكزات:

أولاً: فكر إسلامي مرتكز على العقيدة الإسلامية النقية، ومستند لمقومات ووسائل تُمكِّن القائمين على هذا المشروع من ترسيخ الفكرة في عقول أبناء الدعوة، وتخلية قلوبهم من الشُّكوك والأهواء، وتحليتها بالإيمان الصافي، والإخلاص لله وحده، وكل ذلك وفق رؤية واضحة المعالم، وبذلك ينجذب نحو هذه الفكرة كلَّ مسلم غيور على دينه، يأمل أن تعود الأمجاد للإسلام وأهله.

ثانياً: قيام اقتصاد إسلامي مستقل خاص بالطائفة السَّاعية لإقامة الخلافة، حتى تكون قادرة على توفير النفقات الخاصَّة بالمشروع، وضمان استقلال القرار، وبناء قوة مالية تستطيع الأمَّة من خلالها احتواء أصحاب الأهواء المالية، حتى لا يُستغلُّوا من قِبل أعداء الأمَّة؛ لتقويضها من الدَّاخل، بل يجدون مبتغاهم بين أحضان الأمَّة، وهؤلاء يجب رعايتهم وإيصال الفكرة الإسلامية لعقولهم، وزرعها في قلوبهم وفق خطَّة دعوية ممنهجة.

ثالثاً: بناء قوة عسكرية ثلاثية الأبعاد:

١- جيش مُعلن مرتبط بجهاز أمني ظاهر قادر على حماية الأمَّة.

٢- وجهاز عسكري سرِّي خاضع لجهاز أمني سرِّي، قادر على إحباط خطط الأعداء.

٣- جهاز رقابي ذو صلاحيات واسعة يتابع أعمال الأجهزة، ويصوب أخطاءها.

وبذلك فقط يُمكن توحيد الأمَّة الإسلامية، فمن أراد الفكر الإسلامي، والتضحية من أجل الدين، ورضى الله ﷻ يجد مراده، ومن أراد المال وجد مأربه، ومن أكل الحقد الدفين على المؤمنين قلبه لن يجد أمامه إلا السَّيف، فسيرعوي ويخضع لحكم الطائفة المنصورة، وبذلك تحتضن الأمَّة أصناف النَّاس الثلاثة بين دفتيها، وينعم أبناؤها بالأمن والرخاء، ويعود للإسلام عزَّه بين الأمم.

الفصل الرابع

التَّفسير التحليلي لمقاصد وأهداف سورة آل عمران (١ – ١٤).
اشتراط ثبات الجماعة المستحقة للخلافة على الأسس التي بينتها سورة البقرة.

ويتكون من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: بين يدي سورة آل عمران.

المبحث الثاني: وضع أسس الثَّبات الفكري.

المبحث الثالث: بيان بواعث الثَّبات العملي.

المبحث الأول: بين يدي سورة آل عمران.

ويشتمل على ستة مطالب:

المطلب الأول: أسماء السُّورة وعدُّ آياتها.

المطلب الثاني: مكان نزول السورة وزمانها وجوها.

المطلب الثالث: فضل السُّورة وسبب نزولها.

المطلب الرابع: المحور الأساس للسورة.

المطلب الخامس: الأهداف العامة للسورة.

المطلب السادس: المناسبات في السورة.

المطلب الأول: أسماء السورة وعدُّ آياتها.

سورة آل عمران هي السُّورة الثالثة في ترتيب المصحف، "وعدد آيها مائتان في عدِّ الجمهور وعددها عند أهل العدَد بالشَّام مائة وتسع وتسعون"[١]، أما أسماؤها فيمكن تصنيفها لقسمين:

أولاً: الأسماء التوقيفية:

١- **آل عمران:** وهو الاسم الأشهر لها، وقد عُنونت به في المصاحف، وقد ذكرها النبي وأصحابه بهذا الاسم، ودلَّ على ذلك ما رواه عبد الله بن عباس أنَّ النبي ﷺ **(قَرَأَ العَشْرَ الآيَاتِ الخَوَاتِمَ مِنْ سُورَةِ آل عمران، ثُمَّ قَامَ إِلَى شَنٍّ مُعَلَّقَةٍ فَتَوَضَّأَ مِنْهَا، فَأَحْسَنَ وُضُوءَهُ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، فَصَنَعْتُ مِثْلَ مَا صَنَعَ)**[٢].

سبب التسمية: سُمِّيت بهذا الاسم لذكر أسرة عمران وفضائلها، ولم تُذكر في السُّور الأخرى على النَّحو الذي ذُكرت في هذه السُّورة، مبينةً التصُّور الصحيح لتوحيد الله ﷻ، وأنَّ أُسرة عِمران بما فيهم عيسى ﷺ كانوا على هذا النَّحو من الفهم، والإيمان بالله ﷻ[٣].

٢- **الزَّهراء:** وتشترك مع هذا الاسم في سورة البقرة، حيث وصفهما رسول الله ﷺ بذلك بقوله: **(اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آل عمران، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ...)**[٤].

سبب التسمية: لأنها "كشفت ما التبس على أهل الكتاب في شأن عيسى بن مريم ﷺ"[٥] فأنارت طريق الحق في عقول المؤمنين في الدنيا، وبُشِّر من واضب على قراءتها بالنور التام يوم القيامة[٦].

ثانياً: الأسماء الاجتهادية:

أما أسماء السورة الاجتهادية فهي من استنباطات العلماء والمفسرين، فكُلَّما وجد أحدهم صفةً غالبةً على أحداث السُّورة أطلقها اسماً للسورة، ومن الأسماء التي أُطلقت عليها:(الأمَان، والكَنْز، والمُعينة، والمُجَادِلة، وسُورة الاسْتغفَار، وطَيِّبَة)[٧].

---

[١] التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج٣ ص١٤٤.

[٢] صحيح البخاري: ك- تفسير القرآن، ب- الذين يذكرون الله، ج٦، ص٤١، ح٤٥٧٠.

[٣] انظر: أسماء سور القرآن وفضائلها، الدوسري، ص١٦٩.

[٤] صحيح مسلم: ك- صلاة المسافرين، ب- فضل سورة البقرة، ج١، ص٥٥٣، ح٨٠٤.

[٥] محاسن التأويل: القاسمي، ج٢، ص٢٥٣.

[٦] انظر: التفسير المنير: الزحيلي،ج٣، ص١٤٢.

[٧] انظر: البحر المحيط، أبو حيَّان، ج٣، ص٩.

المطلب الثاني: مكان نزول السورة وزمانها وجوها.

أولاً: مكان نزولها: قد "أجمع العلماء على مدنيتها"[1] أي بدأ نُزولها بعد الهجرة النَّبوية، ونظراً لنُزولها منجَّمةً، وتنوع أحداثها، لا بُدَّ من اختلاف أماكن نزول آياتها، وعليه يمكن القول: إنَّ أماكن نزول آياتها تشمل المدينة المنَّورة وضواحيها.

ثانياً: زمان نزولها: نحن نعلم أنَّ ترتيب الآيات في السُّور يختلف عن ترتيبها حسب النُّزول، وكذلك ترتيب السُّور نفسها، وأنَّ جبريل عليه السلام كان ينزل بالقرآن على النبي ﷺ فيقول له ضع هذه الآية في سُورة كذا موضع كذا، وعلى ذلك يجوز أن يتقدَّم وسط السُّورة على مطلعها في النزول، وعليه يمكن بيان زمان نزول آيات سورة آل عمران على النحو الآتي:

١- أول ما نزل منها الآيات التي تحدثت عن معركتي بدر وأحد وبيان أسباب النصر، وبواعث الهزيمة من خلالهما، وقد نزلت بعد غزوة أحد تؤازر النَّبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم، وعليه يكون بداية نزول سورة آل عمران في شهر شوَّال من العام الثالث الهجري[2].

٢- ما نزل بعد صلح الحديبية في العام السادس للهجرة وهي الآيات التي تدعوا أهل الكتاب للاجتماع مع المسلمين على عبادة الله ﷻ ومطلعها قوله تعالى:﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾(آل عمران: ٦٤) وقد ورد ذكرها في الرِّسالة التي بعثها النبي ﷺ لهرقل ملك الرُوم، وقد كانت في زمن صلح الحديبية[3].

ثالثاً: جو نزولها:

إنَّ المتأمِّل في حال الدَّعوة الإسلامية في العهد المدني، يُدرك عِظَم الحِمل الذي كان على عاتق النَّبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم فهم يعمَلُون في أحلك الظُّروف، والأعداء يُحيطون بهم من كل جانب، فهم لا يجابهُون فريقاً واحداً، بل تجتمع عليهم الأقطاب الثلاثة قريش وحلفاؤها يناصبونهم العداء، وبنو يهود يُحيكون المؤامرات ويحيطون بمِعْصَم المدينة، والمُنافقون يتربصون بهم الدوائر، وفي وسط ذلك يتجلَّى الأمل متلَبِّساً باليقين بقوله تعالى:﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾(التوبة:٣٣) ولمَّا كانت

---

[1] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج٤، ص١.

[2] انظر: التفسير الحديث، دروزة عزَّت، ج٧، ص١٠٦، سيرة ابن هشام، ج٢، ص٦٠.

[3] انظر: صحيح البخاري، ك- بدء الوحي، ب- كيف كان بدء الوحي، ج١، ص٨، ح٧، سيرة ابن هشام، ج٢، ص٣٠٨.

الحكمة تقتضي التفريق بين الأعداء، والاستفراد بأحدهم وتحييد الآخرين، وتحيُّن الفُرص لكلٍ منهم، جاءت سورة آل عمران لتُظهر الحالة التي كان عليها المؤمنون في ذلك الوقت، فالمواجهة العسكرية كانت صوب قريش، وتجلَّى ذلك بعرض أحداث غزوتي بدرٍ وأحدٍ، وإظهار انعكاسها على أُقطاب الصِّراع، وبيان حقيقة المُنافقين، وكانت القيادة القرآنية للطائفة المؤمنة" قيادة مباشرة في شؤونها اليومية وفي أهدافها الكلية على السواء ونرى كيف يأخذ القرآن بيدها خطوة خطوة، وهي تعثر وتنهض، وتحيد وتستقيم، وتضعف وتقاوم، وتتألم وتحتمل، وترقى الدرج الصاعد في بطء ومشقة، وفي صبر ومجاهدة، تتجلى فيها كل خصائص الإنسان"[1]حتى جاءت محطات الانتصار، فكانت هزيمة قريش وحلفائها في الخندق، وتتبير معاقل اليهود في بني قريضه وبني النضير، واجلائهم عن عاصمة الدولة الإسلامية، وأركس الله ﷻ المنافقين وأخزاهم، وفي هذه الأجواء بدأت الدَّعوة تخط طريقها نحو العالمية، فبدأت القبائل تتصاع لأمر الله ﷻ وتخضع لحكم رسوله ﷺ، وبدأت البرقيات الدَّعوية تنطلق من بين يدي النبي ﷺ إلى مجالس الملوك، تدعوهم ليدخلوا في دين الله أفواجاً، حتى جاءت بعض الوفود تستكشف الأجواء داخل الدولة، وبعضها يخضع لحكم الله ﷻ، والبعض يترنح في غيه فتقيم آيات الله ﷻ الحجة عليه وعلى من والاه، ثم يجهز النبي ﷺ جيشه ليردع الصادِّين عن سبيله، ويتحقق النَّصر الإلهي للفئة المُستضعفة الثابتة على الحق، وتزهق الأنفس الخبيثة، تحت صلصلة سيوفهم، وفي هذه الأجواء تتنزل آيات سورة آل عمران لتنسجم مع واقعها وترسم للأمة صورة الصَّبر والثَّبات والنَّصر، لتكون نبراساً يُنير الطَّريق في كل موطن وجيل وعصر[2].

المطلب الثالث: فضل السورة وسبب نزولها.

أولاً: فضل السورة:

١- تدافع عن قارئها يوم القيامة مع سورة البقرة ودلَّ على ذلك قوله ﷺ: **(اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آل عمران، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ)**[3].

---

[1] في ظلال القرآن: سيد قطب، ج١، ص٣٥١.

[2] انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، شحادة، ص٣١.

[3] صحيح مسلم: ك- صلاة المسافرين، ب- فضل قراءة القران، ج١، ص٥٥٣، ح٨٠٤.

٢- فيها اسم الله ﷻ الأعظم الذي إذا دعي به أجاب ودلَّ على ذلك قوله ﷺ: **(اسْمُ اللَّهِ الأَعْظَمُ الذي اذا دُعي به أجاب فِى هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ ﴿ لى لي مج مح مخ مم مى ﴾** (آل عمران: ٢) ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴾(البقرة ١٦٣) "[١].

ثانياً: سبب نزول السورة:

ذكر الإمام الطبري أن مطلع السُّورة حتى نيف وثلاثين آية نزل في حق وفد نصارى نجران، الذين جادلوا النبي ﷺ في شأن عيسى بن مريم ﷺ حيث يقول:" وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ ابْتَدَأَ اللَّهُ بِتَنْزِيلِهِ فَاتِحَتَهَا بِالَّذِي ابْتَدَأَ بِهِ مِنْ نَفْيِ الْأُلُوهِيَّةِ أَنْ يَكُونَ لِغَيْرِهِ، وَوَصْفِهِ نَفْسَهُ بِالَّذِي وَصَفَهَا بِهِ ابْتَدَاءَهَا؛ احْتِجَاجًا مِنْهُ بِذَلِكَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنَ النَّصَارَى قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ نَجْرَانَ، فَحَاجُّوهُ فِي عِيسَى ﷺ، وَأَلْحَدُوا فِي اللَّهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ فِي أَمْرِهِمْ وَأَمْرِ عِيسَى مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ نَيِّفًا وَثَلَاثِينَ آيَةً مِنْ أَوَّلِهَا، احْتِجَاجًا عَلَيْهِمْ وَعَلَى مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَقَالَتِهِمْ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَأَبَوْا إِلَّا الْمُقَامَ عَلَى ضَلَالَتِهِمْ وَكُفْرِهِمْ ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْمُبَاهَلَةِ ، فَأَبَوْا ذَلِكَ وَسَأَلُوا قَبُولَ الْجِزْيَةِ مِنْهُمْ، فَقَبِلَهَا ﷺ مِنْهُمْ، وَانْصَرَفُوا إِلَى بِلَادِهِمْ"[٢]، وقد ذكر الواحدي[٣] أيضاً أنها نزلت في وفد نجران، غير أنَّه بين أنَّ سبب النزول يشمل الآيات حتى بضع وثمانين[٤]، وهذا يتعارض مع ما ذكره الطبري: أنه نزل منها حتى نيفاً وثلاثين آية، ويتعارض أيضاً مع كون الآية (٦٤) نزلت في عام (٦هـ)، علماً بأن "وفد نجران قدم المدينة عام ٩هـ"[٥]، ويرى الباحث أنَّ هدف نزول مطلع السورة دحض افتراءات النصارى، ونسف أهواءهم وبهتانهم، وإلزامهم بالحجة القاطعة حتى يعلموا الحق فيتبعوه أو يعلموا أنهم على الكفر وكل ذلك يتحقق بما تناوله مطلع السورة حتى قوله تعالى:﴿ **قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ** ﴾(آل عمران:٣٢) وقد كانت هذه الآية بمثابة فصل الخطاب مع وفد نجران الذين أصروا على كفرهم بعد بزوغ الحق أمامهم، وعليه فإنَّ ما نزل بحق نصارى نجران كان الآيات (١-٣٢) وزمن نزولها العام التاسع للهجرة، والله تعالى أعلم.

---

[١] سنن الدارمي: كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة، ج٤، ص٢١٣٣، ح٣٤٣٢، حسنه الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة ، ج٢، ص٢٤٥،ح٧٤٦.

[٢] جامع البيان: الطبري، ج٥، ص١٧١.

[٣] علي بن أحمد بن محمد الواحدي، أبو الحسن النيسابوري، الشافعي مفسر، نحوي، لغوي، فقيه شاعر، وامام علماء التأويل، صنَّف التفاسير الثلاثة: البسيط، الوسيط، الوجيز، وله كتاب الدعوات، والمغازي، وكان ثقة صادقاً معمراً، توفي عام ٤٨٧هـ، (سير أعلام النبلاء، الذهبي،ج١٨، ص،٣٣٩).

[٤] انظر: أسباب النزول: الواحدي، ج١، ص٩٨.

[٥] البداية والنهاية: ابن كثير، ج٦، ص٣٥٦.

المطلب الرابع: المحور الأساس للسورة.

إنَّ المتأمل لآيات سورة آل عمران يجدها تدور حول محور واحد متمثل بإرساء عقيدة التوحيد وتنقيتها من الشوائب، وقد عَنْونَ مَطلع السورة لهذا المِحور حيث يقول تعالى:﴿لى لي مج مح مخ مم مى﴾(آل عمران: ٢) ثم تفرعت آيات السُّورة لتُحقق هذا المقصد العظيم، فبيَّن تعالى وجوب الإقرار بوحدانيته وقيامه بالعدل في قوله:﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(آل عمران: ١٨) فكان الرَّد على افتراءات النَّصارى في حق عيسى ﷺ وتأييد الله ﷻ لأهل التوحيد ونُصرتهم على عدوهم، ثم بيان حقيقة التَّصور الإيماني وجزاء أصحابه(١).

المطلب الخامس: الأهداف العامة للسورة.

إنَّ السُّورة القرآنية ليست قالباً مسْمطاً، بل هي كالبُنيان المرصُوص تتشابك لبِنَاتها مع بعضها البعض، وتنجذب نحو محورٍ واحدٍ حتى تَظْهَر بأنَّها جسدٌ واحدٌ، ولو نظرنا إلى أهداف السُّورة نجدها تُنْسَج من أهدافِ الآيات التي تلتئم في حزم عدَّة مكونةً الأهداف العامة للسُّورة، ومن الأهداف العامة لسُورة آل عمران(٢):

١- بيان معنى الدِّين الحق، وتوضيح معنى الإسلام، فليس الدِّين هو كلُّ اعتقادٍ في الله ﷻ وإنما هو التَّوحيد القاطع الناصع الذي يُقَّر فيه بوحدانية الله ﷻ وقيامه على كل الكون، وطاعته والالتزام بما أمرهم به بواسطة رسله ودلَّ على ذلك قوله تعالى:﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾(آل عمران:٣٢).

٢- إبطال شبهات أهل الكتاب في شأن عيسى بن مريم ﷺ ونفي الألوهية عنه.

٣- تقريع اليهود والتحذير من مكائدهم وتعداد قبائحهم وجرائمهم.

٤- الإشارة لوجوب وحدة المسلمين وعرض شريعة الحج كأحد نماذج الوحدة الإسلامية.

٥- تقرير سُنَّة الابتلاء للمؤمنين؛ اختباراً لهم، وصقلاً لإيمانهم.

٦- تصوير حال المسلمين مع ربهم، واستسلامهم له، وتقبلهم لكل ما يأتيهم منه بالقبول، والطاعة، وثقتهم به وتوكلهم عليه.

٧- التَّحذير من ولاية غير المؤمنين وخلع الإيمان عمَّن يوالي أعداء الله ﷻ.

---

(١) انظر: في ظلال القرآن: سيد قطب، ج١، ص٣٥٢.

(٢) انظر: أهداف كل سورة ومقاصدها، شحادة، ص٤١-٤٤.

المطلب السادس: المناسبات في السورة.

أولاً: مناسبة السورة لما قبلها:

إنَّ مقدمة سورة البقرة هي محور سورة آل عمران، فنرى لمطلع سورة البقرة امتدادات في آل عمران،[١] ويمكن إظهار التَّناسُب بين السُّورتين من عدة وجوه:

١- ابتداء كل منهما بنفس الطَّالع وهو قوله تعالى:﴿الٓمٓ﴾ وإنَّ التَّشابه في المَطلع يدل على التَّشابه في المعنى والموضوع.

٢- ابتداء السورتين بترسيخ أركان الإيمان، فبعدما تناولت سورة البقرة الإيمان بالكتب السماوية، ناسب أن تُرسِّخ التَّصور الصحيح للإيمان بالله ﷻ والاعتقاد بوحدانيته[٢].

٣- عرضت السُّورتان موقف النَّاس من القرآن "ففي البقرة: ذِكر حال المؤمنين وغير المؤمنين به، وفي آل عمران: ذِكر موقف الزائغين الذين يتصيّدون ما تشابه منه، ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وموقف الرّاسخين في العلم الذين يؤمنون بمحكمه ومتشابهه"[٣].

٤- حوار أهل الكتاب ودعوتهم للإيمان، فبعدما استطردت سورة البقرة في عرض الحوار مع بني إسرائيل وكشف طبيعتهم وبهتهم، وانحراف تصوراتهم، ناسب أن تُظهر سورة آل عمران طبيعة الحوار مع النَّصارى وهم الطَّرف الثاني من أهل الكتاب، وتكشف زيغهم وتفنِّد مزاعمهم وتكشف بواعث ضلالهم[٤].

٥- جاءت سورة آل عمران مبينةً وموضحةً ومؤكدةً لِمَا عرضته سورة البقرة، فنرى سورة البقرة تُحدد المنهج الأصيل في قوله تعالى:﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾(البقرة:١٣٥) فهي ترد على زعم أهل الكتاب بأنهم على الحق والهدى، وتؤكد أنَّ المنهج الواجب اتباعه هو منهج إبراهيم ﷺ، وعندما احتجَّ اليهود بأنَّ إبراهيم ﷺ كان يهودياً، وادَّعى النَّصارى أنه نصراني، جاءت سورة آل عمران ترد عليهم افتراءاتهم بقوله تعالى:﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾(آل عمران:٦٥) ثم حدَّدت أحق النَّاس بالانتساب لإبراهيم ﷺ وهم الذين ساروا

---

[١] انظر: الأساس في التفسير، سعيد حوَّى، ج٢، ص٦٩٢.

[٢] انظر: نظم الدرر، البقاعي، ج٤، ص١٩٧.

[٣] التفسير المنير: الزحيلي، ج٣، ص١٤٠.

[٤] انظر: المرجع السابق، ج٣، ص١٤٠.

على نهجه،[1] حيث يقول تعالى:﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(آل عمران:٦٨).

٦- اشتراكهما في بيان قدرة الله ﷻ على الخلق على غير الوجه الذي اعتاده الناس "ففي البقرة تذكير بخلق آدم، وفي آل عمران تذكير بخلق عيسى، وتشبيه الثاني بالأول في خلق غير معتاد"[2].

٧- ظهور خاتمة السورتين في أجلى وجوه التناسب، ففي خاتمة سورة البقرة طلب ورجاء المؤمنين من خالقهم، بألَّا يؤاخذهم على أخطائهم، وأن ينصرهم على الكافرين وذلك في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ﴾(البقرة:٢٨٦) وجاء الجواب من الله في ختام سورة آل عمران في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(آل عمران:٢٠٠) فالمؤمنون طلبوا من الله ﷻ النصر، والله ﷻ بيَّن لهم الشروط الواجب تحققها فيهم حتى يحوزوا نصره[3].

ثانياً: مناسبة أول السورة بآخرها:

١- ذكر في مطلع السُّورة تنزيل الكتاب وعلاقته بالكتب السماوية، ومصير المكذبين به، فقال تعالى:﴿ نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج * يخ يم يى يي ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر ﴾(آل عمران:٣،٤) وناسب ذلك أن يبين في ختام السُّورة حال المؤمنين بالقرآن الكريم من أهل الكتاب كونه مصدقاً لما معهم من التوراة والإنجيل[4]، حيث يقول تعالى:﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾(آل عمران:١٩٩).

٢- بيَّن في مطلع السُّورة موقف النَّاس من القرآن الكريم، وتطرَّق لحال الذين في قلوبهم زيغ، الذين يتَّبعون الآيات المتشابهات ابتغاء نشر الفتنة بين النَّاس، وارضاءً لأهواء قلوبهم، ثمَّ ذكر

---

[1] انظر: الأساس في التفسير، سعيد حوَّى، ج٢، ص٦٩٢.

[2] التفسير المنير: الزحيلي، ج٣، ص١٤٠.

[3] انظر: نظم الدرر، البقاعي، ج٥، ص١٦٨.

[4] انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ج٩، ص٤٧٢.

موقف أولي الألباب الذين يقدِّرون الأُمور بميزان العقل لا ميزان الهوى فقال تعالى:﴿ لي ما مم نر نز نم نن نى ني ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ﴾(آل عمران:٧) وناسب ذلك أن يبين في ختام السُّورة تعريف أولي الألباب وبيان صفاتهم[١] حيث يقول تعالى:﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ * ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾(آل عمران: ١٩٠،١٩١).

٣- تطرَّق في بداية السُّورة إلى رجاء المؤمنين وتضرعهم لله ﷻ بأن ينجيهم يوم القيامة، فقال تعالى:﴿ لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم ﴾(آل عمران:٩) وناسب أن يختم السورة بهذا الدعاء؛ ليؤكد على أنَّ غاية المؤمنين الفوز والنجاة يوم القيامة، ولا تغرهم زينة الدنيا وزخرفها فقال تعالى:﴿ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾(آل عمران:١٩٤) ثمَّ ناسب ذلك أن يُبين استجابته تعالى لدعائهم وادِّخاره لأجورهم، فقال تعالى:﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾(آل عمران:١٩٥) وبذلك يظهر التناسب بين مطلع السورة وخاتمتها على أكمل وجه، ليؤكد على دقة النظم القرآني وبراعته [٢].

٤- ابتدأ الله ﷻ "هذه السورة الكريمة بذكر أدلة التوحيد والألوهية والنبوة، وختمها بذكر دلائل الوحدانية والقدرة ودلائل الخلق والإيجاد، ليستدل منها الإنسان على البعث والنشور فكان ختام مسك"[٣]؛ لينير القلوب بأدلة التوحيد، ويلفت العقول للتفكر في ملكوت السموات والأرض، حتى يعترف العبد بوحدانية الله ﷻ ومطلق قدرته.

---

[١] انظر: الأساس في التفسير، سعيد حوَّى، ج٢، ص٩٦٦.

[٢] انظر: نظم الدُّرر، ج٥، ص١٥٥-١٦٠، انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص٥٤٨.

[٣] صفوة التفاسير: الصابوني،ج١، ص٢٣٠.

ثالثاً: مناسبة السورة لما بعدها:

إنَّ التناسب بين سورة آل عمران وسورة النساء يتجلى في عدة محاور[1]:

١- ابتداء النساء بما اختتمت به آل عمران، حيث اختتمت سورة آل عمران بالأمر بالتقوى، فقال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴾(آل عمران:٢٠٠) وافتُتحت سورة النِّساء بأمر النَّاس بالتَّقوى فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ (النساء:١).

٢- تناولت سورة آل عمران أحداث غزوة أحد بالتَّفصيل وأظهرت حقيقة المنافقين الذين يسعَون لتثبيط عزائم المؤمنين والنَّيل منهم فقال تعالى:﴿هَٰٓأَنتُمۡ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمۡ وَلَا يُحِبُّونَكُمۡ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۚ قُلۡ مُوتُواْ بِغَيۡظِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾(آل عمران:١١٩) ثم جاءت سورة النساء تُعرِّج على نتائج غزوة أحد، وتكشف مقصد المنافقين وتحدِّد كيفية التعامل معهم، وبعدما ذكرتهم سورة آل عمران بنعتهم، جاءت سورة النساء لتحددهم باسمهم فقال تعالى:﴿ فَمَا لَكُمۡ فِي ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيۡنِ وَٱللَّهُ أَرۡكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهۡدُواْ مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا * وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا﴾(النساء:٨٨،٨٩).

٣- لما ذكر الله ﷻ في "سورة آل عمران قصة خلق عيسى عليه السلام، بلا أب، وأقيمت له الحجة بخلق آدم من غير آب ولا أمٍّ، وفي ذلك تبرئة لأمه مريم عليها السلام، خلافًا لما زعمته اليهود؛ وتقريرًا لعبوديته، خلافًا لما ادعته النصارى؛ ذكر سبحانه في سورة النساء الرد على الفريقين معًا"[2]، فردَّ على اليهود بقوله تعالى:﴿ وَبِكُفۡرِهِمۡ وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ﴾(النساء:١٥٦) ورداً على زعم النصارى، فأثبت الألوهية لله وحده وأكدَّ على عبودية عيسى لله ﷻ، ونسف عقيدة التثليث فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ

---

[1] انظر: روح المعاني، الألوسي، ج٢، ص٣٨٩، تناسق الدرر، السيوطي، ص٧٧، الأساس في التفسير، سعيد حوَّى، ج٢، ص٩٧٩.

[2] تناسق الدُّرر، السيوطي، ص٧٧.

مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾(النساء:١٧١).

٤- ذكرت سورة آل عمران وعد الله ﷻ لعيسى ﷺ بالعروج إلى السماء والنجاة من الكفار فقال تعالى:﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ﴾ (آل عمران:٥٥) وعرضت سورة النساء مشهد الوفاء بالوعد في قوله تعالى: ﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا * بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا﴾(النساء: ١٥٧،١٥٨).

٥- لمَّا ذكر الله ﷻ في سورة آل عمران موقف الرَّاسخين في العلم من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿لي ما مم نر نز نم نن نى ني ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح﴾(آل عمران:٧) ناسب أن يبين صفاتهم في سورة النِّساء فقال تعالى:﴿ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ وَٱلۡمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَٱلۡمُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤۡتِيهِمۡ أَجۡرًا عَظِيمًا﴾ (النساء:١٦٢).

المبحث الثاني: وضع أسس الثبات الفكري.

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: بيان وحدة المصدر والهدف للرسالات السماوية.

المطلب الثاني: نفي الألوهية عن عيسىﷺ وإثباتها لله ﷻ وحده.

المطلب الثالث: زيغ القلوب الباعث الأول على الانحراف الفكري.

المطلب الرابع: تحصين القلب بهدي الله ﷻ منبع الثَّبات الفكري.

المطلب الأول: بيان وحدة المصدر والهدف للرِّسالات السَّماوية.

قال تعالى:﴿ لخ * لى لي مج مح مخ مم مى * نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج * يخ يم يى يي □ □□ □ □ □ □ □ □ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر ﴾(ال عمران:١-٤).

أولاً: المفردات اللغوية:

﴿**الْقَيُّـومُ**﴾ "الْقَائِمُ بِنَفْسِهِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ، والقائم على غيره فكُلّ أحدٍ محتاجٌ إليه"[١].

﴿**الْفُرْقَانَ**﴾ ما يُفرق به بين الحق والباطل[٢].

ثانياً: وجوه البلاغة:

١ – التعبير عن القرآن الكريم باسم الجنس–الكتاب– في قوله تعالى: ﴿ نج نح نخ ﴾ وقد "عبر عن القرآن بالكتاب، لكمال تفوقه على بقية الكتب السماوية"[٣].

٢ – المجاز: في قوله تعالى:﴿ ني هج هم ﴾ فهي تعني أمامه، وأراد بها ما سبقه[٤] وذكرها "كناية عمّا تقدمه وسبقه من الكتب السماوية، فسمى ما مضى بين يديه لغاية ظهوره واشتهاره"[٥].

٣ – عطف العام على الخاص، في قوله تعالى:﴿ □ □ ﴾ "حيث ذكر أولاً الكتب الثلاثة، ثم عمَّ الكتب كلها لإفادة الشمول مع العناية بالخاص"[٦].

ثالثاً: المناسبة:

لما كانت خاتمة سورة البقرة أظهرت التصور العقائدي لأهل الإيمان، محددة لأركانه، ناسب أن تبدأ سورة آل عمران ببيان الركن الأول منها متمثلاً بالإيمان بوحدانية الله ﷻ وأسمائه وصفاته، ثم جاءت مبينة لسبب إقرار المؤمنين بعدم التفريق بين الرُسل عليهم الصلاة والسلام في الإيمان، متمثلاً بوحدة مصدر رسالاتهم، ووحدة هدفها المتمثل بهداية الناس للحق، كما أنَّ البقرة تزيَّنت خاتمتها باستجداء المؤمنين النَّصر من الله ﷻ على معسكر الكفر، وفي مطلع آل عمران جاءت البشرى من الله ﷻ

---

[١] تفسير غريب القرآن: الكواري، ج٣، ص٢.

[٢] انظر: فتح القدير، الشَّوكاني، ج١، ص٣٥٨.

[٣] التفسير المنير: الزحيلي، ج٣، ص١٤٤.

[٤] انظر: اعراب القران وبيانه، درويش، ج١، ص٤٥٥.

[٥] صفوة التفاسير: الصابوني، ج١، ص١٦٨.

[٦] المرجع السابق: ج١، ص١٦٨.

لعباده المؤمنين بانتقام الله ﷻ من الكافرين، وهذا الانتقام يكون على أيدي عباده في الدنيا، وبنار تلظى في الآخرة، ويظهر بذلك استجابة الله ﷻ لدعاء المؤمنين في ختام البقرة[١].

رابعاً: المعنى العام:

يبدأ الله ﷻ السورة بالحروف العربية المتقطعة الثلاث ﴿**لخ**﴾ لتنبيه السامع لما سيأتي بعدها، ثم جاءت الآيات التالية تقرر صفات الله ﷻ فهو واحدٌ أحدٌ دائم الحياة، وهو وحده المتحكم بالكون وما فيه، وهو من أنزل الكتاب على محمد ﷺ صدقاً وحقاً ومصدقاً لما تقدمه من الكتب السماوية ومتطابقاً معها في بيان الحق والدعوة إليه، كما أنه ﷻ هو مُنَزِّل التوراة والإنجيل التي يدَّعي أهل الكتاب إيمانهم بهما، وقد جحدوا أمره فيهما بالإيمان بمحمد ﷺ والفرقان الذي جاء به، بما أنه منزل أيضا من عنده ﷻ ليهديهم إلى الحق والخير[٢].

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- تحدي الثقلين مع إثبات عجزهم على أن يأتوا بمثل هذا القرآن، ويتجلى ذلك بافتتاح السورة بالحروف المتقطعة، "ففي هذا تنبيه على شرف هذه الحروف وعظم قدرها وجلالتها إذ هي مباني كلامه وكتبه التي تكلم سبحانه بها، وأنزلها على رسله، وهدى بها عباده وعرفهم بواسطتها نفسه، وعرَّفهم بها الخير والشر والحسن والقبيح، وأقدرهم على التكلم بها"[٣] ليقرع آذانهم بأنَّ هذا القرآن نُسج من الألفاظ التي تتحدثون بها، ومن الحروف التي تخُطون بها صحافكم، فأتوا بمثله!.

٢- حصر الألوهية في حق الله ﷻ وحده، ولما كان "الإثبات بعد النفي أقوى أدوات الحصر، استفتح الله ﷻ بها السورة"[٤] بقوله:﴿**لى لي مج مح مخ**﴾؛ ليؤكد على تفرده ﷻ بالألوهية.

٣- خط الطريق الأوحد للفلاح والنجاة، وسعادة الدارين، القائم على التصور الصحيح للوجود، وكمال العبودية لخالقه[٥].

٤- إثبات صفتي الحياة والقيومية لله ﷻ، لقوله تعالى: ﴿**مم مى**﴾ وهما من أخص صفات الألوهية، لأنَّ الألوهية تقتضي الكمال المطلق و"كمال القيُّومية لكمال الحياة، فالحيُّ المطلق التَّام الحياة لا تفوته صفة الكمال البتَّة، والقيوم لا يتعذر عليه فعل ممكن البتة"[٦] ولا يستحق

---

[١] انظر: نظم الدُّرر، البقاعي، ج٤، ص١٩٩، تفسير الشَّعراوي، ج٢، ص١٢٥٨.

[٢] انظر: التفسير الحديث، دروزة عزَّت، ج٧، ص١٠٧.

[٣] التبيان في أقسام القرآن: ابن القيم، ص٢٠٣.

[٤] التفسير التحليلي لسورة آل عمران، ج١، ص١٦.

[٥] انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص٣٦٧.

[٦] زاد المعاد: ابن القيم، ج٤، ص١٨٨.

الألوهية إلا من امتلك ذلك، وهذا يقتضي استحقاقه تعالى للألوهية وحده، وفي ذلك رد على كل من ادعى الألوهية لغير الله ﷻ[١].

٥- نسف عقيدة التثليث عند النصارى بإثبات وحدانية الله ﷻ واتصافه بالحياة الأزلية الأبدية التي لا يملكها غيره، وقيامه على كل شئون الكون وذلك يستلزم القوة المطلقة، والعلم بكل شيء، وكما بينت آية الكرسي أنَّ الإله لا تأخذه سِنةٌ ولا غفلةٌ، حيث يقول تعالى:﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾(البقرة: ٢٥٥) فكيف يقبل عقل بأن يكون عيسى إلهاً وهو ميت لا محالة- وقد اعتقد من يدَّعون ألوهيته بوفاته- وكيف يكون إلهاً وقد أظهر ضعفاً عند فراره ممن يريدون قتله، وخفي عنه من العلم أشياء، ثم لا ريب في إتيانه ما يعتري البشر من نوم وطعام وتعب، ونحوه، وعليه فمن ادَّعى ذلك أراد إعادة الناس للوثنية تحت عباءة التدين، لذلك وصفهم الله ﷻ بالكافرين وتوعدهم بالعذاب الشديد[٢].

٦- الإشارة لوجوب الإيمان بجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام وما أنزل إليهم من الله ﷻ لقوله تعالى:﴿ نج نح نخ نم ﴾.

٧- بيان وحدة مصير الباطل، وإن تعددت أشكاله وأسماؤه وتصوراته، فلا يمكن وصفه إلا بالانحراف عن طريق الحق، وقيادة أتباعه إلى الهاوية، في كل زمان ومكان.

٨- الإشارة لنزول القرآن الكريم منجماً، ودلَّ على ذلك "اللفظ ﴿ **نزّل**﴾ الذي يفيد الحركة والتفرق، بخلاف ﴿**أنزل**﴾ الذي يدل على الثبوت والوحدة"[٣]، وقد قال الله ﷻ في حق نزول التوراة والإنجيل ﴿**أنزل**﴾ ليشير إلى نزولهما جملة واحدة[٤].

٩- إثبات أنَّ القرآن أنزل من عند الله ﷻ، حيث "جيء بالمسند فعلا لإفادة تقوية الخبر، و للدلالة على الاختصاص: أي الله ﷻ لا غيره نزل عليك الكتاب إبطالاً لقول المشركين: إن القرآن من كلام الشيطان، أو من طرائق الكهانة، أو يعلمه بشر"[٥].

١٠- إصلاح نظام الحياة، وقطع الطريق على كل تصور ينتج عنه إفساد لحياة الفرد والمجتمع، وذلك ببناء العلاقة النقية بين العبد وربه، مما ينعكس على علاقة الأفراد في المجتمع الواحد، ومن ثم علاقة المجتمعات ببعضها[٦].

---

[١] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣، ص١٤٧.

[٢] انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج٣، ص١٤٦.

[٣] التفسير القرآني للقرآن: عبد الكريم الخطيب، ج٢، ص٣٩٥.

[٤] انظر: تفسير الشَّعراوي، ج٢، ص١٢٦٤.

[٥] التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج٣، ص١٤٧.

[٦] انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص٣٦٧.

١١- بيان تلبس القرآن بالحق، وأنَّ الأدلة على كونه منزل من عند الله ﷻ موجودة في نظمه، وبين ثنايا آياته، وهو ليس بحاجة لأدلة من خارجه[١].

١٢- "إقامة الله ﷻ الحجة على عباده بإنزال كتبه، والفرقان فيها بين الحق والباطل في كل شؤون الحياة"[٢].

١٣- ردع كل نفس تميل لسُبل الباطل متجاهلة نتيجة فعلتها، بإظهار المصير المحتوم الذي ستؤول إليه إن لم تتزجر وترعوي، بوقوع العذاب الشديد الذي لا طاقة لها به، ولا نجاة لها منه، لأنه قائم على عدل الله ﷻ، وجزاء موافقاً لما قدمته النفس.

١٤- الإشارة أن الانتقام الالهي خاضع "لإرادته تعالى وسلطانه يُنْزله أنى شاء، ومتي شاء بمقتضى حكمته، وإرادته، وقدرته، وعلمه الذي يحيط بكل شيء"[٣].

إنَّ وحدة العقيدة وصفاءها هو أقوى العوامل لترابط الأفراد، ووحدة الجماعات، وتكامل المجتمعات، فجميع الروابط الأخرى القائمة على المنافع المتبادلة، والمصالح العامة، تتلاشى بمجرد ضمور المردود المادي لها، وظهور منافع مطردة في جوانب أخرى، أما رابطة الأخوة في دين الله ﷻ القائمة على توحيد الله ﷻ وحسن عبادته، وجمع النَّاس على المنهج الذي ارتضاه تعالى لحياتهم، فعُراها لا تُنقض مهما تبدلت الظروف وتغيرت الأحوال، وهذه الرابطة التي توارثها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ودعوا أقوامهم إليها، هي وحدها القادرة على جمع شتات الأمم، فعلينا غرس مبادئها في نفوس العباد؛ ليستمسكوا بالعروة الوثقى، وليستجمعوا قواهم؛ كي يحققوا الغاية من الوجود في هذه الأرض، بعمارتها، وتطبيق المنهج الإلهي بين عمَّارها.

المطلب الثاني: نفي الألوهية عن عيسى ﷺ وإثباتها لله ﷻ وحده.

قال تعالى: ﴿ بم بن بى بي □ تز تم تن تى تي ثر *ثم ثن ثى ثي فى في قى كا كل كم كى كي لم ﴾ (آل عمران:٥-٦).

أولاً: معاني المفردات:

﴿ **يُصَوِّرُكُمْ** ﴾ يجعل خلقكم على الهيئة التي يريدها[٤].

﴿ **الْأَرْحامِ** ﴾ جمع رَحم، وهو" وعاء الجنين في بَطْنِ أمِّهِ"[٥].

---

[١] انظر: التفسير المنهجي، فضل عباس، ج٢، ص١٠.

[٢] أيسر التفاسير: الجزائري،ج١، ص٢٨٥.

[٣] زهرة التفاسير: أبو زهرة، ج٢، ص١١٠٣.

[٤] انظر: البحر المحيط، أبو حيَّان، ج٣، ص٧.

[٥] تفسير غريب القرآن: الكواري، س٣، آية ٦.

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- الطباق[١]: ويظهر بين لفظتي ﴿ **تن** ﴾ و﴿ **ثر** ﴾.

٢- الإيجاز بالحذف: "فقد حذف مفعول (يشاء) للغرابة وإظهار قدرة الله ﷻ"[٢].

ثالثاً: المناسبة:

بعد إثبات الألوهية لله ﷻ وحده، وبيان وحدة مصدر الرسالات السماوية، والإشارة لكون جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام من جنس البشر ونفي الألوهية عن أحدهم بشكل عام، ناسب أن ينفي الألوهية عن عيسى ﷺ بشكل خاص، كونه لم يحيط بجميع العلوم، وقد صوِّر في رحم أمه كباقي البشر، والإله متعالي عن ذلك لما فيه من صفات النقص التي لا تليق بمقام الألوهية؛ ليطمس بهتان الأفاكين، ويجلي صفاء المتقين[٣].

رابعاً: المعنى العام:

يؤكد الله ﷻ للجميع بأنه العليم بكل شيء، "فهو لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، صغيراً كان أو كبيراً، ظاهراً أو باطناً، وهو الذى يصوركم، وأنتم أجنة في الأرحام بصور مختلفة حسبما يريد، لا إله إلا هو العزيز في ملكه، الحكيم في صنعه"[٤].

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- إثبات الكمال لله ﷻ، لأن من لوازم الألوهية الاتصاف بصفات الكمال، والتَّنزه عن صفات النقص التي منها الخفاء لما يترتب عليه من العجز، وفقد القدرة على التحكم في الأشياء، إذ كيف تتحكم في شيء لا تعلم أين هو! فنفَى الله ﷻ ذلك عن نفسه بقوله:﴿ **بم بن بى بي تز تم تن تى تي ثر** ﴾ فالله ﷻ عالم بكل شيء، وهو قائم على ما يعلم[٥].

٢- بيان اختصاص صفة الألوهية بالله ﷻ، ونزعها عمَّا سواه، لأنَّ كلَّ شيء عداه يخفى عليه أشياء، وقد ادخر ﷻ لنفسه أسراراً لم يُطلع عليها غيره حيث يقول:﴿ **وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ** ﴾(الأنعام:٥٩) فتفرده تعالى بعلم الغيب، والذي ذروة سنامه علم السَّاعة[٦]،

---

[١] الجدول في إعراب القرآن: صافي، ج٣ص١٠٧.

[٢] اعراب القرآن وبيانه: درويش، ج١، ص٤٥٥.

[٣] انظر: نظم الدُّرر، البقاعي، ج٤، ص٢٢٠.

[٤] المنتخب في تفسير القرآن: لجنة من علماء الأزهر، ص٧٠.

[٥] انظر: الأساس في التفسير، سعيد حوَّى، ج٢، ص٧٠٣.

[٦] انظر: جامع البيان، الطبري، ج١١، ص٤٠٢.

يقتضي تفرده بالألوهية، وإحاطة علمه بدقائق الأمور كما عظيمها حيث يقول ﷻ:﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾(الأنعام:٥٩) وذلك يقتضي إذعان ما سواه له بالعبودية، والخضوع، والطاعة.

٣- إعانة العباد على فهم مراد الله ﷻ، "حيث ذكر السموات والأرض لأنَّ الحس يرى عظمتهما فيُعين العقل على معرفة عظمة علم الله ﷻ، والحسُّ متى أعان العقل على المطلوب كان الفهم أتم، والإدراك أكمل، ولذلك فإن المعانيَ الدقيقةَ إذا أريد إيضاحُها ذُكِر لها مثال؛ لأنَّ المثال يعين على الفهم"[١].

٤- إثبات خضوع جميع مراحل حياة الإنسان للمشيئة الإلهية، وعلم الله ﷻ الأزلي بكل ما ستقدم عليه نفسه، وما سيكون عليه حاله، لقوله تعالى:﴿ ثم ثن ثى ثي فى في قى﴾ وبين ذلك ما رواه عَبْدَ اللَّهِ بن مَسْعُودٍ ﷺ، قال: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ: **(أَنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا أَوْ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَهُ، ثُمَّ يُبْعَثُ إِلَيْهِ المَلَكُ فَيُؤْذَنُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، فَيَكْتُبُ: رِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَعَمَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ...)**[٢].

٥- كشف حقيقة البواعث على الكفر فهي "ليست نقصاً في الدليل، ولكنها مآرب الدنيا، والعصبية الجنسية والمذهبية، فليس الذين ينكرون ما جاء به محمد ﷺ مخلصين في إنكارهم، بل هي لجاجة العناد، وجحود المستيقن"[٣].

٦- تتبير أوهام النصارى بزعمهم ألوهية عيسى عليه السلام وذلك من ثلاث أوجه[٤]:

- كونه يخفى عليه أشياء، وذلك باعترافهم وإقرارهم.
- كونه قد صور في بطن أمه خلقاً من بعد خلق، ومرَّ بمراحل تكوين الجنين بما فيها من ضعف وحاجة لغيره، وهذا ما يتنافى مع صفات الألوهية.
- ما كان من إحيائه للموتى كان معجزة من الله ﷻ أكرمه بها، وليست من قدراته الجسدية وقد أقرَّ عيسى ﷺ بذلك حيث يقول تعالى على لسانه:﴿ **وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾(ال عمران: ٤٩) وعجزه عن الإحياء في صور أخرى يوجب قطعاً عدم ألوهيته، لأن الإله هو القادر على أن يُصَوِّرَ في الأرحام من قطرة صغيرة من النطفة هذا التركيب

---

[١] اللباب في علوم الكتاب: ابن عادل، ج٥، ص٢٦.

[٢] صحيح البخاري: ك- التوحيد، ب- ولقد سبقت كلمتنا، ج٩، ص١٣٥، ح٧٤٥٤.

[٣] زهرة التفاسير: أبو زهرة، ج٢، ص١١٠٤.

[٤] انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ج٧، ص١٣٥، اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل، ج٥، ص٢٤.

العجيب، ولم يتحقق ذلك على يد عيسى ﷺ لو كان قادراً على الإحياء والإماتة في جميع الأحوال لأمات الذين حاولوا قتله.

٧- استعراض أدلة القدرة الإلهية وإثبات دقتها حيث "يُصَوِّرُ في ظلمات الأرحام هذه البنيةَ العجيبةَ ويركبها تركيباً غريباً من أعضاء مختلفة في الشكل والطبع والصفة، فبعضها أعصاب، وبعضها أوردة، وبعضها شرايين، وبعضها عضلات، ثم إنه ضَمَّ بعضها إلى بعض على أحسن تركيب وأكمل تأليف، حيث خلق من قطرة من نطفةٍ هذه الأعضاءَ المختلفةَ في الطبع والشكل واللون، فدلَّ هذا الفعلُ المُحْكَم المتقَن على كمال علمه وقدرته"[١].

٨- إشعار الإنسان بضعفه، وحاجته لخالقه، فيعترف بفضله في الرخاء، ويهرع إليه في النوازل.

إنَّ الألوهية من الثوابت التي لا تتغير، وهي مستحقة لواحد ابتداءً، لامتلاكه جميع صفات الكمال، وغناه عمَّا سواه، فهي ليست مرتبة شرفية يفوز بها الفرد بمسابقة علمية، أو مهارة عضلية، ولقد جاءت دعوات الرسُل عليهم الصلاة والسلام والأنبياء عليهم الصلاة والسلام بأجمعها تدعو لعبادة الله ﷻ وحده، وتقر بأنه وحده الرب المتفرد بالألوهية، فوجب على جميع الناس الاعتقاد بذلك، والالتزام بكل ما أمرهم به الله ﷻ بواسطة رُسُله، وأمَّا من ادعى الألوهية لغير الله ﷻ فهو على ضلال، ومن ادَّعى الألوهية لأحد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فقد بالغ في الإضلال، فالرسُل عليهم الصلاة والسلام هم الواسطة بين الله ﷻ وعباده، والحق أن يميزهم الله ﷻ عن سائر الناس بالمعجزات الخارقة، فإذا شعرت أنهم أسمى من أصحابهم فلا يعني أنهم وصلوا لما تدعي بحقهم، وأما جادة الصواب أنَّ العبرة بما يقوله الرُسل عليهم الصلاة والسلام وليس ما يُقال عنهم، فهل ثبت عن عيسى ﷺ وغيره من الرُسل عليهم الصلاة والسلام ادِّعاء الألوهية، بل كانت دعوة جميع الرُسل عليهم الصلاة والسلام قائمة على عبادة الله ﷻ وحده، والحكم بين العباد بما أنزل الله ﷻ في أرجاء المعمورة.

المطلب الثالث: زيغ القلوب الباعث الأول على الانحراف الفكري.

قال تعالى: ﴿لي ما مم نر نز نم نن نى ني يز ير يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح﴾(آل عمران:٧).

أولاً: المعاني اللغوية:

﴿نى﴾ "أحكمت عباراتها، ووضحت دلالاتها، وحفظت من الاحتمال والاشتباه"[٢].

---

[١] اللباب في علوم الكتاب: ابن عادل، ج٥، ص٢٥.

[٢] اعراب القرآن وبيانه: درويش، ج١، ص٤٥٦.

﴿ يم ين﴾ المشكلات والمتماثلات[١]، مَا لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ إِلَى عِلْمِهِ سَبِيلٌ مما استأثر الله ﷻ بعلمه دُونَ خَلْقِهِ"[٢].

﴿ ئخ ﴾ "الْمَيْلُ عَنِ الِاسْتِقَامَةِ إِلَى أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ"[٣] والمراد الانحراف عن الحق[٤].

﴿ بم ﴾ "الإضلال عن الحق"[٥].

﴿ حج ﴾ الثابتون على الشيء، المتمكنون منه[٦].

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- **الاستعارة:** في قوله تعالى:﴿ ني ير ﴾ حيث "شبّه أصول الآيات المحكمات بالأم، وسائر الآيات يتبعها أو يتعلق بها، كما يتعلق الولد بأمه"[٧].

٢- **الاستعارة:** في قوله تعالى:﴿ حج حم خج ﴾ "شبه المتمكنين في العلم بالأشياء الثقيلة الراسخة في الأرض"[٨].

٣- **التشبيه:** في قوله تعالى:﴿ ئج ئح ئخ ﴾ "شَبَّهَ الْقَلْبَ الْمَائِلَ عَنِ الْقَصْدِ بِالشَّيْءِ الزَّائِغِ عَنْ مَكَانِهِ"[٩].

ثالثاً: المناسبة:

لما بين الله ﷻ في الآيات السابقة إنزاله للكتاب بالحق، ناسب أن يبين ما يحتويه الكتاب، والسبيل الذي يسلكه أهل الباطل ليُضلوا الناس عن الحق[١٠].

---

[١] لسان العرب: ابن منظور، ج١٣، ص٥٠٣.

[٢] الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، ج٤، ص٩.

[٣] البحر المحيط: أبو حيَّان، ج٣، ص٧.

[٤] انظر: تفسير غريب القرآن، الكواري، ج٣، ص٧.

[٥] مختار الصحاح: الرازي، ج١، ص٢٣٤.

[٦] انظر: صفوة التفاسير، الصابوني، ج١، ص١٦٦.

[٧] التفسير المنير: الزحيلي، ج٣، ص١٤٩.

[٨] المرجع السابق: ج٣، ص١٤٩.

[٩] البحر المحيط: أبو حيَّان، ج٣، ص٣٩.

[١٠] انظر: المرجع السابق، ج٣، ص٢٥.

رابعاً: المعنى العام:

يخاطب الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ مبيناً أنه وحده الذي أنزل عليه القرآن الكريم، وجعل منه آيات واضحات الدلالة، هن أصل الكتاب الذي يُرجع إليه عند الاشتباه، ويُرَدُّ ما خالفه إليه، ومنه آيات متشابهات تحتمل بعض المعاني، لا يتعيَّن المراد منها إلا بضمها إلى المحكم، فأصحاب القلوب المريضة، لسوء قصدهم يتبعون الآيات المتشابهات وحدها، ليثيروا الشبهات عند الناس، كي يضلوهم، ويؤولوها لتخدم مذاهبهم الباطلة، ولا يعلم حقيقة معاني هذه الآيات إلا الله ﷻ والمتمكنون في العلم يقولون: آمنا بهذا القرآن، كله قد جاءنا من عند ربنا على لسان رسوله ﷺ، ويردُّون متشابهه إلى محكمه، وإنما يفهم ويعقل ويتدبر المعاني على وجهها الصحيح أصحاب العقول السليمة[١].

خامساً: وجوه الإعراب:

اختلف في إعراب الواو في قوله تعالى:﴿ ﴾ على قولين[٢]:

١- أنها عاطفة، وعلى ذلك فالتعبير يفيد "أنَّ الراسخين في العلم يعلمون تأويله أيضاً، والتقدير: والراسخون في العلم الذين يقولون آمنا به كل من عند ربنا يعلمون تأويله"[٣].

٢- أنها إنشائية، والجملة مستقلة عن سابقتها، وذلك يفيد أن الراسخين في العلم لا يخوضون في تأويله ويوكلون أمره إلى الله ﷻ.

الجمع بين الوجهين: على الرأي الأول بأنها عاطفة فالراسخون في العلم يعلمون تأويل بعض المتشابه الذي هو بين المحكم وبين ما استأثر الله ﷻ بعلمه، مما وهب الله ﷻ لبعض عباده من إدراكه وفهمه واستنباطه من النصوص ورد المتشابه للمحكم، وهم الراسخون في العلم وإلا لاستوى الجاهل مع العالم، وانتفت الحاجة للعلم، أما على الرأي الثاني القائل بالاستئناف فالمراد أنَّ الراسخين في العلم لا يعلمون بعض المتشابه الذي استأثر الله ﷻ بعلمه كيوم الحساب والروح والحروف المقطعة في أوائل السور، ويؤمنون بذلك دون الخوض في حقيقته[٤].

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- بلوغ أعلى درجات التحدي للناس عامة وللعرب خاصة على الإتيان بمثل القرآن الكريم، وذلك بنزوله على أعلى دروب الفصاحة، وصور البديع الذي احتوته اللغة العربية، فكان

---

[١] انظر: التفسير الميسر، نخبة من علماء التفسير، ص٥٠.

[٢] انظر: جامع البيان، الطبري، ج٦، ص١٩٧؛ التفسير الحديث، دروزة عزت، ج٧، ص١٢١.

[٣] التفسير الحديث، دروزة عزت، ج٧، ص١٢١.

[٤] انظر: البحر المحيط، أبو حيَّان، ج٣، ص٢٩.

بعضه موجزاً لا يخفى على سامعه، والآخر على صور: المجاز، والكنايات، والإشارات، والتلويحات، وهذه الدروب كانت المستحسنة والأفصح عند العرب؛ ليقول لهم عارضوه على الوجه الذي شئتم، ليتحقق عجزهم عن الإتيان بمثله[١].

٢- اختبار العباد، "ليقف المؤمن عنده، ويردّه إلى عالمه، فيعظم بذلك صوابه، ويرتاب به المنافق، فيداخله الزيغ، فيستحق بذلك العقوبة"[٢].

٣- إقامة الحجة على العباد، بإيضاح الأحكام المتعلقة بأفعالهم، "فالمُحْكم جاء للأحكام المطلوبة من الخلق، أي افعل كذا، ولا تفعل كذا، ومادامت أفعالا مطلوبة من الخلق فالذي فعلها يُثاب عليها، والذي لم يفعلها يُعاقب، إذن فسيترتب عليها ثواب وعقاب، فيأتي بها صورة واضحة"[٣] وبذلك أغلق الطريق أمام التلكؤ والمماطلة، والتهرب من الواجبات.

٤- توجيه المؤمنين إلى التوقف عند ما لا تدركه عقولهم مما أخفى تفاصيله عنهم، والبحث والتعمق في فهم واستنباط ما بين لهم قواعده مما تتطلبه حياتهم العملية[٤].

٥- دفع العباد إلى التَّفقه في علوم الدين، والتزود من علوم الدنيا، للوقوف على حقائق الأمور، وعدم الانخداع والوقوع في سهام الأعداء.

٦- ذم التأويل وفق دوافع الهوى بغير دليل محكم، لما في ذلك من أثر على وحدة المسلمين، وميلاد أفكار ومبادئ ومذاهب منحرفة عن مقاصد الإسلام، فتشتعل الفتن وتراق الدماء[٥].

٧- التحذير من خطر أمراض القلوب على سلوك الإنسان، فالقلب السليم هو ما كان على أصل الفطرة، وهو يدفع صاحبه إلى ما ينسجم معها، بينما القلب المعلول الذي لدغته آفات الهوى، فيُخضع صاحبه لأفعال تخدم ذلك الهوى فيضل عن سبيل الله ﷻ، وأشار الله ﷻ لأصحاب هذه القلوب بقوله:﴿ **يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج** ﴾ وبين النبي ﷺ خطر القلب على الأعمال في قوله:(..**أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ**)[٦].

٨- اشتراط انسلاخ العلماء عن براثن الأهواء، ومنابع الزيغ، وتجردهم للفهم السليم لدين الله ﷻ، والتنزه عن إخضاع النصوص القرآنية، والهدي النبوي، لمهادنة الطغاة، وأصحاب الأهواء.

---

[١] انظر: زاد الميسر، الجوزي، ج١، ص٢٥٩.

[٢] المرجع السابق: ج١، ص٢٥٩.

[٣] تفسير الشعراوي: ج٢، ص١٢٧٣.

[٤] انظر: البحر المحيط، أبو حيَّان، ج٣، ص٢٤، التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ج٢، ص٤٠٢؛ التفسير المنير، الزحيلي، ج٣، ص١٥٥.

[٥] انظر: فتح البيان في مقاصد القران، ج٢، ص١٨١.

[٦] صحيح البخاري: ك- الإيمان، ب- فضل من استبرأ لدينه، ج١، ص٢٠، ح٥٢.

٩- وجوب هجران أهل الزيغ، وأصحب الأهواء الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، وذلك حماية للنفس من الوقوع في براثن الفتنة[١].

١٠- الرد على النصارى، "الذين احتجوا بالآيات المتشابهات؛ ليثبتوا ألوهية عيسى ﷺ، فأولوا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾(النساء:١٧١) فاستغلوا قوله:﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ﴾ ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾؛ ليزعموا أنَّ عيسى ﷺ ابن الله، أو جزء منه"[٢] – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً– وتركوا المحكم وهو قوله تعالى:﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ (الزخرف:٥٩) .

١١- تربية العباد على التؤدة وعدم التسرع في الحكم على الأشياء، فكثير من الخطط الاستراتيجية تكون في مراحلها الأولى في ظاهرها مخالفة لمقاصدها، ولنا في القرآن الكريم، أنموذج متكامل في قصة موسى مع الرجل الصالح، فعندما خرق السفينة أراد حمايتها، وهذا في الظاهر إفساد لها، لكن في الحقيقة ليس كذلك[٣].

١٢- إثارة العقول ودفعها للبحث والعمل للوصول للحقائق، فالله ﷻ لم يبين المتشابه حتى "لا تأتي الأمور بمنتهى الرتابة التي يجمد بها عقل الإنسان عن التفكير والإبداع، والله ﷻ يريد للعقل أن يتحرك وأن يفكر ويستنبط وعندما يتحرك العقل في الاستنباط تتكون عند الإنسان الرياضة على الابتكار، والرياضة على البحث"[٤].

١٣- بيان أنَّ كمال الإيمان يقتضي التصديق بكل ما جاء في القرآن الكريم سواء ظهر معناه، أو أخفاه الله ﷻ عن أفهامنا "لأنَّ الحق يريد أن نؤمن به وهو الآمر، ولو أن كل شيء صار مفهوماً لما صارت هناك قيمة للإيمان إنما عظمة الإيمان في تنفيذ بعض الأحكام وحكمتُها غائبة عنك؛ لأنك إن قمت بكل شيء وأنت تفهم حكمته فأنت مؤمن بالحكمة، ولست مؤمناً بمن أصدر الأمر"[٥].

١٤- امتداح أصحاب القلوب الصافية النيرة التي تتعظ بآيات الله ﷻ وتؤمن بكل ما أنزله في كتابه دون إفراط ولا تفريط، ولا تكتفي بقشور العلم، بل يتفكرون في آيات الله ﷻ ويستنبطون العبر والفوائد، تذكرةً لهم، وهدايةً لإخوانهم[٦].

---

[١] انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج١، ص ٢٨٨.

[٢] قبس من نور القرآن: الصابوني، ج١، ص١٠٨.

[٣] انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ج٢، ص٤٠١.

[٤] تفسير الشعراوي: ج٢، ص١٢٨٠.

[٥] المرجع السابق: ج٢، ص١٢٨١.

[٦] انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص٣٧٠.

مما لا شك فيه أنَّ الله ﷻ مايز بين النَّاس فلم يجْبِلهم على طابع واحد، بل تجد لكل فرد ميوله وخصاله، ولما كانت الدُنيا قد حُفَّت بشهوات تميل قلوب العباد إليها، كانت قلوب العباد تتأرجح بين ما أباح الله ﷻ لهم الاستمتاع به، وما حظر عليهم الاقتراب منه، لذلك أنزل الله ﷻ الرُسُل عليهم الصلاة والسلام تباعاً ليُصوبوا مسار الحياة للناس نحو الفطرة السليمة، وفق المنهج الذي حدده الله ﷻ لهم، ولكن غرور الدنيا ونزغات الشيطان صدت بعض الناس عن الحق، وزينت لهم الباطل فاستمرؤوه حتى قاتلوا من أجله كأنه الحق، ونحن نرى في زماننا أناساً يعترفون أنهم يسيرون على طريق الباطل، ولكن شهواتهم وزينة دنياهم تدفعهم للسير في فلكه، ومجابهة الحق، ولذلك وجب على الدعاة علاج معضلات القلوب، باقتلاع قضبان الدنيا من حولها، وزلزلتها بأهوال يوم تُزلزل الأرض زلزالها، ثم نسج خيوط رقائق الإيمان حولها، وطلائها بوهج التجرد لله ﷻ، حتى تقود أصحابها لتطبيق الأهداف السامية، التي رسمها الله ﷻ لنا في كتابه، وخطَّ طريقها لنا نبيه ﷺ في سنته.

المطلب الرابع: تحصين القلب بهدي الله ﷻ منبع الثبات الفكري.

قال تعالى: ﴿ **عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم** ﴾ (ال عمران: ٨-٩).

أولا: المفردات اللغوية:

﴿ **الْوَهَّابُ** ﴾ من أسماء الله ﷻ، "الهِبَة: العَطِيَّة الخَالِيَةُ من الأعْوَاضِ والأَغْرَاضِ والمراد: يُعْطِي كل أحَدٍ عَلَى قَدْرِ اسْتِحْقَاقِهِ"[١].

﴿ **رَيْبَ** ﴾ ظن، وشك[٢].

ثانياً: المناسبة:

بعدما صنَّف الله ﷻ آيات القرآن الكريم إلى محكم ومتشابه، وبين انقسام الناس إلى أهل إيمان وأهل زيغ عن الحق، وبين موقف كل منهما من آيات الله ﷻ، ناسب أن يبين سبيل الثبات على الحق، والعصمة من الضلال، وذلك باللجوء إلى ركن الله ﷻ الشديد، والتبتل إليه بالدعاء الخالص، بالهداية للصراط المستقيم، وتذكر مصير الخلائق، ولحظة الوقوف أمام يدي الله ﷻ.

---

[١] تفسير غريب القرآن: الكواري، ج٣، ص٨.

[٢] تاج العروس: الزبيدي، ج٢، ص٥٤٧.

ثالثاً: المعنى العام:

والعلماء العاقلون يقولون : رَبَّنا يا من ربيتنا بلطفك على نشأة توحيدك لا تمل قلوبنا عن الحق سيما بَعْدَ أن أرشدتنا إليه وتفضل علينا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً عامة شاملة لليقين العلمي والعيني والحقي إنك أنت الوهاب والجواد الفياض يا ربنا إنا نُقِرُّ ونشهد بأنك ستجمع الناس في يوم لا شَكَّ فيه، وهو يوم القيامة، إنَّك لا تُخلف ما وعَدْتَ به عبادك[١].

رابعاً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- تغذية الروح البشرية، وشحنها بالطاقة والحيوية، المستمدة من نور الوصال بين النفس وخالقها؛ لتسموا وتعرج إلى الملكوت الأعلى، ليصبح صاحبها يرى بنور بارئها، فيطمئن قلبه، لدوام ذكره لربه، ليتحقق فيه قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾ (الرعد:٢٨) وتنعكس هذه السكينة على تصوراته للكون، وتصوب قراراته وتهذب سلوكه، فينال سعادة الدارين[٢] كما قال الشاعر:

والذِّكرُ فيه حَيَاةٌ للقُلُوبِ كما . . . يُحيِي البِلادَ إذا ما ماتَت المَطَرُ[٣].

٢- بيان أفضلية الدعاء بأسماء الله الحسنى، حيث تَزين الدعاء في الآية باسم الله ﴿الْوَهَّابُ﴾ وقد أمر الله ﷻ عباده بأن يدعوه بهذه الأسماء في قوله:﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾(الأعراف: ١٨٠) "فهي أجلُّ ما ينطق به اللسان، وأفضل ما يتجمل به من الكلام، وأنفع ما يفزع إليه الإنسان على الدوام، ففي دعائه بأسمائه، وصفاته توحيد لله في صفاته وأسمائه وتذلل وتضرع واعتراف بأنه الضار النافع المعطي المانع"[٤].

٣- وجوب التأدب مع الله ﷻ في الدعاء، وإظهار المشهد في أقصى درجات تذلل العبد لربه، باستخدام الألفاظ التي تتضمن الإقرار بالكمال الإلهي، حيث دعا الله ﷻ بالربوبية، التي تشير لخلقه كل شيء وقيامه عليه، وناجاه بأحد أسمائه الحسنى ﴿ الْوَهَّابُ﴾ اعترافاً بتفضله تعالى على عباده ابتداء وليس حقاً[٥].

---

[١] انظر: الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية، علوان، ج١، ص ٩٩، التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير ص٥٠.

[٢] انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج٤، ص١٣٩، دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي، ص١٧٢، صيد الأفكار، المهدي، ج١، ص١٦٩.

[٣] التبصرة: ابن الجوزي، ج١، ص١٠٨.

[٤] صيد الأفكار: المهدي، ج١، ص١٧٣.

[٥] انظر: تفسير الشعراوي، ج٢، ص١٢٨٥.

٤- إثبات أنَّ القلوب هي المتحكم الأول في تصرفات الإنسان، ثم يأتي العقل ثانياً، ودلَّ على ذلك اختصاصهم لصلاح القلب بالدعاء، لأنه مقر الإيمان والموجه للعقل[١] ويقول الإمام النَّورسي[٢] في بيان ذلك: "ضياء القلب هو العلوم الدينية ونور العقل هو العلوم الحديثة فبامتزاجهما تتجلى الحقيقة فتتربى همة الطالب وتعلو بكلا الجناحين وبافتراقهما يتولد التعصب في الأولى والحيل والشبهات في الثانية"[٣].

٥- دفع العباد إلى طلب العون من الله ﷻ على طاعته، والثبات على النهج الذي يرتضيه، لإدراكهم أنَّ الله ﷻ هو المتحكم في قلوب العباد، يهديهم للنجاة، أو يستدرجهم للهلاك[٤]، ودلَّ على ذلك ما سمعه عمرو بن العاص ﷺ عن النبي ﷺ يقول:**(إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ)**[٥].

٦- قطع الطريق على كل من يشكك في حدوث يوم القيامة، والتأكيد على حق وقوعه.

٧- بيان أثر ذكر أهوال يوم القيامة على النفس المؤمنة، وتوطينها على طاعة الله ﷻ، وتثبيت أقدامها على الصراط المستقيم، "فلو لم يكن هناك بعث، ولا حساب، ولا جزاء، لكان الإيمان بالله ﷻ مجرد تصور عقلي، لا يكاد يؤثر في سلوك الإنسان، أو يمسك زمام هواه، وإذ يذكر المؤمن يوم البعث والجزاء ويستحضر أهواله، وما يلقى فيه العصاة من عذاب، يخشع لله ﷻ ويخضع، ويفكر أكثر من مرة، قبل أن يرتكب منكراً، أو يواقع معصية"[٦].

٨- إدراك قيمة الهدى بعد الضلال، فمن عاش في ظلمات الباطل والصراع بين الفطرة والشذوذ، وذُل العبودية للخلق، ثم هداه الله ﷻ لدين الفطرة يدرك "قيمة الاهتداء بعد الضلال، والرؤية

---

[١] انظر: البحر المحيط، أبو حيَّان، ج٣، ص٤٠.

[٢] سعيد النورسي ولد عام ١٨٧٣م من أبوين كرديين في قرية نورس القريبة شرقي الأناضول، تلقى تعليمه الأولي في بلدته، ولما شبّ ظهرت عليه علامات الذكاء والنجابة حتى لقب بـ (بديع الزمان)، في الثامنة عشر من عمره ألَمَّ بالعلوم الدينية وبجانب كبير من العلوم العقلية، وحفظ القرآن الكريم آخذاً نفسه بالزهد والتقشف، انتقل إلى استانبول لتأسيس الجامعة الزهراء لتكون على شاكلة الجامع الأزهر بمصر لمواجهة المد العلماني، عين عضواً في أعلى مجلس علمي في الدولة العثمانية وهو دار الحكمة الإسلامية، وكان له دور عظيم في مجابهة مؤامرات الماسونية في تركيا، وكان ضابطاً في الجيش التركي في الحرب العالمية الأولى ناشراً أفكاره بين عناصر الجيش حتى نفي من تركيا بعد سقوط الخلافة، توفي عام ١٩٦٠ (الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ج١، ص٣٢٦).

[٣] موقع ويكيبيديا: بديع_الزمان_سعيد_النورسي /http://ar.wikipedia.org/wiki

[٤] انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ج٧، ص١٤٨.

[٥] صحيح مسلم: ك- القدر، ب- تصريف الله ﷻ القلوب كما شاء، ج٤، ص٢٠٤٥، ح٢٦٥٤.

[٦] مفاتيح الغيب، الرازي، ج٧، ص١٤٨.

الواضحة بعد الغبش، والاستقامة على الدرب بعد الحيرة، والطمأنينة للحق بعد الأرجحة، والتحرر من العبودية للعبيد بالعبودية لله وحده"[1].

٩- بيان "استحباب الدعاء بطلب النجاة عند ظهور الزيغ، ورؤية الفتن، والضلال"[2].

لقد تحقق في كل إنسان عند الكرب اللجوء لمن يجد عنده ما يعينه على كشف كربته، فترى الفقير يلجأ لصاحب غنى ليستدين منه ما يخفف فقره، وترى الحيران يذهب لذي حكمة ليستعين برأيه، فكل ذي حاجة يلجأ لمن يقضي حاجته، ولما كان الله ﷻ هو الصمد الذي بيده قضاء جميع حوائج الناس، وكانت القلوب بيده يقلبها بين الهدى والضلال، كان لا بدَّ للباحث عن الهدى والثبات على الحق ليفوز بالدارين، أن يلجأ إلى الله ﷻ متضرعاً إليه بفتح آفاق الهدى لقلبه، وعصمتها من الزيغ عنه، لاعتقاده أنَّ الله ﷻ وحده الهادي، عملاً بقوله تعالى:﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾(القصص:٥٦) وهذه النفوس الدائمة الاتصال بالله ﷻ هي الأقدر على جذب الناس إلى فلك الهدى، وتوجيه طاقاتهم نحو إصلاح العباد، وإقامة حكم الله ﷻ في أرجاء البلاد.

---

[1] في ظلال القرآن: سيد قطب، ج١، ص٣٧٠.

[2] أيسر التفاسير: الجزائري ج١، ص ٢٨٨.

المبحث الثالث: بيان بواعث الثَّبات العملي.

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: بيان عاقبة الانحراف عن الحق، والصَّد عن سبيل الله ﷻ.

المطلب الثاني: اشتراط الثَّبات على الحق للظَّفر بتأييد الله ﷻ ونُصرته.

المطلب الثالث: التَّحذير من بواعث الانحراف والهزيمة.

المطلب الأول: بيان عاقبة الانحراف عن الحق، والصد عن سبيل الله ﷻ.

قال تعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ *كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ *قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴾(آل عمران:١٠-١٢).

أولاً: المفردات اللغوية:

﴿ **وَقُودُ** ﴾ الحطبُ الذي توقد به النار لتستمر في اشتعالها[١]

﴿ **دَأْبِ** ﴾ ملازمة العادة، ونفس الشأن[٢].

﴿ **الْمِهَادُ**﴾ "المقام، والمستقر والفراش الممهد لاستقبال الضيف أو للنوم"[٣].

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- **الإيجاز بالحذف:** في قوله تعالى:﴿ مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ﴾ والمراد: من عذاب الله ﷻ شيئاً[٤].

٢- **التشبيه التمثيلي:** حيث شبه حال "المشركين في اجتهادهم في كفرهم وتظاهرهم على النبي ﷺ وتكذيبهم بآيات الله ﷻ، بحال آل فرعون في تظاهرهم على موسى ﷺ وتكذيبهم بآيات الله ﷻ التي جاء بها، فوجه الشبه مركب من أمور مجتمعة هي: الانغماس في الكفر، وعداوتهم للنبي، والتكذيب بآيات الله ﷻ، وليس من شيء واحد من هذه الأشياء"[٥].

٣- **الالتفات من "الغيبة للحاضر**: في قوله تعالى: ﴿ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ ﴾ والأصل أخذناهم"[٦].

ثالثاً: المناسبة:

بعدما تناولت الآيات السابقة كفر النصارى وغلوهم في شأن عيسى بن مريم، مبينة ما اشتهروا به من الضلال بتحريف الكلم عن مواضعه وتتبع المتشابه وتأويله، وبعدما تحدثت الآيات عن حال المؤمنين ودعائهم وتضرعهم أن يثبتهم الله ﷻ على الحق، جاءت هذه الآيات لتتحدث

---

[١] انظر: لسان العرب، ابن منظور، ج٣، ص٤٦٥.

[٢] انظر: تاج العروس، الزبيدي، ج٢، ص٣٨٩.

[٣] التفسير المنهجي: فضل عباس، ج٢، ص١٥.

[٤] التفسير المنير: الزحيلي، ج٣، ص١٥٨.

[٥] الجدول في اعراب القرآن: صافي، ج٣، ص١١٩.

[٦] صفوة التفاسير: الصابوني، ج١، ص١٧٢.

عن عامة الكافرين مبينة السبب الرئيس الدافع للضلال والانحراف، وهو الاغترار بالحياة الدنيا وشهواتها، والتكالب على جمع الأموال، والتباهي بالبنين[1].

ولمَّا كان المال هو عصب الحياة، وكانت الذرية هي وقود الحياة على سطح الأرض وضمان لاستمرارها، غير أنَّ الدين مقدَّم عليهما، ناسب أن يكون من قدم المال والأولاد على اتباع دين الحق في الدنيا، وقوداً لنار جهنم ليزيد اشتعالها، فالله ﷻ جعله أداة لاستمرار اشتعال النار في الآخرة، كما جعل المال وسيلة لاستمرار الحياة الدنيا.

رابعاً : المعنى العام:

يؤكد الله ﷻ بأنَّ الذين كذبوا بآيات الله ﷻ ورسله ﷺ، لن تخلصهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله ﷻ إن استمروا في غيهم وضلالهم، ولا تخفف عنهم شيئاً من ألوان العذاب، وحال هؤلاء الكافرين بدين محمد ﷺ كحال أسلافهم الذين كفروا بموسى ﷺ، في جحودهم للحق رغم إقرارهم به، فكانت نتيجة ذلك أن أخذهم الله ﷻ أخذ عزيز مقتدر، حيث أهلكهم إهلاكاً شديداً، وكذلك كان حال جميع الكافرين برسل الله ﷻ على مر القرون، فقل يا محمد لبني إسرائيل الذين يجادلونك في الحق بعدما تبين أنهم ومن سار على شاكلتهم سيهزمون في الدنيا على أيدي عباد الله المؤمنين، وسيجدون نار جهنم تلظى، وتهوي بهم إلى باطنها ليتذوقوا عذابها، فبئس المقر الذي هيأتموه لأنفسكم[2].

خامساً: وجوه القراءات:

في قوله تعالى:﴿ **سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ**﴾ قراءتان:

١- قرأ حمزة والكسائي، وخلف: بياء الغيبة ﴿**سَيُغْلَبُونَ وَيُحْشَرُونَ**﴾ وعلى ذلك يكون الخطاب لليهود بمعنى: قل يا محمد لليهود أنهم سيغلبون.

٢- قرأ الجمهور بتاء الخطاب:﴿**سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ**﴾ وعليه يكون الخطاب لليهود والمشركين أجمع، بمعنى قل يا محمد لجميع الكافرين أنهم سيغلبون[3].

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- تحذير المؤمنين من الانحراف لمسلك الكفار، بالركون للدنيا والانغماس في الشَّهوات والاعتبار من قصص السابقين لأنَّ "العاقل من اعتبر بغيره، ولا عبرة لغير أولي الأبصار"[4].

---

[1] انظر: قبس من نور القرآن الكريم، الصابوني، ج١، ص١٠٩، صفوة التفاسير، الصابوني، ج١، ص١٧٠.

[2] انظر: التفسير الوسيط، الزحيلي، ج١، ص١٧٧؛ التفسير المنهجي: فضل عباس، ج٢، ص١٥.

[3] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣، ص١٧٦؛ معاني القراءات، الأزهري، ج١، ص٢٤٢.

[4] أيسر التفاسير: الجزائري، ج١، ص٢٩١.

٢- الإشارة إلى أنَّ أكثر ما يقود الناس إلى النَّار تقديم حوزة المال على نصرة الحق، وكنز المال وعدم إنفاقه في سبيل الله ﷻ، لقوله تعالى:﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ * يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ﴾(التوبة:٣٤،٣٥) وتشير إلى أنَّ الأبناء الذين من صلبه، والذين أنفق جُلَّ هذا المال لأجلهم في حياته، وأورثهم إياه بعد مماته، لن ينفعوه يوم انبعاثه[١].

٣- بيان فساد قياس أمور الدنيا على ما هو واقع يوم القيامة، فإن كانت الأموال والأولاد مظنة حماية ووقاية في الدنيا، وفيها تغيير لأحوال الناس، فهي معدومة القيمة في الآخرة، فلا أثر لها على حال الكافرين،[٢] وقد بين الله ﷻ ذلك بقوله:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡ أَحَدِهِم مِّلۡءُ ٱلۡأَرۡضِ ذَهَبٗا وَلَوِ ٱفۡتَدَىٰ بِهِۦٓۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾(ال عمران:٩١).

٤- إنذار المشركين بأنَّ "الهزيمة ستلحقهم في الدنيا، والعذاب سيستقبلهم يوم القيامة"[٣].

٥- بيان استمرار سُنة أهل الباطل في جحود الحق، والتكذيب بالرُسل عليهم الصلاة والسلام والعناد والمكابرة، على مرِّ الأزمان، "كما جرى لفرعون ومن قبله ومن بعدهم من الفراعنة العتاة الطغاة أرباب الأموال والجنود لما كذبوا بآيات الله ﷻ وجحدوا ما جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام أخذهم الله ﷻ بذنوبهم عدلاً"[٤]، وكذلك الحال بين أتباع دعوة الإسلام، وحزب إبليس في الصَّد عن سبيل الله ﷻ إلى يوم الدين.

٦- لفت الأنظار إلى أنَّ دعوى الألوهية لأحد من بني البشر مدعاة للتوبيخ والتقريع، وليست منبراً للتشريف، ولذلك خص آل فرعون بالذكر؛ لتأليههم فرعون وعبادته من دون الله ﷻ، حتى استعلى على الخلق وادعى الألوهية، وفي ذلك طمس لأوهام النصارى بادعاء ألوهية عيسى ﷺ رفعة لشأنه.

٧- مؤازرة النبي ﷺ في تصديه لجحود وعناد الكافرين الذين حذرهم من عاقبة الكفر يوم القيامة، فردوا عليه بقولهم:﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾(سبأ: ٣٥) فجاء الرد الرباني بانتفاء النصرة بالمال والولد يوم المعاد فقال تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ﴾(آل عمران:١٠) ثم جاء الأمر الإلهي للنبي ﷺ أن يتولى بنفسه الرد عليهم، كونه جُرد من المال والولد، فيبشرهم بالهزيمة النكراء

---

[١] انظر: بحر العلوم، السمرقندي، ج١، ص١٩٦.

[٢] انظر: تفسير المراغي، ج٣، ص٩، في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص٣٧١.

[٣] زهرة التفاسير: أبو زهرة، ج٣، ص١١٢٥.

[٤] تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ج١، ص١٢٣.

في الدنيا، والخزي والعذاب يوم الحساب فقال تعالى لنبيه:﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ ليشُد من أزره ﷺ ويُرْكِس الكافرين بما كسبت أيديهم[1].

٨- تبشير المؤمنين بالنصر على أعدائهم في الدنيا، والفوز والنجاة يوم القيامة، وهذا ما يتضمنه مفهوم المخالفة، فما دام الكفار سيغلبون في الدنيا، ويعذبون في الآخرة، إذن لا بد من انتصار المؤمنين في دار الممر، والفلاح حيث المستقر.

لا تجد أحداً في الأرض إلا ويسعى لما يظن أنَّ فيه الخير لنفسه، فتراه مشغوفاً بجمع المال، وحوزة السلطان والجاه، معتقداً أنه الخير بعينه، ولكنَّ عين الخير يكمن في الحكمة في فهم الأمور وادارتها لقوله تعالى:﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(البقرة:٢٦٩) ومردود الحكمة على العبد معرفة عاقبة الأمور، فكثير من الأعمال يظهر عليها الخير والصلاح، ولكنها تحمل في طياتها الحسرة والهلاك، ولما كانت الأحداث المستقبلة من الغيب الذي أخفاه الله ﷻ عنَّا لحكمة ظاهرة كما قال تعالى:﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(الأعراف:١٨٨) كانت الحكمة تقتضي تحليل أحداث الماضي وتقصي العبرة منها للانتفاع بها في فهم أحداث المستقبل بالقياس عليها، لذلك نجد الآيات القرآنية تتناول قصص السابقين مظهرة العبرة منها، محذرة إيانا من اتباع سننهم حتى لا يحل بنا الهلاك مثلهم، وتتجلى بذلك رحمة الله ﷻ بنا فهو لم يتركنا لنقع في أهوال المستقبل دونما تحذير، بل جاءت القوانين واضحة جلية فيما يتعلق بالصراع بين الحق والباطل، وسبيل الهدى والضلال، فبين البواعث والأحداث والمصير، لتكتمل الصورة، ويتعذر الاحتجاج بالجهل على أحد.

المطلب الثاني: اشتراط الثبات على الحق للظفر بتأييد الله ﷻ ونصرته.

قال تعالى:﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾(آل عمران:١٣).

---

[1] انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج٣، ص١١٢٥.

أولاً: المفردات اللغوية:

﴿ **آيَةٌ** ﴾ "عِبْرَة ودلالة على صِدْقِ مَا أقول"[١].

﴿ **فِئَةٌ** ﴾ طائفة أو جماعة من الناس[٢].

﴿**عِبْرَةً** ﴾ "الاتعاظ وَهُوَ الِاسْتِدْلَالُ بِشَيْءٍ عَلَى شَيْءٍ يُشْبِهُهُ"[٣].

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- **الاحتباك: في قوله تعالى:** ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ فحذف من الجملة الأولى ما يفهم من الثانية، وحذف من الثانية ما يفهم من الأولى، والتقدير: "فئة مؤمنة تقاتل في سبيل الله ﷻ وفئة أخرى كافرة تقاتل في سبيل الشيطان"[٤].

٢- **الجناس:** بين قوله تعالى:﴿ **يَرَوْنَهُم**﴾ وقوله تعالى:﴿ **رَأْيَ** ﴾[٥].

ثالثاً: المناسبة:

لما توعد الله ﷻ الكافرين بالهزيمة على أيدي المؤمنين في الآية السَّابقة، ناسب أن يُدلل على ذلك بما حدث لقريش في معركة بدر حيث هزمت رغم كثرة عدتها وعتادها على أيدي المؤمنين رغم قلة إمكاناتهم المادية، وفي ذلك عبرة وموعظة لكل كافر ليرتدع، وكل مؤمن ليثبت على الحق[٦].

رابعاً: المعنى العام:

يخاطب الله ﷻ الكافرين متوعداً إياهم بالهزيمة، وداعيهم لأخذ العبرة مما حدث لقريش في غزوة بدر، وأحداثها ماثلة أمام أعينهم، وفصولها لا تخفى على أحد، حيث وقع القتال بين فريق يدعو لدين الله ﷻ، ويدافع عنه بكل ما يملك، رغم قلة ذات اليد، وشُح العتاد، وفريق استولت عليه الشهوات واستحوذت على أفراده الشياطين، فصدوا عن سبيل الله ﷻ من أجل لعاع الدنيا، التي أغرَّتهم بزخرفها، فكان حقاً على الله ﷻ أن ينصر حُرَّاس دينه، فأنزل جنوده ليقاتلوا إلى صفهم، فرأى الكافرون المؤمنين ضعفي عددهم فوقع الرعب في قلوبهم، وحلت في نفوسهم الهزيمة، ورأى

---

[١] تفسير غريب القرآن: الكواري، ج٣، ص١٣.

[٢] انظر: مجاز القرآن، ابن المثنى، ج١، ص٨٧.

[٣] البحر المحيط: أبو حيَّان، ج٣، ص٤٢.

[٤] اعراب القرآن وبيانه: درويش، ج١، ص٤٦٦.

[٥]انظر: البحر المحيط، أبو حيَّان، ج٣، ص٥٣.

[٦] انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ج٧، ص١٥٥.

المؤمنون علامات تأييد الله ﷻ ونصرته لهم، فقوت عزائمهم على القتال، فحل النصر المؤزر للمؤمنين بمشيئة الله ﷻ، الذي استدرج الفريقين للقتال، ليُعزَّ دينه، ويُذل عُبَّاد الشيطان، وفي ذلك أجلى عبرة لكل النَّاس[١].

خامساً: وجوه القراءات:

في قوله تعالى:﴿ يَرَوْنَهُم﴾ قراءتان هما:

١- قرأ نافع ويعقوب بالتاء :﴿ **تَرَوْنَهُمْ** ﴾ على اعتبار أنَّ الخطاب في الآية السابقة لليهود[٢].

٢- وقرأ الجمهور بالياء[٣]، وذلك "للمغالبة التي جاءت بعد الخطاب، وهو قوله فئة تقاتل في سبيل الله ﷻ وأخرى كافرة يرونهم مثليهم فقوله يرونهم يعود إلى الإخبار عن إحدى الفئتين"[٤].

سادساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- الإشارة إلى أنَّ التمييز بين طرفي الاقتتال يبنى على الغاية منه، فالطائفة الأولى واضحة الغاية ودقيقة الهدف، فهي تقاتل لنصرة دين الله ﷻ فقط، وأما الطائفة الأخرى تقاتل من أجل أطماع الدنيا، من جاه، وسلطان، ومال، وعصبية قبلية، ومن أجل ذلك تصد عن سبيل الله ﷻ، ولا شك أنَّ ذلك في سبيل الشيطان، لذلك وجب علينا النظر لغاية كل طرف حتى يظهر لنا أهل الحق فنناصرهم، ضد أهل الباطل[٥].

٢- بيان أنَّ القوة الروحية إذا اقترنت بالقليل من القوة المادية قادرة على سحق أعتى قوة خوى جنودها من الإيمان وصلاح الاعتقاد[٦].

٣- إرشاد العباد إلى أخذ العبرة والموعظة من أحداث الماضي، لفهم وتحليل الواقع، وتوقع أحداث المستقبل[٧].

٤- إثبات أنَّ هناك قوة أعظم من جميع القوى تتحكم في مجريات الأمور والأحداث، وتخضع لها حواس الإنسان، فهي التي جعلت الرؤيا لكلا الفريقين مضاعفة، ليستهين الكفار بعدد

---

[١] انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ج٢، ص٤١١.

[٢] انظر: معاني القراءات، الأزهري، ج١، ص٢٤٢، التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣، ص١٧٦.

[٣] معاني القراءات، الأزهري، ج١، ص٢٤٢.

[٤] مفاتيح الغيب: الرازي، ج٧، ص١٥٧.

[٥] انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج٣، ص١١٢٧، تفسير الشعراوي، ج٣، ص١٣٠٣.

[٦] انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة، ج٣، ص١١٢٧.

[٧] انظر: في ظلال القرآن: سيد قطب، ج١، ص٣٧٢.

المؤمنين ويغتروا بأنفسهم قبل بدء القتال، وليذُبَّ الرعب في قلوبهم بعد بدء القتال، ولتنزل الثقة في نفوس المؤمنين فيشحذوا عزمهم على القتال[١] وبين الله ﷻ ذلك بقوله: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾(الأنفال:٤٤).

٥- تبشير أهل الحق بالنصر، وحثهم على الثبات والصبر على سبيل ذات الشوكة، ولا تستعجل أنفسهم ولا تقنط إن طال عليها "الأمد المغيب في علم الله ﷻ، المدبر بحكمته، المؤجل لموعده الذي يحقق هذه الحكمة"[٢].

٦- إقامة الحجة على الكفار بحتمية هزيمتهم بعدما توعدهم بذلك في الآية السابقة، وذلك بذكر مثال لا لبس فيه متمثلاً بهزيمة كفار مكة يوم بدر، ليُظهر من خلاله هزيمة الكافرين رغم كثرة عتادهم وعدتهم، لعتوهم عن أمر الله ﷻ[٣].

٧- التأكيد بأن الرؤية بصرية وليست تقديرية، لقوله تعالى:﴿ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ "فهم يعاينون معاينة لَا لبس فيها ولا غموض أنهم ضعفهم"[٤] لنوقن بأنها واقع وليس خيال.

٨- زرع الثقة في قلوب المؤمنين بنصر الله ﷻ لهم، لأنَّ الثقة بالله ﷻ تولد القوة في القلوب، فتدفع العباد للاستبسال، وبها يتحقق الظفر على الأعداء[٥].

٩- إثبات صدق نبوة محمد ﷺ من خلال تحقق ما أخبر به القرآن الكريم من هزيمة اليهود كما هزمت قريش في بدر، وكان ذلك بإجلاء اليهود عن المدينة المنورة بعد هزيمتهم من جند المؤمنين[٦].

قد نرى أناساً ابتدأوا سبيل الحق، ورفعوا لواءه وجابهوا أعداءه، ثم مالوا عنه ثم تمالئوا على من ثبت عليه، ثم زعموا أنهم أولى به كونهم أول من سلكه! لكنا نسمع الحق يصدع كل من حاد عني فليس مني في شيء، ولنا أن نتفكر في قوله تعالى:﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾(النحل: ١٠٢) لندرك أن الهدف من إنزال القرآن الكريم

---

[١] انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ج٧، ص١٥٨، التفسير المنهجي، فضل عباس، ج٢، ص٢٠.

[٢] في ظلال القرآن: سيد قطب، ج١، ص٣٧٢.

[٣] انظر: التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج٣، ص١٧٦.

[٤] زهرة التفاسير: أبو زهرة، ج٣، ص١١٢٩.

[٥] انظر: بيان المعاني، العاني، ج٥، ص٣٢٤.

[٦] انظر: أيسر التفاسير، الجزائري، ج١، ص٢٩١.

تثبيت الإيمان في القلوب، واستدامة الهدى به، حتى تحقق النصر في الدنيا والفوز يوم القيامة، فالإيمان ليست نزوات وأطياف تدفعنا نحو الصلاح ثم ما تلبث أن تتلاشى حتى نعود حيث كنا في غيابات الضلال، بل إنَّ الإيمان يستنهض الهمم نحو تحقيق سعادة الدارين، فلا تنحرف البوصلة عن الهدف، مهما تغيرت الظروف وعظمت التضحيات، فمن عرف الحق وثبت عليه هانت عليه التضحيات، حتى يستشعر تأييد الله ﷻ له، ويتذوق حلاوة النصر في الدنيا، ولذة النعيم في الآخرة.

المطلب الثالث: التحذير من بواعث الانحراف والهزيمة.

قال تعالى:﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾(ال عمران:١٤).

أولاً: المفردات اللغوية:

﴿ **الشَّهَوَاتِ**﴾ جمع الشَّهْوَةُ وهي: "مَا تَدْعُوَ النَّفْسُ إِلَيْهِ"[١]، أو "تَوَقَانُ النَّفس إلى الشَّيء"[٢].

﴿ **الْقَنَاطِيرِ**﴾ جمع قنطار هو: "مِلءُ مَسْك[٣] ثَوْر ذَهَبًا أَو فِضَّةً، وقيل: مِائَةُ أُوقية مِنْ ذَهَبٍ، وَقِيلَ: مِائَةُ أُوقية مِنَ الْفِضَّةِ"[٤].

﴿ **الْمُسَوَّمَةِ** ﴾ أي "المُعْلمة منَ السُّومةِ وهيَ العلامةُ أو المرْعيّة من أسام الدابة وسوَّمها إذا أرسلها وسيَّبها للرعي"[٥].

﴿ **وَالْأَنْعَامِ** ﴾ جمع "النعم وهي: الإبل والبقر والغنم"[٦].

﴿ **الْحَرْثِ** ﴾ "ثمار المزروعات"[٧].

﴿ **الْمَآبِ** ﴾ "المرجع"[٨].

---

[١] البحر المحيط: أبو حيَّان، ج٣، ص٤٢.

[٢] الوجيز: الواحدي، ج١، ص٢٠١.

[٣] المسك: هو الجلد، (التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين، ج١، ص١١٩).

[٤] لسان العرب: ابن منظور، ج٥، ص١١٩.

[٥] ارشاد العقل السليم: أبو السُّعود، ج٢، ص١٥.

[٦] غريب القرآن: ابن قتيبة، ج١، ص١٣٨.

[٧] تاج العروس: الزَّبيدي، ج٥، ص٢١٦.

[٨] التبيان في تفسير غريب القرآن، شهاب الدين، ج١، ص١١٩.

ثانياً: وجوه البلاغة:

١- **الإيجاز:** في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ "فهو يغني عن أن يقال: زينت للناس الشهوات فأحبوها"[١].

٢- **الجناس النَّاقص**[٢] بين﴿ **الْقَنَاطِيرِ** ﴾ و﴿ **الْمُقَنْطَرَةِ** ﴾.

ثالثاً: المناسبة:

تظهر مناسبة الآية لما سبقها جليةً، حيث تناولت الآيات السابقة غرور المشركين من الأمم السابقة وجحودهم للحق ومعاداتهم لأنبيائهم، حتى وصل بهم الأمر لقتالهم وصدهم عن دعوتهم، فجاءت هذه الآية مبينة للأسباب الدافعة لهذا الغرور والانحراف في التفكير، ومحذرة للعباد من استحواذ الشهوات عليهم وانشغالهم عن أمور الآخرة لأنَّ لذة الشهوة تذهب، وتبقى تبعاتها، وجاء بيان ذلك بعد الآية التي ترسم طريق الانتصارات المتجدد لأهل الإيمان حتى لا نثَّاقل عن القتال في سبيل الله ﷻ، من أجل مساورة هذه الشهوات[٣].

رابعاً: المعنى العام:

إن البشر جبلوا على حب الشهوات التي تتمثل في النساء والبنين، والأموال الكثيرة من الذهب والفضة، والخيل الحسان، والأنعام من الإبل والبقر والغنم، والأرض المتَّخَذة للغراس والزراعة. ذلك زهرة الحياة الدنيا وزينتها الفانية. وهو لا يُعد شيئاً إذا قيس بإحسان الله ﷻ إلى عباده الذين يجاهدون في سبيله عند أوبتهم إليه في الآخرة[٤].

خامساً: تحليل المقاصد والأهداف:

١- الإجابة عن السؤال الذي يختلج في صدور كثير من الناس، لماذا يضل الناس عن سبيل الله ﷻ الذي خلقهم؟ لتكن الإجابة واضحة أن الله ﷻ جعل الدنيا دار ابتلاء واختبار، ليميز الخبيث من الطيب، فزين الدنيا بأشياء زرع حبها في نفوس الناس، وجبل نفوسهم على حب التملك لها والاستزادة في طلبها، ثم حدد لهم قانوناً للتعامل فيها، فمن التزم به فاز، ومن تجاوز الحد هلك واستحق العقاب[٥].

---

[١] التحرير والتنوير: ابن عاشور، ج٣، ص١٧٩.

[٢] التفسير المنير: الزحيلي، ج٣، ص١٧٩.

[٣] انظر: زهرة التفاسير، ج٣، ص١١٣١، تفسير الشِّعراوي، ج٣، ص١١٣١.

[٤] انظر: التفسير الميسر، نخبة من أساتذة التفسير، ص٥١، المنتخب، لجنة من علماء الأزهر، ص٧٢.

[٥] انظر: التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم الخطيب، ج٢، ص٤١٢.

٢- بيان أنَّ "الحب غير الشهوة لأنه أضاف الحب إلى الشهوة والمضاف غير المضاف إليه"[١].

٣- دفع العباد للتفكر وتدبر كلام الله ﷻ، حيث أضمر المُزين لهذه الشهوات، ليسأل كلٌ منا نفسه من الذي زينها للنفس[٢]، لندرك أنها لمَّا كانت على دربين كان لكل دربٍ مُزيِّن، وبيان ذلك[٣]:

- المُزين لهذه الشهوات هو الله ﷻ إذا أريد بها الفطرة التي زرعت في القلوب، واستعملها العباد على الوجه الذي ارتضاه الله ﷻ لهم، لقوله تعالى:﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾(الأعراف: ٣٢).
- المُزين هو الشيطان إذا حرفها عن المسار الذي حدده الله ﷻ لإشباعها، فاستخدمها على الوجه المخالف للفطرة، أو أصبحت الشهوة غاية في ذاتها حتى قُدم حبها على حب الله ﷻ ورسوله ﷺ، ودلَّ على ذلك قوله تعالى:﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾(النمل:٢٤).

٤- توبيخ المنغمسين في الشهوات المقدِّمي حبها على حب الله ﷻ ورسوله ﷺ والجهاد في سبيله[٤].

٥- الكشف عن "البواعث الفطرية الخفية التي من عندها يبدأ الانحراف إذا لم تضبط باليقظة الدائمة"[٥] لذلك جاءت دعوة الإسلام ضابطة وموجهة لهذه الشهوات، ومحددة المسار الأنسب لإشباعها، حتى "يكون الإنسان مالكاً لها متصرفاً فيها، لا أن تكون مالكة له متصرفة فيه"[٦].

٦- الإشارة لخطورة فتنة النِّساء على الفرد والمجتمع، ودلَّ على ذلك تصدُرها للشَّهوات التي ذكرت في الآية،[٧] وقول النبي ﷺ: **(مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ)**[٨].

---

[١] مفاتيح الغيب: الرازي، ج٧، ص١٦١.

[٢] انظر: نظم الدُّرر، البقاعي، ج٤، ص٢٦٩.

[٣] انظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج١، ص٣٧٣؛ تفسير الشعراوي، ج٣، ص١٣١٢؛ التفسير الوسيط، الزحيلي، ج١، ص١٧٨.

[٤] انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج١، ص١٧٨.

[٥] زهرة التفاسير: أبو زهرة، ج٣، ص١١٣١.

[٦] المرجع السَّابق: ج٣، ص١١٣١.

[٧] انظر: روح المعاني، الألوسي، ج٢، ص٩٧.

[٨] صحيح مسلم: ك- الرقائق، ب- أكثر أهل الجنة، ج٤، ص٢٠٩٧، ح٢٧٤٠.

٧- إظهار دقة الإنسان في حصره وعده لماله، حتى تراه يعده مراراً وتكراراً، وإذا شارك في مشروع تجاري رأيت النوم يهرب من عينيه وأفكاره تسبح في حسابات دقيقة ليضمن ربحاً وفيراً لماله، وأشار الله ﷻ لذلك بتأكيد قنطرة القناطير في قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ ليظهر دقة عدها، وكمال وزنها، والإشارة لسعيهم من أجل زيادتها على اعتبار أنَّ المقنطرة تعني المضاعفة[١].

٨- بيان مفاتيح القلوب التي يتسلل الشيطان من خلالها ليستحوذ على الإنسان، فكل إنسان يميل هواه لإحدى هذه الشهوات فتراه مشغوفاً بها، فمن استهوى النساء يُزين له الشيطان الفاحشة ليوقعه في أسره، ومن عشق جمع المال زين له الشيطان ألوان الربا، وألهاه في جمع المال عن طاعة الله ﷻ، وكذلك سائر الشهوات[٢].

٩- بيان دوران الحكم الشرعي لهذه المشتهيات في مجرى إرادة الإنسان "فإن كانت الإرادة قوية حازمة جعلت من هذه الأمور مصدر خير وطريقا إلى الجنة، وإن تحكم الهوى وغلب الشيطان، وضعف الوجدان الديني، كانت هذه الأمور مصدر شر وطريقا إلى النار"[٣].

١٠- بيان أصناف المال التي تتفاوت مطامع الناس في جمعها، فالذهب والفضة ينحصر الطمع فيها بحق التجار والملوك وأهل الثراء، وأما الخيل المسومة يطمع فيها الملوك والوجهاء والمقاتلين، بينما الأنعام يزداد طلباً في جمعها أهل البوادي، وآمال الحرث فهي مقياس للغنى عند أهل الريف والقرى[٤].

١١- حث العباد على الاعتدال في استهلاك شهوات الدنيا، لأنَّ الإفراط في إشباعها يحول الأفراد إلى أدوات للاستهلاك وكفى، حيث إنَّ هذا سبيل لانهيار جذري للقيم والمبادئ الأخلاقية فضلاً عن أنَّه وسيلةٌ لذيوع الرذيلة وانتشار القلق النَّفسي والاجتماعي"[٥]، والتفريط فيها عازل عن تحقيق المقصد الذي أراده الله من إيتائها وفق شرعه.

١٢- تربية نفوس المؤمنين على تقديم حب الله ﷻ ورسوله ﷺ عمَّا سواهما، ونصرة الحق بالنفس والمال، فالله ﷻ ذكر هذه الشهوات لبيان أن الإنسان جُبل على حبها، ولتحذير العباد من الانغماس فيها على حساب الأولويات[٦]، حيث يقول تعالى:﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ

---

[١] انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج٣، ص١٨٢؛ تفسير الشعراوي، ج٣، ص١٣١٣.

[٢] انظر: تفسير الشعراوي، ج٣، ص١٣١٣.

[٣] زهرة التفاسير: أبو زهرة، ج٣، ص١١٣١.

[٤] انظر: التفسير المنير، الزحيلي، ج٣، ص١٦٩.

[٥] دراسة تحليلية لرسالة الإقتصاد للإمام النورسي: عبد الستَّار الهيتي، مجلة الأحمدية، ص٨٥.

[٦] انظر: تفسير الشعراوي، ج٣، ص١٣١٢.

﴿وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ (التوبة:٢٤).

١٣- تهيئة النفس الإنسانية للقيام بمهمة الاستخلاف في الأرض، وعمارتها، وذلك بتحبيب الوسائل المساعدة لتحقيق هذه الغاية لقلوبهم، حتى صار غريزة عندهم، فلو لم يحبها الناس لأهملوها وقصّروا في بناء معالمها، فلو لم يحبب للرجال إتيان النساء، وحوزة البنين لاندثر الجنس البشري، ولو لم يحبب جمع المال لانتفى التنافس بين الناس في العمل، ولما وصلت الإنسانية لهذا الرُقي الذي تحياه[1].

١٤- تعظيم شأن المجاهدين الذين تركوا نساءهم وأبناءهم وأموالهم، ومتاع الدنيا، ليُسارعوا للجهاد في سبيل الله ﷻ ورفع راية الحق، ليفوزوا بنصر الإسلام في الدنيا، وحسن المآب عند الله ﷻ.

إنَّ الله ﷻ قد أنعم علينا بنعم لا تُعد ولا تحصى، وذروة سنام عبادته شكره على هذه النعم باستخدامها على الوجه الذي ارتضاه، وتسخيرها في طاعته، فكما أن الإنسان يسعى لجمع المال من أجل أن يشتري به ملذات الدنيا من طعام وشراب وملبس، كذلك وجب عليه أن يستغل وجوده في الدنيا ويجمع الخير الوفير ليشتري به جنة عرضها السموات والأرض، والحذر كل الحذر من أن تصبح ملذات الدنيا وشهواتها هدفاً في ذاتها؛ لأنَّ ذلك يفضي إلى تملكها للقلب، وتوجيهها للجوارح حتى تأتي بالوبال على صاحبه، لذلك وجب علينا وضع مخافة الله ﷻ قصاد أعيننا ونرجو منه إصلاح قلوبنا والثبات على الحق، حتى تستقيم حياتنا، ولا ننحرف عن الغاية من وجودنا على هذه الأرض، حتى يدخل نور الاسلام في كل بيت.

إنَّ محور سورة آل عمران يدور حول الثبات على الحق، وذلك يوحي بأهمية سلوك الإنسان للطريق الذي أرشدنا الله ﷻ إليه، ودلَّت الكثير من الوقائع على استقامته، ويجب علينا أن نستمسك بهذا السَّبيل حتى نعود إلى دارنا الأولى، في جنَّات ونهر، ومقعد صدق عند مليك مقتدر، فكما أسست سورة البقرة لقيام الخلافة الإسلامية على المنهج الذي ارتضاه الله ﷻ لعباده، حرصت سورة آل عمران على تثبيت العباد على هذا السَّبيل، وضمان استمراره لأجيال متلاحقة، وإقامة العدل بين العباد.

---

[1] انظر: مفاتيح الغيب، الرازي، ج٧، ص١٦٢، التفسير الوسيط، الزحيلي، ج١، ص١٧٨.

الخاتمة

وهذه أهم النتائج والتوصيات التي توصل إليها الباحث:

أولاً: نتائج البحث:

١- أنَّ أفضل أنواع التَّفاسير، هو التفسير التَّحليلي المقاصدي، كونه يبحث في مراد الله ﷻ من كلامه، ويُؤثر النَّاحية العملية التي حثَّ الله ﷻ في كتابه الكريم.

٢- أنَّ مجموعة من الأهداف المنتظمة بعد تحققها تشكل مقصداً، ومجموعة من المقاصد الناجزة تبني غاية، وذلك مسار التخطيط الاستراتيجي الواجب سلوكه من أجل إقامة الخلافة الإسلامية.

٣- اختلاف النَّاس وتمايُزهم في القدرات العقلية والجسدية والمالية وذلك خاضع للحكمة الإلهية الهادفة لما فيه النَّفع للإنسان، وضبط الميزان الحضاري.

٤- انقسام النَّاس إلى ثلاث فئات: مؤمنين، منافقين، كافرين.

٥- حتمية محق النِّظام الاقتصادي العالمي القائم على الرِّبا، وإذعان صناع القرار الاقتصادي للنظام الإسلامي.

٦- أنَّ نظام الاقتصاد الإسلامي القائم على التوازن بين الملكية الفردية، والتكافل الاجتماعي هو النظام الأوحد القادر على حل جميع المعضلات الاقتصادية في العالم.

٧- حرص الإسلام على سلامة المُعاملات بين المسلمين، وإزالة أسباب النِّزاع بينهم.

٨- أنَّ الله ﷻ شرَّع القتال في سبيله لحماية الدِّين، وضمان نشره في بقاع الأرض، وليس لإكراه النَّاس على الإيمان.

٩- استحالة قيام الخلافة الإسلامية دون بناء أركانها الثلاث: قوة فكرية يجتمع المؤمنون حولها، قوة مالية تضمن استقلالها، قوة عسكرية تُحصنها من أعدائها، لأنه لا بُدَّ للحق من قوةٍ تحميه.

ثانياً: التوصيات والمقترحات:

١- أوصي كلَّ قارئ لهذا البحث أن يستلهم من خلاله الطريقة المُثلى في تفسير القرآن الكريم، واستنباط المقاصد الإلهية للآيات القرآنية، ويسعى لتطبيقها في حياته العملية؛ لأنَّ المنهج المقاصدي في التَّفسير يُعد الأقرب للناحية العملية، والله ﷻ أنزل القرآن كي نعمل بمقتضاه، لا أن نكتفي بحُسن تلاوته.

٢- أوصي الحركة الإسلامية في العالم ببناء نظام مصرفي إسلامي دولي يوازي البنك الدولي، وإلزام أثرياء المسلمين في العالم بتقديم زكاة أموالهم من خلاله، ويتم تقسيم هذه المبالغ لثلاثة أسهم، سهم يوزَّع على فقراء المسلمين، وسهم يستثمر في مشاريع تنموية خاصَّة بأبناء الأمَّة، والثالث يُدَّخر كسيولة ماليَّة يُهرع إليها عند الأزمات.

٣- ضرورة تبنِّي الحركة الإسلامية في العالم الإسلامي لاستراتيجية تهدف لإقامة جيش إسلامي نقي، يتَّخذ من بلاد المسلمين معقلاً له، وتمتد أذرعه إلى شتَّى بقاع الأرض، ويعلن علماء الأمَّة الأطهار التعبئة للجهاد الحقيقي في أوساط شباب الأمة، حتى لا يسقطوا في شباك المدلِّسين، ويصبحوا أداة في أيدي الأعداء، يهدموا بها الإسلام من داخله.

٤- أطالب شباب المسلمين بالتَّحلي بالحكمة في إدراك الحقائق، والمعرفة بالأساليب الخبيثة التي ينتهجها أعداء الأمة لحرف شبابها عن سبيل الحق، حتى لا يكونوا فريسةً لهم، وأحذِّر الشباب المسلم التَّواق للجهاد في سبيل الله ﷻ من الغلو في الدِّين، كما حدث مع النَّصارى، كما أحذِّر الشباب الهائم على وجهه، الغارق في الشَّهوات، المُفرِّط في دينه، من هذا السَّبيل الذي سلكه بنو إسرائيل، فاستحقوا به غضب الله ﷻ .

الفهارس

وتشتمل على الفهارس الآتية:

أولاً: فهرس الآيات القرآنية الكريمة.

ثانياً: فهرس الأحاديث النَّبوية الشريفة.

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.

رابعاً: فهرس المصادر والمراجع.

خامساً: فهرس الموضوعات.

أولاً: فهرس الآيات القرآنية الكريمة.

سورة الفاتحة			
م	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١	﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٢	٢١
٢	﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	٦	٥٥
٣	﴿غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ﴾	٧	٢١
سورة البقرة			
٤	﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ...﴾	٢	٢٤،٢٣
٥	﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ... ﴾	٣	٢٤،١٧
٦	﴿والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ ... ﴾	٤	١٧
٧	﴿أُوْلَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ... ﴾	٥	١٧
٨	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ...﴾	٦	١٨
٩	﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ...﴾	٧	١٨
١٠	﴿وَمِنَ النَّاس مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ ... ﴾	٨	١٨
١١	﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا... ﴾	٩	١٨
١٢	﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً...﴾	٢٩	٢٣
١٣	﴿فَمَا كَانَ اللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾	٧٠	٣٨
١٤	﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا... ﴾	١٣٥	١٦٥
١٥	﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتٌ... ﴾	١٥٤	٢٣
١٦	﴿وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾	١٦٣	١٦٣،٢٤،١٢
١٧	﴿ وَمِنَ النَّاس مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللّهِ أَندَاداً... ﴾	١٦٥	٩٦
١٨	﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا... ﴾	١٦٦	٥٥،٩٦
١٩	﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ... ﴾	١٦٧	٥٥،٩٦
٢٠	﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ.. ﴾	١٩٥	٣٨
٢١	﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لكم... ﴾	٢١٦	٣٥
٢٢	﴿ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ...﴾	٢١٧	٣٥
٢٣	﴿وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾	٢٢٠	١٥١

٢٤	﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ...﴾	٢٤٥	٧٢
٢٥	﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ...﴾	٢٥٣	٣٢،١٤٠،٢٨
٢٦	﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْناكُمْ... ﴾	٢٥٤	٣٦
٢٧	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ... ﴾	٢٥٥	٤٢،٦٧،١٧٣
٢٨	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ... ﴾	٢٥٦	٤٩،١٠٣
٢٩	﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ... ﴾	٢٥٧	٥٣
٣٠	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ... ﴾	٢٥٨	٥٧
٣١	﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا.. ﴾	٢٥٩	٦١
٣٢	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى... ﴾	٢٦٠	٦٥
٣٣	﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾	٢٦١	٧١
٣٤	﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ... ﴾	٢٦٢	٧٦
٣٥	﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى...﴾	٢٦٣	٧٦
٣٦	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ ... ﴾	٢٦٤	٧٩
٣٧	﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ... ﴾	٢٦٥	٨٢
٣٨	﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ...﴾	٢٦٦	٨٤
٣٩	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ...﴾	٢٦٧	٨٧
٤٠	﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ... ﴾	٢٦٨	٩٣
٤١	﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ... ﴾	٢٦٩	١٩٠، ٩٤
٤٢	﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ ... ﴾	٢٧٠	٩٧
٤٣	﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ... ﴾	٢٧١	٩٧
٤٤	﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ... ﴾	٢٧٢	٨٩
٤٥	﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ... ﴾	٢٧٣	١٠٠
٤٦	﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً...﴾	٢٧٤	١٠٧
٤٧	﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لَا يَقُومُونَ إِلَّا ... ﴾	٢٧٥	١٠٩
٤٨	﴿ يمْحَقُ اللَّهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ... ﴾	٢٧٦	١١٣
٤٩	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... ﴾	٢٧٧	١١٣
٥٠	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا..﴾	٢٧٨	١١٨
٥١	﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ... ﴾	٢٧٩	١١٨

٥٢	﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ...﴾	٢٨٠	١٢٠
٥٣	﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ...﴾	٢٨١	١٢٣،١٦
٥٤	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ... ﴾	٢٨٢	١٢٧،١٣٣،١٣٦
٥٥	﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ..﴾	٢٨٣	١٤٠،١٣٦
٥٦	﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ... ﴾	٢٨٤	١٤،١٤٤
٥٧	﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إليه من رَبِّهِ... ﴾	٢٨٥	١٤،١٤٦،٢٤
٥٨	﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا...﴾	٢٨٦	٢٤،١٥٢،١٦٦،١٤

سورة آل عمران			
٥٩	﴿الم* اللَّهُ لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ... ﴾	١	١٢ ، ١٧١
٦٠	﴿اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَىُّ الْقَيُّومُ﴾	٢	٢٣،١٧١
٦١	﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ...﴾	٣	٢٣،١٧١
٦٢	﴿مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ... ﴾	٤	١٧١، ١٦٦
٦٣	﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يَخْفى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ ... ﴾	٥	١٧٤
٦٤	﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحامِ كَيْفَ يَشاءُ... ﴾	٦	١٧٤
٦٥	﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ...﴾	٧	٢٣،١٦٦،١٧٧
٦٦	﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ... ﴾	٨	١٨٢
٦٧	﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ... ﴾	٩	١٧٢،١٨٢
٦٨	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ... ﴾	١٠	١٨٧،١٨٩
٦٩	﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا... ﴾	١١	١٨٧
٧٠	﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ ... ﴾	١٢	١٨٧
٧١	﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا... ﴾	١٣	١٩٠
٧٢	﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ... ﴾	١٤	١٩٤
٧٣	﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ... ﴾	١٨	١٦٤
٧٤	﴿ قُلْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ فإن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ اللّهَ... ﴾	٣٢	١٦٤
٧٥	﴿وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ ... ﴾	٤٩	١٨١
٧٦	﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يا عِيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرافِعُكَ إِلَيَّ ...﴾	٥٥	١٦٩
٧٧	﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ... ﴾	٥٩	٢٣
٧٨	﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ... ﴾	٦٤	١٦١

٧٩	﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ... ﴾	٦٥	١٦٥
٨٠	﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ... ﴾	٦٨	١٦٦
٨١	﴿وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ... ﴾	٧٩	٣
٨٢	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ ...﴾	٩١	١٨٩
٨٣	﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ﴾	١٠٣	٥٣
٨٤	﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ... ﴾	١١٠	٣٠
٨٥	﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ... ﴾	١١٩	١٧٢
٨٦	﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ... ﴾	١٧٠	٢٣
٨٧	﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ... ﴾	١٩٠	١٦٧
٨٨	﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ... ﴾	١٩١	١٦٧
٨٩	﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلاَ تُخْزِنَا... ﴾	١٩٤	١٦٧
٩٠	﴿ فَاسْتَجابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عامِلٍ ... ﴾	١٩٥	١٦٧
٩١	﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ ... ﴾	١٩٩	١٦٦
٩٢	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ... ﴾	٢٠٠	١٦٦
	سورة النساء		
٩٣	﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ... ﴾	١	١٧٣
٩٤	﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القرآن أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾	٨٢	٢٢
٩٥	﴿فَما لَكُمْ فِي الْمُنافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ ... ﴾	٨٨	١٧٣
٩٦	﴿ودُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَما كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَواءً... ﴾	٨٩	١٧٣
٩٧	﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلى مَرْيَمَ بُهْتاناً عَظِيما... ﴾	١٥٦	١٧٣
٩٨	﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ... ﴾	١٥٧	١٦٩
٩٩	﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً... ﴾	١٥٨	١٦٩
١٠٠	﴿لكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ... ﴾	١٦٢	١٦٩
١٠١	﴿ يا أَهْلَ الْكِتابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ... ﴾	١٧١	١٨١
	سورة المائدة		
١٠٢	﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ... ﴾	٢٧	٩٠
	سورة الأنعام		
١٠٣	﴿فَلَوْلا إِذْ جاءَهُمْ بَأْسُنا تَضَرَّعُواْ... ﴾	٤٣	٨٣

١٠٤	﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُو﴾	٥٩	١٧٥
١٠٥	﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ... ﴾	٨٢	١١٧
١٠٦	﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ... ﴾	١٢٥	٥٥
١٠٧	﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ... ﴾	١٥٣	٥٥
١٠٨	﴿ قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ ...﴾	١٦٢	٨٤
	سورة الأعراف		
١٠٩	﴿ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	١٧	٩٤
١١٠	﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ ... ﴾	١٨	٩٤
١١١	﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الَّتِيَ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ ...﴾	٣٢	١٩٦
١١٢	﴿إِنَّ الأَرْضَ لِلّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ...﴾	١٢٨	٩٦
١١٣	﴿ وَلِلّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾	١٨٠	١٨٣
١١٤	﴿ قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً ... ﴾	١٨٨	١٩٠
	سورة الأنفال		
١١٥	﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجابَ لَكُمْ ... ﴾	٩	١٥٣
١١٦	﴿وَما جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ... ﴾	١٠	١٥٣
١١٧	﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ ... ﴾	٣٦	٧٣
١١٨	﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ ...﴾	٤٢	٩٤
١١٩	﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً ... ﴾	٤٤	١٩٣
	سورة التوبة		
١٢٠	﴿ قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ ... ﴾	٢٤	١٩٨
١٢١	﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ... ﴾	٣٣	١٦١
١٢٢	﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا... ﴾	٣٤	١٨٩
١٢٣	﴿يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ ... ﴾	٣٥	١٨٩
١٢٤	﴿وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ ... ﴾	٥٤	٨١
١٢٥	فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ	٧٠	٣٧
	سورة الرعد		
١٢٦	﴿سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ... ﴾	١٠	٤٨
١٢٧	﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللهِ... ﴾	٢٨	٤٨،١٨٢

سورة النحل			
١٢٨	﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللهُ وَلكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾	٣٣	٣٩
١٢٩	﴿وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً...﴾	٧٨	١٤٠
١٣٠	﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ... ﴾	١٠٢	١٩٣
١٣١	﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾	١٢٥	٥١
سورة الإسراء			
١٣٢	قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ ... ﴾	٦٢	٩٤
١٣٣	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ... ﴾	٧٠	٣٠
سورة الكهف			
١٣٤	﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي ... ﴾	١٠٩	٤٧
سورة مريم			
١٣٥	﴿إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالارْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾	٩٣	٤٥
١٣٦	﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾	٩٤	٤٥
سورة الأنبياء			
١٣٧	﴿بلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْباطِلِ فَيَدْمَغُهُ ...﴾	١٨	٥٨
١٣٨	﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ...﴾	٢٨	٤٦
سورة الحج			
١٤٠	﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاس... ﴾	٧٥	٢٩
سورة المؤمنون			
١٤١	﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾	٤	٣٨
١٤٢	﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا...﴾	٥١	٨٩
سورة النور			
١٤٣	﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ... ﴾	٣٩	٦٤
١٤٤	﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ ... ﴾	٥٥	٨١
سورة الفرقان			
١٤٥	﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ ...﴾	٢٣	٨٦
١٤٦	﴿ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ ... ﴾	٤٤	٩٦

سورة الشعراء			
١٤٧	﴿ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً ...﴾	٣٥	١٩٤
١٤٨	﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾	١٩٣	٣١
سورة النمل			
١٤٩	﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ ...﴾	٢٤	١٩٦
سورة القصص			
١٥٠	﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ... ﴾	٥٦	١٨٥
سورة العنكبوت			
١٥١	﴿ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ ... ﴾	٤٥	١١٦
سورة الروم			
١٥٢	﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ... ﴾	٥٤	٥٩
سورة لقمان			
١٥٣	﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ ... ﴾	١٣	٤٠
١٥٤	﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾	١٨	٣
سورة سبأ			
١٥٥	﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾	٣٥	١٨٩
سورة يس			
١٥٦	﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلاً وَنَسِيَ خَلْقَهُ ... ﴾	٧٨	٦٤،١٢٤
١٥٧	﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ...﴾	٧٩	٦٤،١٢٤
سورة الزخرف			
١٥٨	﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ... ﴾	٣٢	١٢٢
١٥٩	﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ ... ﴾	٥٩	١٨١
سورة الجاثية			
١٦٠	﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ... ﴾	١٣	٨٧
سورة الواقعة			
١٦٢	﴿أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴾	٦٣	٩٠
١٦٣	﴿أَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾	٦٤	٩٠

سورة الحشر			
١٦٤	﴿كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾	٧	١١٩
سورة الممتحنة			
١٦٥	﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ ... ﴾	٨	١٠٣
سورة المنافقون			
١٦٦	﴿هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّه..﴾	٧	٣٨
سورة الجن			
١٦٧	﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نارَ جَهَنَّمَ... ﴾	٢٣	١١٢
سورة المدَّثر			
١٦٨	﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾	٣٨	١٥١
١٦٩	﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ﴾	٣١	١١٩
سورة الإنسان			
١٧٠	﴿إِنَّما نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ...﴾	٩	٧٨
١٧١	﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾	٣١	١٢٠
سورة التكوير			
١٧٢	﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ... ﴾	٢٨	٣٣
سورة البينة			
١٧٣	﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ ...﴾	٤	٣٤

ثانياً: فهرس الأحاديث النَّبوية الشريفة.

م	طرف الحديث	ورود الحديث	رقم الصفحة
١.	إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ، فَقُولُوا... ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ...	صحيح مسلم	٣٠
٢.	اسم الله الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب في سور...	سنن ابن ماجه	٤٤
٣.	اسْمُ اللَّهِ الأَعْظَمُ فِى هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ...	سنن الدارمي	١٢
٤.	اسْمُ اللَّهِ الأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ...	سنن الدارمي	١٢،١٦٣
٥.	أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي...	صحيح البخاري	٣٠
٦.	اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: حَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ...	سنن الترمذي	٣٩
٧.	اقْرَءُوا القرآن فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا...	صحيح مسلم	١٢،١٦٢
٨.	اقْرَءُوا القرآن فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا...	صحيح مسلم	٢٢،١٦٢
٩.	إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَر...	مسند أحمد	٨٠
١٠.	إن اسم الله الأعظم في ثلاث سور من القرآن...	المستدرك على الصحيحين	٤٤
١١.	إِنَّ الْعُلَمَاءَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ...	صحيح البخاري	٥١
١٢.	إِنَّ اللهَ ﷻ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا...	صحيح مسلم	١٤٥
١٣.	إِنَّ اللَّهَ قَدْ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ...	صحيح ابن حبان	١٥٤
١٤.	إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ...	صحيح البخاري	٧٣
١٥.	أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اشْتَرَى طَعَامًا مِنْ يَهُودِيٍّ إِلَى أَجَلٍ...	صحيح البخاري	١٤١
١٦.	أنَّ النَّبي تَزَوجَها وهِيَ بنتُ ستِ سِنِين...	صحيح البخاري	١٥
١٧.	أَنَّ النبي قَرَأَ العَشْرَ الآيَاتِ الخَوَاتِمَ ...	صحيح البخاري	١٦٠
١٨.	أَنَّ خَلْقَ أَحَدِكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا...	صحيح البخاري	١٧٦
١٩.	إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ ...	صحيح مسلم	١٨٤
٢٠.	إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ سَنَامًا، وَإِنَّ سَنَامَ القرآن...	المستدرك وسنن الدارمي	١٢
٢١.	أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةَ فِينَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ...	سنن الترمذي	٣٨
٢٢.	الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا...	صحيح البخاري	١١

٢٣.	الْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا...	صحيح البخاري	١٧
٢٤.	أَيُّهَا النَّاس، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا...	صحيح مسلم	٨٩
٢٥.	تَزَوجَنِي رَسُولُ الله ﷺ في شَوَّال...	صحيح مسلم	١٥
٢٦.	تعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ...	صحيح البخاري	١١٣
٢٧.	الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات...	صحيح البخاري	١٨٠
٢٨.	خَوَاتِيمُ سُورَةِ الْبَقَرَةِ أُنْزِلَتْ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ...	سن النسائي	١٥٣
٢٩.	دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ...	صحيح البخاري	١١
٣٠.	سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ...	صحيح البخاري	٧٧،٩٩
٣١.	سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّهُ لَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ ...	صحيح مسلم	١٤٩
٣٢.	قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاس أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...	صحيح البخاري	٧٥
٣٣.	كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَكُونُ مِقْلَاتًا فَتَجْعَلُ عَلَى نَفْسِهَا ...	سنن أبو داوود	٥٠
٣٤.	كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَرْضَخُوا لِأَنْسَابِهِمْ...	المستدرك على الصحيحين	١٠١
٣٥.	كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ...	سنن الدارمي	١٤٩
٣٦.	لَا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ...	صحيح مسلم	١٧
٣٧.	لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ...	صحيح البخاري	٩١
٣٨.	لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ أَحْبُلًا، فَيَأْخُذَ حُزْمَةً مِنْ حَطَب...	صحيح البخاري	١٠٥
٣٩.	لْآيَتَانِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مَنْ قَرَأَهُمَا...	صحيح مسلم	١٥٣،١٥٤
٤٠.	لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ آكِلَ الرِّبا، وَمُؤْكِلَهُ...	صحيح مسلم	١١١
٤١.	لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ...	صحيح مسلم	١٥٣
٤٢.	لمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّه ﷺ انْتُهِيَ بِهِ إِلَى ...	صحيح مسلم	١٤
٤٣.	لمَّا نزلت على رسول الله ﷺ﴿لِّلَّهِ ما فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْض﴾...	صحيح مسلم	١٤
٤٤.	لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِﷺ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾...	صحيح مسلم	١٥٠
٤٥.	مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ ...	صحيح البخاري	١٠٥
٤٦.	مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ ...	صحيح مسلم	١٩٦

٤٧.	مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ...	صحيح البخاري	١٢١
٤٨.	مَنْ أَسْلَفَ فِي شَيْءٍ، فَفِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ...	صحيح البخاري	١٣١
٤٩.	مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً...	صحيح مسلم	٧٣
٥٠.	مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ...	صحيح البخاري	١١٥
٥١.	مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً...	صحيح مسلم	١٢٢
٥٢.	نَزَلَتْ فِينَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، كُنَّا أَصْحَابَ نَخْلٍ...	سنن الترمذي	٨٨
٥٣.	هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ الْيَوْمَ لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ ...	صحيح مسلم	١٥٣
٥٤.	وَمَا نَزَلَتْ سُورَةُ البَقَرَةِ وَالنِّساء إِلَّا وَأَنَا عِنْدَهُ...	صحيح البخاري	١٥
٥٥.	يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ...	صحيح مسلم	٤٤
٥٦.	يَا أَبَا ذَرٍّ، مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ ...	صحيح ابن حبان	٤٨
٥٧.	يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ	صحيح البخاري	٤٤
٥٨.	يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي...	صحيح مسلم	١٠٢
٥٩.	يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ ...	صحيح مسلم	٧٨

ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.

م	العلم	رقم الصفحة
١.	خالد بن معدان	١٣
٢.	محمد بن عمر بازمول	٢١
٣.	رضوان المُخلَّلاتي	١٠
٤.	سعيد النورسي	١٨٤
٥.	علي الواحدي	١٦٣

رابعاً: المصادر والمراجع

١) **القرآن الكريم.**

٢) **أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم- دراسة تطبيقية في سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران والنساء-** رسالة ماجستير، الطالبة: هديل محمد المنيراوي، اشراف: د.عبد السلام حمدان اللوح، الجامعة الإسلامية، غزة ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

٣) **الإدارة في سورة يوسف عليه السلام،** رسالة ماجستير، الطالب: نايف شعبان قرموط، اشراف: د. عصام العبد زهد، الجامعة الإسلامية ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

٤) **أدب الاختلاف في الإسلام،** طه جابر فياض العلواني، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا، الولايات المتحدة الأميريكية، ١٩٨٧م.

٥) **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم،** أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٦) **الأساس في التفسير،** سعيد حوَّى، دار السلام للطباعة والنشر ١٩٩٩م.

٧) **أسباب نزول القرآن،** أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي تحقيق: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ.

٨) **الإسلام والتوازن الاقتصادي بين الأفراد والدول،** محمد شوقي الفنجري، وزارة الأوقاف.

٩) **أسماء سور القرآن وفضائلها،** منيرة محمد الدوسري، دار ابن الجوزي الطبعة الأولى، الرياض ١٤٢٦هـ.

١٠) **أصول الدعوة،** عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

١١) **أصول مقارنة الأديان،** أ.د.وهبة بن مصطفى الزحيلي، ترجمة: علي رستم، دار المعرفة، سوريا، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.

١٢) **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،** محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م.

١٣) **أضواء على الثقافة الاسلامية،** د. نادية شريف العمري، مؤسسة الرسالة، الطبعة التاسعة ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١.

١٤) **اعراب القرآن وبيانه،** محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص – سورية، الطبعة الرابعة ١٤١٥ هـ.

١٥) **أمهات مقاصد القرآن،** عز الدين بن سعيد الجزائري، دار مجدلاوي، عمَّان ٢٠١١م.

١٦) **الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار**، أبو الحسين يحيى بن أبي الخير بن سالم العمراني اليمني الشافعي، تحقيق: سعود بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
١٧) **الأهداف السلوكية**، مهدي محمود سالم، مكتبة العكيبيان، الرياض ، الطبعة الأولى١٩٩٧.
١٨) **أهداف كل سورة ومقاصدها من القرآن الكريم**، د. عبد الله محمود شحادة، الهيئة العامة للكتاب، مصر١٩٧٦م.
١٩) **أهداف ومقاصد موضوعات سورة التوبة**، رسالة ماجستير، الطالب: حسن عبد الله الخطيب، اشراف: د. عبد الكريم الدهشان، الجامعة الإسلامية- غزة، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
٢٠) **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الخامسة ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٢١) **الإيمان اركانه، حقيقته، نواقضه**، محمد نعيم ياسين، مكتبة العلم الإسلامية للتراث، ٢٠٠١م.
٢٢) **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت ١٤٢٠ هـ.
٢٣) **البداية النهاية**، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٢٤) **البرهان في تناسب سور القرآن**، أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبو جعفر، تحقيق: محمد شعباني، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . المغرب، عام النشر: ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م
٢٥) **البرهان في علوم القرآن**، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، دار التراث، القاهرة.
٢٦) **بناء المجتمع الإسلامي**، نبيل السمالوطي، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الثالثة ١٤١٨هـ-١٩٩٨م
٢٧) **بين العقيدة والقيادة**، محمود شيت خطابْ، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
٢٨) **تاج العروس من جواهر القاموس**، محمد الحسيني الزَّبيدي، دار الهداية.
٢٩) **التبصرة** جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.

٣٠) **التبيان في أقسام القرآن**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٣١) **التبيان في تفسير غريب القرآن**، أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، تحقيق: د ضاحي عبد الباقي محمد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ.
٣٢) **تحرير ألفاظ التنبيه**، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تحقيق: عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٨م.
٣٣) **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤م.
٣٤) **التعريفات**، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.
٣٥) **التفسير التحليلي لسورة ال عمران**، شاكر الكبيسي، مركز البحوث والدراسات الاسلامية، العراق ٢٠٠٩.
٣٦) **التفسير الحديث**، دروزة محمد عزت، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ١٣٨٣ هـ.
٣٧) **تفسير الشَّعراوي**، محمد متولي الشَّعراوي، مطابع أخبار اليوم، القاهرة ١٩٩٧م.
٣٨) **تفسير الفاتحة والبقرة**، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ.
٣٩) **تفسير القرآن العظيم**، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت١٤١٩هـ.
٤٠) **تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران**، رسالة ماجستير: الطالب عبد الله الملَّاحي، اشراف: د. مروان أبو راس، منشورات الجامعة الإسلامية ورابطة علماء فلسطين٢٠١٢م.
٤١) **التفسير القرآني للقرآن**، عبد الكريم يونس الخطيب، دار الفكر العربي، القاهرة.
٤٢) **التفسير الكبير ومفاتيح الغيب**، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري، دار إحياء التراث العربي، بيروت الطبعة الثالثة ١٤٢٠ هـ.
٤٣) **تفسير المراغي**، أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، مصر الطبعة الأولى ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦م.
٤٤) **تفسير المنار**، محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠ م.

٤٥) **التفسير المنهجي المجلَّد الأول**، فضل حسن عباس، دار المنهل للتوزيع والنشر، عمَّان ٢٠٠٥.
٤٦) **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، د.وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، الطبعة الثانية، دمشق ١٤١٨ هـ.
٤٧) **التفسير المُيسَّر**، نُخبة من أساتذة التفسير، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩ م.
٤٨) **التفسير الواضح**، محمد محمود الحجازي، دار الجيل الجديد، بيروت، الطبعة العاشرة ١٤١٣ هـ.
٤٩) **التفسير الوسيط**، وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر، دمشق، لطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.
٥٠) **تفسير غريب القرآن**، كاملة بنت محمد بن جاسم بن علي آل جهام الكواري، دار بن حزم، الطبعة الأولى٢٠٠٨.
٥١) **التناسب في سورة البقرة**، طارق مصطفى حميدة، رسالة ماجستير، اشراف: د. حاتم جلال التميمي، الجامعة الأردنية، عمان ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
٥٢) **تناسق الدرر في تناسب السور**، جلال الدين السَّيوطي، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
٥٣) **تهذيب اللغة**، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، دار التراث العربي، بيروت ٢٠٠١م.
٥٤) **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
٥٥) **تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه - شخصيته وعصره**، عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة - مصر، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.
٥٦) **الثمر المستطاب في فقه السنة والكتاب**، محمد ناصر الدين الالباني، غراس للنشر ١٤٢٢هـ.
٥٧) **جامع البيان في تأويل القرآن**، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

٥٨) **جامع الرسائل:** تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، المحقق: د. محمد رشاد سالم، لطبعة الأولى ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م
٥٩) **الجامع لأحكام القرآن،** محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: هشام البخاري، دار عالم الكتب الرياض ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣ م.
٦٠) **الجدول في إعراب القرآن الكريم،** محمود بن عبد الرحيم صافي، دار الرشيد، دمشق، مؤسسة الإيمان، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤١٨ هـ.
٦١) **الحضارة الإسلامية أسسها ووسائلها وصور من تطبيقات المسلمين لها ولمحات من تأثيرها في سائر الأمم،** عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.
٦٢) **الحكمة في الدعوة إلى الله،** د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.
٦٣) **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون،** أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
٦٤) **دراسات في علوم القرآن الكريم،** فهد بن عبد الرحمن الرومي، الطبعة الثانية عشر، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٦٥) **دراسة تحليلية لرسالة الاقتصاد للإمام النَّورسي من وجهة نظر الإقتصاد الإسلامي،** عبد الستَّار ابراهيم الهيتي، مجلة الأحمدية، العدد التَّاسع، رمضان ١٤٢٢هـ.
٦٦) **دراسة في السيرة،** عماد الدِّين خليل، دار النَّفائس، بيروت ١٤٢٥هـ.
٦٧) **ديوان الامام الشافعي،** محمد بن ادريس الشافعي، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة ٢٠٠٥.
٦٨) **الرحيق المختوم،** صفي الرحمن المباركفوري، دار الهلال الطبعة الأولى- بيروت.
٦٩) **روح البيان،** اسماعيل حقي، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، دار الفكر، بيروت.
٧٠) **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،** شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥ هـ.
٧١) **روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار،** محمد بن قاسم بن يعقوب الأماسي الحنفي، محيي الدين، ابن الخطيب قاسم، دار القلم العربي، حلب، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ.

٧٢) **زاد المسير في علم التفسير**، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى١٤٢٢هـ.
٧٣) **زاد المعاد في هدي خير العباد**، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السابعة والعشرون، ١٤١٥هـ -١٩٩٤م
٧٤) **زهرة التفاسير**، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي.
٧٥) **سُبُل السلام**، محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، دار الحديث.
٧٦) **سراج الملوك**، أبو بكر محمد بن محمد ابن الوليد الفهري الطرطوشي المالكي، أوائل المطبوعات العربية، مصر ١٢٨٩هـ، ١٨٧٢م.
٧٧) **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير**، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي، مطبعة بولاق، القاهرة ١٢٨٥ هـ.
٧٨) **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فوائدها**، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م- ١٤١٥هـ.
٧٩) **سُلَّم أخلاق النبوة**، محمود محمد غريب، دار القلم للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م.
٨٠) **سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية منهاجاً وسيرة**، عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني الناشر، مكتبة وهبة الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
٨١) **سنن ابن ماجه**، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.
٨٢) **سنن أبو داوود**، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
٨٣) **سنن الترمذي**، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة عوض، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٨٤) **سنن الدارمي**، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، التميمي السمرقندي، تحقيق: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ – ٢٠٠٠ م.

٨٥) **السنن الكبرى**، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ–٢٠٠١م.

٨٦) **سير أعلام النبلاء**، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.

٨٧) **السيرة النبوية لابن هشام**، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م.

٨٨) **شذرات الذهب دراسة في البلاغة القرآنية**، محمود توفيق محمد سعدي، كلية اللغة العربية جامعة الأزهر الشريف، مصر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.

٨٩) **شرح العقيدة الطحاوية**: محمد بن أبي عز الحنفي، صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عبد الله بن المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة العاشرة ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

٩٠) **شرح العقيدة الواسطية**، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، المحقق: سعد فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الخامسة ١٤١٩هـ.

٩١) **شرح ثلاثة الأصول**، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الثريا للنشر الطبعة الرابعة ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٤م.

٩٢) **صحيح ابن حبان**: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، التميمي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية،١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.

٩٣) **صحيح البخاري**، محمد بن اسماعيل البخاري، محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.

٩٤) **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني، المكتبة الإسلامية.

٩٥) **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج النيسبوري، دار الجيل، بيروت.

٩٦) **صفوة التفاسير**، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة الطبعة الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
٩٧) **صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحِكم والأمثَال**، القاضي حسين بن محمد المهدي، مكتبة المحامي: أحمد المهدي ٢٠٠٩م.
٩٨) **الطريق إلى الامتياز**، إبراهيم الفقي، دار الراية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
٩٩) **العصبة المؤمنة بين عناية الرحمن ومكر الشيطان**، علي بن نايف الشحود، الطبعة الأولى ١٤٣١هـ - ٢٠١٠ م.
١٠٠) **علم المناسبات في السور والآيات**، د. محمد بن عمر من سالم بازمول، المكتبة المكية، الطبعة الأولى١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
١٠١) **العين**، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال.
١٠٢) **غَرَائِبُ التَّفْسِيرِ وعَجَائِبُ التَّأْوِيلِ**، محمود بن حمزة الكَرْمانِي، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة.
١٠٣) **غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب**، محمد بن عُزير السجستاني، أبو بكر العُزيري تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، دار قتيبة، سوريا، الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ - ١٩٩٥ م.
١٠٤) **غريب القرآن**، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، مصر١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
١٠٥) **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت ١٣٧٩هـ.
١٠٦) **فتح البيان في مقاصد القرآن**، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي، راجعه: عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، بَيروت ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
١٠٧) **فتح القدير**، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤ هـ.
١٠٨) **الفِقْهُ الإسلاميُّ وأدلَّتُهُ**، د.وَهْبَة بن مصطفى الزُّحَيْلِيّ، دار الفكر، دمشق، الطبعة الرَّابعة.
١٠٩) **فقه السُنَّة**، سيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م.

١١٠) **الفقه المنهجي على مذهب الإمام الشافعي،** اشترك في تأليف هذه السلسلة: الدكتور مُصطفى الخِنْ، الدكتور مُصطفى البُغا، علي الشّرْبجي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، الطبعة الرابعة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م.

١١١) **الفقه على المذاهب الأربعة،** عبد الرحمن بن محمد عوض الجزيري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

١١٢) **الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية،** نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان، دار ركابي للنشر، مصر الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

١١٣) **في ظلال القرآن،** سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي، دار الشروق، القاهرة، الطبعة السابعة عشر ١٤١٢ هـ.

١١٤) **القاموس المحيط:** مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطبع والنَّشر، بيروت ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

١١٥) **قبس من نور القرآن الكريم،** محمد بن علي الصَّابوني، دار القلم، دمشق.

١١٦) **قواعد الفقه،** محمد عميم الإحسان المجددي البركتي، الصدف ببلشرز، كراتشي، الطبعة الأولى١٤٠٧- ١٩٨٦م.

١١٧) **القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز،** الشيخ رضوان بن محمد المخلَّلاتي، الطبعة الأولى، المدينة المنورة ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م.

١١٨) **كتاب العظمة،** عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان الأنصاري المعروف بأبِي الشيخ الأصبهاني، تحقيق: رضاء الله بن محمد إدريس المباركفوري، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ.

١١٩) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل،** أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٠٧ هـ

١٢٠) **كواشف زيوف،** عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م.

١٢١) **لباب النقول في أسباب النزول،** عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ضبطه وصححه: الاستاذ أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.

١٢٢) **اللباب في علوم الكتاب**، أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة الأولى هـ -١٩٩٨م.
١٢٣) **لسان العرب**، ابن منظور، تحقيق: عبد الله بن علي الكبير، دار المعارف، القاهرة.
١٢٤) **مباحث في التفسير الموضوعي**، مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.
١٢٥) **مجاز القرآن**، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى البصري، المحقق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى، القاهرة ١٣٨١هـ.
١٢٦) **مجموع الفتاوى**، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
١٢٧) **محاسن التأويل**، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلميه، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
١٢٨) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز** ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ.
١٢٩) **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي، عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى١٤٢٢ هـ.
١٣٠) **المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية**، خالد بن سليمان المزيني دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م.
١٣١) **المحيط في اللغة**، الصاحب ابن عبَّاد الطالقاني، دار الكتب العلمية، تحقيق: محمد بن عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت٢٠١٠م.
١٣٢) **مختار الصحاح**، زين الدين الرازي، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٩٩م.
١٣٣) **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

١٣٤) **معجم شيوخ الطبري الذين روى عنهم في كتبه المسندة المطبوعة**، أكرم بن محمد زيادة الفالوجي الأثري، الدار الأثرية، الأردن – دار ابن عفان، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
١٣٥) **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، مؤسسة الرسالة الطبعة: الأولى ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.
١٣٦) **مسند الدارمي**، عثمان بن سعيد الدارمي، دار المغني، الرياض٢٠٠٠م.
١٣٧) **مصنف بن أبي شيبة**، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.
١٣٨) **المعاني البديعة في معرفة اختلاف أهل الشريعة**، محمد بن عبد الله بن أبي بكر الحثيثي الصردفي الريمي، جمال الدين ، تحقيق: سيد محمد مهنى، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.
١٣٩) **معاني القراءات**، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، مركز البحوث في كلية الآداب جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩١م.
١٤٠) **معاني القرآن وإعرابه**، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨ م.
١٤١) معاني القرآن، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة الطبعة الأولى١٤٠٩هـ.
١٤٢) **معاني القرآن**، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، المحقق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، الطبعة الأولى، مصر.
١٤٣) **معجم اللغة العربية المعاصرة أحمد مختار عبد الحميد عمر**، عالم الكتب، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨م.
١٤٤) **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، الناشر: دار الدعوة.
١٤٥) **معجم مقاييس اللغة**، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، دار الفكر ١٩٧٩م.
١٤٦) **المفردات في غريب القرآن**، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ.

١٤٧) **مقاصد الشريعة الإسلامية**، محمد الطاهر بن عاشور، دار النفائس، الأردن ٢٠٠١م.
١٤٨) **مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة، مفهوم، ونظر، وتطبيق**، سعيد بن علي القحطاني، مطبعة سفير، الرياض.
١٤٩) **مناهج التربية أسسها وتطبيقاتها**، على أحمد مدكور، دار الفكر العربي١٤٢١هـ – ٢٠٠١م.
١٥٠) **المنتخب في تفسير القرآن**، لجنة من علماء الأزهر مؤسسة الأهرام، مصر، الطبعة الثامنة عشر ١٤١٦ هـ – ١٩٩٥ م.
١٥١) **الموسوعة القرآنية**، إبراهيم بن إسماعيل الأبياري، مؤسسة سجل العرب، ١٤٠٥ هـ.
١٥٢) **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، اشراف ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني،دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة١٤٢٠ هـ.
١٥٣) **المُيسِّر في القراءات الأربعة العشر**، محمد فهد خاروف، دار الكلم الطيب، دمشق بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.
١٥٤) **نبذة في العقيدة الإسلامية**، محمد بن صالح بن محمد العثيمين، دار الثقة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة الأولى١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م.
١٥٥) **النشر في القراءات العشر**، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، علي محمد الضباع، دار الكتاب العلمية.
١٥٦) **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر البقاعى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤ هـ– ٢٠٠٢ م.
١٥٧) **الوسطية في القرآن الكريم**، الدكتور عَلي مَحَّمد محمد الصَّلاَّبي مكتبة الصحابة، الشارقة، مكتبة التابعين، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١ م.
١٥٨) **ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن**، محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم، أبو عمر الزاهد المطرز الباوَرْدي، تحقيق: له محمد بن يعقوب التركستاني، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م.
١٥٩) **موقع في رحاب التنزيل**، أهمية علم مقاصد السور، د. محمد بن عبد العزيز الخضيري، الرابط: http://rehabtanzyl.blogspot.com/2012/11/blog-post_6909.html
١٦٠) **شبكة الألوكة**، الرابط:http://www.alukah.net/fatawa_counsels/0/14756/#ixzz2fqDpTNli
١٦١) **موقع ويكيبيديا**، الرابط: بديع_الزمان_سعيد_النورسي /http://ar.wikipedia.org/wiki.

خامساً: فهرس الموضوعات.

الموضوع	رقم الصفحة
الإهداء	**ت**
شكر وتقدير	**ج**
المقدمة	**ح**
رموز البحث	**ش**
الفصل التمهيدي	
المبحث الأول: التعريف بالدراسة التَّحليلية والمقاصد والأهداف.	**٢**
المطلب الأول: تعريف الدراسة التحليلية لغةً واصطلاحاً.	**٣**
المطلب الثاني: تعريف المقاصد لغةً واصطلاحاً.	**٣**
المطلب الثالث: تعريف الأهداف لغةً واصطلاحاً.	**٤**
المطلب الرابع: الفرق بين المقاصد والأهداف.	**٥**
المطلب الخامس: أهمية معرفة مقاصد السُّور والآيات وأهدافها.	**٦**
المطلب السادس: أهم المصنفات في مقاصد السُّور والآيات وأهدافها.	**٧**
المبحث الثاني: بين يدي سورة البقرة.	**٩**
المطلب الأول: عدد آيات السُّورة وأسماؤها.	**١٠**
المطلب الثاني: مكان نزول السُّورة وزمانها وجوها.	**١٣**
المطلب الثالث: فضل السُّورة.	**١٧**
المطلب الرابع: المحور الأساس للسُّورة.	**١٧**
المطلب الخامس: الأهداف العامَّة للسُّورة.	**١٩**
المطلب السادس: المناسبات في السورة.	**٢٠**
الفصل الأول **التَّفسير التَّحليلي لمقاصد وأهداف سُورة البقرة (٢٥٣-٢٦٠).** **بناء الدَّعامة الأولى لإقامة الخلافة المتمثلة بالدَّعوة إلى الحق.**	
المبحث الأول: تقرير سُنَّة التَّفاضل بين النَّاس.	**٢٧**
المطلب الأول: بيان التَّفاضل بين الرسل عليهم الصلاة والسلام في الدرجات.	**٢٨**

المطلب الثاني: اظهار تمايز الناس في اتباع الحق.	٣٢
المطلب الثالث: وضع المقياس العملي للإيمان متمثلاً بالإنفاق في سبيل الله ﷻ.	٣٦
المبحث الثاني: بناء أسس العقيدة يمثل فسطاط الخلافة.	٤١
المطلب الأول: توحيد الله وإثبات كماله المُطْلَق.	٤٢
المطلب الثاني: الإيمان قائم على الاختيار بعد بيان الحق.	٤٩
المطلب الثالث: التحذير من موالاة الكفَّار.	٥٣
المبحث الثالث: بيان قيام الإيمان على الإقناع لا الإكراه.	٥٧
المطلب الأول: توجيه الدُّعاة للتَّسلح بالحكمة في محاجة الجاحدين.	٥٨
المطلب الثاني: زرع اليقين المطلق بقدرة الله ﷻ في نفوس المسلمين.	٦١
المطلب الثالث: دفع النفوس للإيمان ببيان قدرة الله ﷻ على إحياء الموتى.	٦٥
الفصل الثاني **التَّفسير التحليلي لمقاصد وأهداف سورة البقرة (٢٦١-٢٨١)** **إقامة أسس الاقتصاد الإسلامي.**	
المبحث الأول: تأسيس نظام اقتصادي قائم على الاعتماد على النفس.	٧٠
المطلب الأول: ترغيب المسلمين في الانفاق بمضاعفة الأجر وبقاء الأثر.	٧١
المطلب الثاني: حث المُنفقين على إخلاص النِّية لله ﷻ.	٧٦
المطلب الثالث: التَّحذير من مبطلات أجر الإنفاق.	٧٩
المطلب الرابع: تربية النَّفس على المبادرة بفعل الخيرات.	٨٢
المطلب الخامس: التَّحذير من عاقبة النِّفاق والشرك بالله ﷻ.	٨٤
المطلب السادس: توجيه العباد؛ لتقديم أفضل ما لديهم قربةً لله ﷻ.	٨٧
المبحث الثاني: التَّحلي بالفراسة والفطنة في إدراك الحقائق.	٩٢
المطلب الأول: التَّحذير من مصائد الشَّيطان.	٩٣
المطلب الثاني: بيان اقتضاء الحكمة إسرار الصَّدقة حفظاً لمشاعر الفقراء.	٩٧
المطلب الثالث: بيان أنَّ الصَّدقة ادخار مضمون الأرباح.	١٠٠
المطلب الرابع: توجيه المُنفقين للبحث والتَّحري عن أصحاب الحاجة.	١٠٣
المبحث الثالث: التَّحذير من النِّظام الرَّبوي لإهلاكه الأنفس والأموال.	١٠٦
المطلب الأول: تربية النَّفس على الكرم واتقاء الشُّح الدافع للربا.	١٠٧

المطلب الثاني: تحريم الرِّبا وردع من يتعامل به.	١٠٩
المطلب الثالث: بيان أثر كل من الصَّدقة والرِّبا على الفرد والمجتمع.	١١٣
المطلب الرابع: تحديد سبيل الخلاص من الرِّبا وإعلان الحرب على المعاندين.	١١٧
المطلب الخامس: غلق الأبواب أمام المُرابين بالصَّبر على المُعسِرين.	١٢٠
المطلب السادس: تقوية الوازع الدِّيني باستحضار النَّفس لحسابها يوم القيامة.	١٢٣
الفصل الثالث **التَّفسير التَّحليلي لمقاصد سورة البقرة (٢٨٢ – ٢٨٦) وأهدافها.** **غلق الآفاق أمام وسائل الانحراف عن سبيل الله ﷻ.**	
المبحث الأول: وضع الضمانات للمعاملات الإسلامية.	١٢٦
المطلب الأول: الأمر بتوثيق العقود حفظاً للحقوق، ودرءاً للمفاسد.	١٢٧
المطلب الثاني: حماية حقوق الضُّعفاء.	١٣١
المطلب الثالث: قطع الرَّيبة بتعيين شاهدين .	١٣٣
المطلب الرابع: رفع الحرج عن توثيق المعاملات المتداولة.	١٣٦
المطلب الخامس: بيان مشروعية الرهن.	١٤٠
المبحث الثاني: بيان التصوُّر الإيماني لأفراد الأمَّة المستحقَّة للخلافة.	١٤٣
المطلب الأول: تنمية الرَّقابة الوجدانية الضامن الأسمى للمعاملات الإسلامية.	١٤٤
المطلب الثاني: ربط الإيمان بالله ﷻ ورسله عليهم الصلاة والسلام بالالتزام التَّام بأوامره.	١٤٦
المطلب الثالث: حث النفس على بذل كل طاقة لإظهار دين الله ﷻ.	١٥٠
المطلب الرابع: طلب العون من الله ﷻ على تطبيق شريعته.	١٥٢
الفصل الرابع **التَّفسير التحليلي لمقاصد وأهداف سورة آل عمران (١ – ١٤).** **اشتراط ثبات الجماعة المستحقة للخلافة على الأسس التي بينتها سورة البقرة.**	
المبحث الأول: بين يدي سورة آل عمران.	١٥٩
المطلب الأول: أسماء السُّورة وعدُّ آياتها.	١٦٠
المطلب الثاني: مكان النزول وزمانها وجوها.	١٦١
المطلب الثالث: فضل السُّورة وسبب نزولها.	١٦٢
المطلب الرابع: المحور الأساس للسورة.	١٦٤

المطلب الخامس: الأهداف العامة في السورة.	١٦٤
المطلب السادس: المناسبات في السورة.	١٦٥
المبحث الثاني: وضع أسس الثبات الفكري.	١٧٠
المطلب الأول: بيان وحدة المصدر والهدف للرسالات السماوية.	١٧١
المطلب الثاني: نفي الألوهية عن عيسىﷺ وإثباتها لله ﷻ وحده.	١٧٤
المطلب الثالث: زيغ القلوب الباعث الأول على الانحراف الفكري.	١٧٧
المطلب الرابع: تحصين القلب بهدي الله ﷻ منبع الثَّبات الفكري.	١٨٢
المبحث الثالث: بيان بواعث الثَّبات العملي.	١٨٦
المطلب الأول: بيان عاقبة الانحراف عن الحق، والصَّد عن سبيل الله ﷻ.	١٨٧
المطلب الثاني: اشتراط الثَّبات على الحق للظَّفر بتأييد الله ﷻ ونُصرته.	١٩٠
المطلب الثالث : التَّحذير من بواعث الانحراف والهزيمة.	١٩٤
الخاتمة	١٩٩
أولاً: أهم النتائج.	١٩٩
ثانياً: أهم التوصيات.	٢٠٠
الفهارس	٢٠١
أولاً: فهرس الآيات القرآنية.	٢٠٢
ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية.	٢١٠
ثالثاً: فهرس الأعلام المترجم لهم.	٢١٣
رابعاً: المصادر والمراجع.	٢١٤
خامساً: فهرس الموضوعات.	٢٢٦
ملخص الرسالة باللغة العربية.	٢٣٠
ملخص الرسالة باللغة الإنجليزية.	٢٣١

ملخص الرسالة

الدراسة التحليلية لمقاصد الحزب الخامس من القرآن الكريم وأهدافه

من الآية (٢٥٣) من سورة البقرة إلى الآية (١٤) من سورة آل عمران

تناول فيها الباحث مقاصد وأهداف الحزب الخامس من القرآن الكريم، وقد جاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة: وتشمل أسباب اختيار الموضوع، وأهميته، وأهدافه، ومنهج البحث والدراسات السابقة.

التمهيد: وتناول فيه الباحث التعريف بالدراسة التحليلية، وتعريف المقاصد والأهداف وبيان الفارق بينهما، وفيه تعريف عام بسورة البقرة، وبيان أهدافها العامة، ثم أظهر الباحث وجوه المناسبة في السورة.

الفصل الأول: تناول فيه الباحث مقاصد سورة البقرة (٢٥٣-٢٦٠) وأهدافها، وسعت الآيات لتحقيق المقاصد الآتية: تقرير سنة التفاضل بين الناس، وبناء أسس العقيدة السليمة والتصور الصحيح للكون وما فيه، وبيان قيام الإيمان على الإقناع.

الفصل الثاني: تناول فيه الباحث مقاصد سورة البقرة (٢٦١-٢٨١) وأهدافها، وسعت الآيات لإقامة أسس الاقتصاد الإسلامي من خلال: بناء نظام اقتصادي قائم على الاعتماد على النفس، والتَّحلي بالفراسة والفطنة في ادراك الحقائق والتمييز بين النَّافع والضار، وبيان خطر النظام الربوي.

الفصل الثالث: تناول فيه الباحث مقاصد سورة البقرة (٨٢-٢٨٦) وأهدافها، وقصدت الآيات وضع الضمانات للمعاملات الإسلامية من خلال: الأمر بتوثيق العقود حفظاً للحقوق، وقطع الرَّيبة بتعيين شاهدين، وتشريع الرَّهن للتيسير على المتعاقدين، ثم قصدت إلى بيان التصور الإيماني لأفراد الأمَّة المستحقة للخلافة من خلال: تنمية الرَّقابة الوجدانية، وتعليق ميزان الإيمان بالله ﷻ بالالتزام التَّام بأوامره، وحث العباد على بذل كل ما يملكون لنصرة دينهم، ودوام الاتصال بالله ﷻ وطلب النصرة منه وحده بعد الأخذ بالأسباب.

الفصل الرابع: عرض فيه الباحث تعريف عام بسورة آل عمران، وبيان الأهداف العامة والمحور الأساسي لها، وأظهر وجوه المناسبة في السورة، ثم تناول فيه مقاصد سورة آل عمران (١-١٤) وأهدافها، وقصدت الآيات إلى بيان أسس الثبات الفكري من خلال: بيان وحدة المصدر والهدف للرسالات السماوية، وإثبات الألوهية لله ﷻ وحده، والحفاظ على سلامة القلب وتحصينه بهدي الله ﷻ كونه الباعث الأول على الانحراف الفكري، ثم قصدت لبيان أسس الثبات العملي من خلال: بيان عاقبة الانحراف عن الحق، واشتراط الثَّبات عليه للظَّفر بتأييد الله ﷻ ونُصرته، والتَّحذير من بواعث الانحراف والهزيمة.

Abstract

Analytical study of the purposes of the fifth party of the Koran and objectives
Of verse (253) of Al. Baqara Surah to verse 14 of Surah Al-Imran

The recearcher discussed purpose and objectives of the fifth party of the Qoran, came at the forefront of this research and pave the four chapters and a conclusion as follows- :

Introduction: The reasons for choosing this subject, and its importance, and its objectives, and the methodology of research and previous studies.

Preparation: the researcher discussed definition analytical study, the definition of objectives and targets and the statement of the difference between them, and the general definition Surat Al.Baqara, and the statement of the general objectives and its fundamental axis, then the researcher showed the appropriate object in Sura.

Chapter One: the researcher discussed the purposes of Al. Baqara Surah verse (253-260) and goals, verses and sought to achieve the following goals: To achieve preference differentiation between people, and build the foundations of sound doctrine and correct perception of the universe and in it, and the statement of faith of persuasion.

Chapter II: The researcher discussed the purposes Sura (261-281) and objectives, and sought verses to establish the foundations of the Islamic economy through: building based on self-reliance and economic system, depends on intelligence to realize the facts and distinguish between beneficial and harmful, and the statement of the risk of interest-based system.

Chapter III: The researcher discussed the purposes of Sura (282-286) and goals the verses put safeguards Islamic transactions through: it's documented decades to preserve the rights, cutting suspicion appoint two witnesses, and the enactment of the 22 to facilitate the contractors, and then the statement perception of faith for members of the nation due to the succession through: the development of emotional control, and the suspension of the balance of faith in God fully abide by his orders, and urged slaves to do all they have to support their religion, and Time Contact God and asked him to victory alone after the introduction of the reasons.

Chapter IV: Showing a researcher in the definition of Surat Al-Imran, a statement of the general objectives, of it and showed the appropriate object in the sura, then dealt with the purposes of the Surah Al-Imran (1-14) and goals, and the verses to the statement of the foundations of intellectual consistency through: statement the source and target of the heavenly messages, and prove the divinity of God alone, and maintain the integrity of the heart and protect it under the guidance of God being the first motive for intellectual deviation, then I put in mind statement of the foundations of the practical stability through: Statement of the consequences of deviation from the right, and the requirement to adhere to it to win the support of God and triumph and warning of concerns deviation and defeat.

Conclusion: The researcher reviewed the most important findings and recommendations reached.